من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك

اعتراف .. وتقديم..

(نشر هذا الكتاب في مصر عام 1993 أما هذه المقدمة:- اعتراف وتقديم - فقد كتبت عام 2003 ماعدا الحاشية الأخيرة)

أعترف للقارئ، أنني لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لما كتبت هذا الكتاب..!!

والكتاب هو: "رسالة من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك" والذي نشر كمقالات في صحيفة الشعب عام 1992 ثم ككتاب عام 1993م.

إلا أن ذلك لا يعنى أي نوع من الندم، أو التراجع عما قلت، بل على العكس.

فقط أريد أن أقول أن بصيص الأمل الذي كان يحدوني أيامها لمخاطبة السيد الرئيس قد خبا، ولم يعد له وجود.

أما الكوارث والخطايا فكلها ما تزال.. بل ربما ربت ونمت، وربما لم ترب ولم تنم، ولكننا فقط اكتشفنا ما كان موجودا منذ البداية لكنه كان خفيا علينا.. ولهذا فإن هذه الرسائل التي كتبت منذ عشرة أعوام يمكن أن تكتب اليوم كما كتبت أول مرة.. بلا تغيير.. على الإطلاق..

ربما فقط يكون واجبا إسقاط سهم ائتلاف القلب..

لأن سهم المؤلفة قلوبهم كان يقصد به من يـراد جـذبهم نحـو مزيد من الإيمان أو دفعهم بعيدا عن الردة..

أمـا المؤمنـون حقـا فلم يكن لهم نصـيب في سـهم المؤلفـة قلوبهم..

ولا الكفار أيضا كان لهم ذلك السهم.

***

إلا أنـني في نفس الـوقت أسـتدرك أن الـدافع خلـف كتابـة الكتاب لم يكن كله أملا في استجابة الرئيس لما أكتبه له، ، نعم.. لم يكن كله ولا حـتى بعضـه، بـل ربمـا كـان الجـزء الغـالب فيـه- وعلى سبيل الاحتياط لا أقول الوحيد- هو إبراء لذمتي أمام اللـه يوم القيامة، و إلزام الرئيس بالحجة يوم الحساب، حتى لا يـدعى أحد أنه لم يكن يعرف.

***

والحقيقة أنني بدأت كتابـة المقـالات دون أن أعـرف إن كنت سـأتمكن من نشـرها بأيـة وسـيلة، كـان قـد صـودر لي كتـاب : " مباحث أمن الوطن"، وعطل آخر لمدة عـامين: " الحـاكم لصـا"، وتجاهل المجوس المسيطرون على أجهزة الإعلام ذلك، فقد كان الكتابان يهاجمان نظام الحكم، وهم لا يعتبرون المصـادرة اعتـداء على الحرية إلا إذا كـانت حريـة الشـيطان، حريـة التطـاول على الذات الإلهية والمقدسات.

ثم كان أن التقيت بالأسـتاذ عـادل حسـين، و أملت أن ينشـر حلقة أو حلقتين من هذه الرسائل في صـحيفة الشـعب، على أن ينشـر البـاقي في كتـاب. لكنـني فـوجئت بـنيتهم نشـر الرسـائل كاملة.

***

مع الحلقة الأولى كان رد الفعـل هـائلا، كـان أكـبر بكثـير ممـا توقعت من أمـة ظننت أن تزييـف وعيهـا قـد اكتمـل، وكـان ممن قـابلتهم أيامهـا بالمصـادفة الـدكتور سـعد الـدين إبـراهيم، الـذي وصـف الأثـر الـذي أحدثتـه المقـالات بأنـه زلـزال في الصـحافة المصرية لم يحـدث من عشـرينيات القـرن العشـرين، وكـان هـو الشخص الذي أسندت إليه – دون أن أذكر اسمه – وصف حاشـية الرئيس ووزرائه في الحلقة الثانية من هذه المقالات.

***

مع نشر المقالات فاق توزيع الصحيفة كل تصور، وبلغ الأمر أن إدارة الصحيفة لم تستطع الاحتفاظ بنسخ من الصحيفة للأرشيف فلجئوا إلى التصوير.

الأستاذ الدكتور حلمي مراد – عليه رحمة الله ورضوانه- أخبرني أن الدكتور عاطف صدقي رئيس الوزراء آنذاك اتصل به في لهفة راجيا أن يوفر له نسخة من "الشعب" حيث كان مسافرا للخارج، ففاتته الحلقة الرابعة من الرسائل، ولم يتمكن من الحصول عليها حين عاد.

***

في الجانب الآخر نشط جهاز مباحث أمن الدولة، وأخذ يوجه إليّ رسائل نارية، بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، ما بين الترغيب والتهديد، والتلويح بما يمكن أن يفعلوه، ومنذ المقالة الأولى بذلوا ضغوطا شديدة لإرغامي على التوقف. ومع كل مقال كان الإلحاح يزداد، وكذلك التهديد، وكوني أكتب ذلك بعد عشرة أعوام من حدوثه، يستبعد العنصر الذاتي من الحدث، وما أردت بالحديث الآن إلا أن أكشف كيف يواجه هذا الجهاز الرأي الآخر.

وقد شملت التهديدات كل الممكنات، ابتداء من تلفيق القضايا، إلى حادث سيارة غامض، إلى التهديد بالأبناء!..

***

بعد المقالة الثالثة جاءني مسئول من جهاز أمنى آخر، يعرض عليّ التوقف عن كتابة المقالات مقابل تدبير لقاء لي مع الرئيس على الفور، و أجبته أنه يسعدني لقاء الرئيس، لكن هذا اللقاء سيكون موضوع حلقة سادسة من هذه الرسائل الذي يبلغ عددها خمسة!!. سأعتبر نفسي سفير الشعب المصري إليه.. قال لي الرجل أنني أحظى باحترام واسع و أنهم يدركون إخلاصي وصدق نواياي، ويدركون أيضا أن السبب في انتقاداتي العنيفة يكمن في أنني لا أعرف الكثير من الخبايا والظروف المعقدة المتشابكة، و أنني إذا استجبت له وأوقفت سلسلة المقالات فسوف يتكفل الرئيس بنفسه بشرح ما غمض عليّ، وهنا قلت له: لا أملك إلا التحذير.. فكل ما يقوله الرئيس لي سيجد طريقه إلى النشر على الفور. وقلت لنفسي: المديح بداية الغواية والأسرار بداية الانحراف.

***

في نفس الأسبوع فـوجئت بإنـذارين حكومـيين، الإنـذار الأول يخبرني بضرورة أن أقوم بهـدم مـنزلي، فـإن لم أفعـل في خلال أسبوعين فـإن الأجهـزة الحكوميـة سـوف تقـوم بالهـدم بنفسـها، وسوف تحملني تكاليف الهدم. أما الإنـذار الثـاني فكـان بضـرورة إغلاق عيادتي لمخالفة شروط الترخيص.

الإنـذار الأول كـان سـببه أنـني وسـعت بعض غـرف المـنزل، والإنذار الثاني كان بسبب تجديد دواة المياه!!..

***

في الجامعات والمساجد عقدت حلقات لقراءة الرسـائل، بـل واستعملت بعض عبارات الرسائل في المظاهرات، وبــدأت أدرك أن الأمر أخطر مما قدرت، وأن احتمالات الاستشهاد قوية، و بدأ الهجوم عليّ في الصحف الحكومية، واتصل بي بعض الصـحافيين في مؤسسة الجمهورية كي يخبروني أن سمير رجب كلف طاقما كـاملا من الصـحافيين بـاختلاق الأكـاذيب عـنى، وجـاء بعض هـذا الطاقم ليلتقط صـورا لمـنزلي، وفى نفس الـوقت، كـانت قـوات من الأمن تراقب المنزل، والتقطت قـوات الأمن صـورا للمصـور الصحفي وهو يلتقط الصـور لمـنزلي، و ألقت القبض عليهم، ولم يفرج عنهم إلا بعد تدخل رئيس التحرير، والصـورة الـتي التقطهـا جهاز الأمن للمصور الصحافي وهو يصور كانت طرفة لــدى أعلى مسـتويات السـلطة، وكـانت من ناحيـة أخـرى دليلا على يقظـة الأمن، وكان هذا هو السر في القبض على الصحافيين، فقـد أريـد للواقعة أن تتردد أصداؤها في أعلى مستويات السـلطة، وهـو مـا حدث.

***

ذهبت إلى الجهـة المختصـة الـتي أنـذرتني بهـدم مـنزلي، من خبرات سـابقة كنت قـد اكتشـفت قـانون التناسـب الطـردى بين الدرجــة الوظيفيــة من ناحيــة وبين الفســاد والخســة من ناحيــة أخرى، قلت لنفسي أنني لو ذهبت إلى رئيس الجهاز فربما يجدها فرصة لمنافقة الحكام فيختصر مهلة الخمسة عشر يومـا، سـألت الله العون، على أحد المكاتب وجدت موظفا عجوزا فسألته، وبدا الرجل لا يصدق ما أقوله له، بل إنه سـخر مـنى ضـاحكا: التنظيم الــداخلي في المــنزل شــأنك أنت مــا دمت لم تعتــد على خــط التنظيم الخـارجي(الشـارع) .. فأعطيتـه الإنـذار الـذي وصـلني،

فحملـق فيـه بـذهول وهـو يتمتم: هـذه أول مـرة في حيـاتي أرى إنذارا بهذا المعنى، لو كان ذلك صحيحا لهدمنا منازل مصـر كلهـا، وفجـأة سـألني : من أنت؟ الأمـر غـريب ولا يتعلـق بالإسـكان.. وراجـع الإنـذار كي يعـرف اسـمي ثم حملـق فيّ قـائلا: هـل أنت الذي تكتب الرسائل إلى الرئيس مبارك؟ وأجبتـه بالإيجـاب، فـإذا به ينتفض ليعانقني والدموع تملأ عينيـه، وينـدفع ليسـب السـلطة سبابا عنيفا، ويقول في تأثر بالغ: إن الله يدافع عن الـذين آمنـوا، اذهب يا دكتور، إن الله يدافع عن الذين آمنوا. سألت الرجل مـاذا يعنى فأجاب ولما يزايله الانفعال.. اذهب.. لا تشـغل نفسـك بهـذا الأمر.. واصل رسائلك.. والله في عونك.. وربمـا بـدا عليّ الـتردد أو الشك.. فاندفع الرجل يقول: أنت تقول لنفسك كيف يسـتطيع هذا الموظف البسيط أن ينقذني ممـا لا يسـتطيع وزيـر الإسـكان نفسه إنقاذي منه.. الأمر بسيط.. منذ أيام جاءتنـا أوامـر مشـددة بالبحث عن ملف منزلك.. بعد مجهود مضن عثرنا عليـه.. تناولتـه الأيـدي وطلبـه كبـار المسـئولين للاطلاع عليـه.. لم نكن نعـرف السبب.. ولقد أعادوه بالأمس كي تقوم الشئون القانونيـة بإعـداد مذكرة الهدم.. في تجوال الملف بين المكـاتب المختلفـة لم يعـد عهدة أحد.. وجدتـه اليـوم بالصـدفة على أحـد المكـاتب.. لم أكن أعـــرف أن الأمـــر يتعلـــق بمن يكتب تلـــك الرســـائل إلى الرئيس.. دفعـني الفضـول لأخـذ الملـف للاطلاع عليـه.. لأعـرف سبب الاهتمام به وسبب هدم منزل هـذا الرجـل الـذي هـو أنت.. هذا هو الملف..

وسـألت الرجـل في حـيرة: ومـاذا سـتفعل لوقـف قـرار الهدم.. ؟ وببساطة أخرج الرجـل صـحيفة الأهـرام، فتحهـا، كـان يخفى صحيفة الشعب داخلهـا، كـان بهـا إحـدى رسـائلي للـرئيس مبارك، وببساطة وضع الملف بين طيات الصـحيفتين، ونظـر إليّ هامسا: عند انصرافي سآخذ الملف كله معي، سألقيه في الترعة المجاورة، بدون ملـف لا يسـتطيعون فعـل أي شئ، لا الهـدم ولا رفع قضية ولا حتى تحرير مخالفة، وكـل هـؤلاء الـذين يتنافسـون اليوم على سرعة الهدم سيتنافسون غـدا على التكتم على الأمـر كله بسبب فضيحة اختفاء الملف.

كان انفعال الرجـل قـد انتقـل إليّ.. ولم يكن سـوى الصـمت يمكن أن يعبر عن مشـاعري، صـافحت الرجـل، وانصـرفت فعلا، لكنني سرعان ما عدت.. قلت للرجل: أنا لم أعرف حتى اسمك.. أريد أن أعرفك .. على الأقل لأذكرك أمام الله في دعـائي.. و إذا بالرجل يقول: أرجوك يا دكتور.. دع عملي خالصا لوجه اللـه.. لن

أخبرك باسمي.. أنا في أرذل العمر.. سأحال للمعاش بعـد عـام.. فدعني أتقرب إلى الله بهذا العمل..

حـتى الآن – بعـد عشـرة أعـوام وبضـعة شـهور - لم يفتح الموضوع مرة أخرى..!!.. ولم ألق الرجل قط..

***

قيل أن سـمير رجب بعـد أن أعـد صـفحتين كـاملتين للهجـوم عليّ جاءته تعليمات من جهات عليا بعدم زيادة الاهتمام بالرسائل لأن ذلك سيزيد من شعبيتي وانتشـارى، فاسـتعاض عن الـرد في الجمهوريـة بـأن كلـف أحـد غلمانـه بنشـره في صـحيفة حزبيـة: صحيفة مصـر الفتـاة، وكـان سـمير رجب قـد تـآمر على الحـزب والصحيفة، وتم لأعوانه الاستيلاء عليها، وعين أحـد غلمانـه رئيسـا لتحريرها، وكان تعيين رئيس التحرير هـذا فضـيحة، فتم اسـتبداله بعد صدور عددين فقط، كان متهما في عدة قضايا جنائيـة، ليس أخطرها قضية تسهيل دعارة!! وصدر ضـده - في قضـية تسـهيل الدعارة- حكم نهـائي بالسـجن ثلاثـة أعـوام، فلاذ بمـاهر الجنـدي حين كان محافظا لمحافظة الغربية، فمنع تنفيذ الحكم عليـه، بـل واصـطحبه معـه عنـد نقلـه إلى الجـيزة، وكـان هـذا الغلام أحـد الأعـوان الرئيسـيين للصـديقين الحميمين: سـمير رجب ومـاهر الجندي.

في الصـفحة الأولى من الصـحيفة نشـر الموضـوع الضـخم تتصدره صورة لمنزلي، أمـا الموضـوع نفسـه فقـد بلغت البـذاءة والافتراء فيه درجة لا تصدق، الكـذب في الصـحافة فن!.. نعـرف ذلك منذ زمان طويل.. ولأنـه فن فلابـد أن يعتمـد ولـو على جـزء ولـو صـغير من الحقيقـة.. لكن الموضـوع الـذي نشـر كـان كلـه أكاذيب مذهلة لا تشوبها شائبة صدق.

وربما لا يتسع كل هذا الجد الذي نحن فيـه لأي هـزل، ولكنـني أريد أن أكشف أمام القراء المدى الذي بلغه الإسـفاف والكـذب، وهم يصفون منزلي ضاعفوا مساحته خمسـين ضـعفا، أمـا عـنى، فقد وصـفوني أن لحيـتي تمتـد أشـبارا عديـدة (لم أتشـرف بعـد باتباع السنة و إطلاق لحيتي و إن كنت أنـوي ذلـك قريبـا إن شـاء الله) .. و أنني أطلقتها كجزء من عمليـة نصـب واحتيـال، و أنـني زورت شهاداتي العلمية، و أنني بدأت في تكـوين ثـروتي بـاختراع مــزيج مقــو للشــيوخ(!!)- تخصصــي: استشــاري في الأشــعة التشخيصية، وهـو تخصـص ليس لـه أي علاقـة بالعقـاقير- و أنـني روجت لهـذا المـزيج السـحري في الـدول العربيـة بين الأمـراء

وشيوخ البترول، لكنني لم أكتف بهذا، فقد واصلت استغلال نجـاح المزيج الذي اخترعته، فافتتحت مكتبا اقتصر نشـاطه على تـزويج القاصرات المصريات لشيوخ العرب، ورغم مـا حصـلت عليـه من ثـروة، إلا أن ذلـك كلـه لم يـرو جشـعي، فـانتهزت قيـام الثـورة الإسلامية في إيران، وعرضت نفسي على الإمام الخميني، الــذي بادر باستدعائي، فذهبت إليه، فكلفني بإشـعال الثـورة الإسـلامية في مصر، وأعطاني مقابل ذلك ملايين لا يمكن حصرها!!.

***

سوف يتكرر الأمر بعد ذلك في قضية الوليمة، ليثبت أن بعض كتـاب السـلطة أكـثر شـرا وبـذاءة من أعـتى جلادي الشـرطة والسلطة.

***

إنني أكتب هذه التفاصيل لأكشف الوسائل المجرمة التي تلجأ إليها الأجهزة لتحطيم من يقـول الحـق، أكتبهـا لأوضـح أن الكفـر ملة واحدة، و أن ما تمارسه أمريكـا و إسـرائيل ضـد شـعوبنا قـد سبقت حكوماتنا إليه، بطريقة همجية ووحشية، بل إن إسـرائيل و أمريكا كان لديهما قدر من الحصافة بحيث يحاولان دائمـا إخفـاء وسائلها الحية البشعة، وظل الأمر هكذا حـتى غـزوتي نيويـورك، جزا لله الشيخ أسامة بن لادن كل خير، فقد هتك أستار الحضـارة عن وجوهه لتبدو وحشيتهم بدون قناع.

و أكتبهـا لأحمـد اللـه أن ثبت قلـبى على الحـق، لكنـني في نفس الـوقت آسـى لعشـرات ومئـات و ألـوف، حـولتهم أجهـزة الأمن من مشـاريع مواطـنين شـرفاء، إلى عملاء، أو إلى حطـام بشرى.

و أكتب هذه التفاصيل، لأن قلبى يتمزق كل صباح، مع رسائل البريد الإليكتروني، التي تصلني من طلبة الجامعة، الطلبـة الـذين تخطفهم عصـابات الأمن، فتبـدأ بتعـذيبهم عـذابا همجيـا وحشـيا مجنونا، يستمر أياما طويل، ثم تبدأ المساومة على إنهاء العـذاب، مقابل أن يتعهد الطالب بالتجسس على زملائه.

و أكتب هذه التفاصيل، وهى قطرة في بحر مما حدث لي وما يزال يحدث، وآخره أن مكافحة التهرب من الضرائب تتعقبـني، لا بالمواجهة، لأنهم يعرفون أكثر من أي أحـد آخـر سـلامة مـوقفي، بل ويعرفون ما هو أكثر، من تـدخل السـلطة المباشـر لمحـاربتي بالضرائب، وتلك قصة أخرى أود كتابتها ذات يوم.

أكتب هذا لأقول أن أجهزة بعيدة عن أمن الحاكم، قد شـوهت امتهنت لتقوم بدور الخادم الغبي للأمن السياسي، ولم يكن ذلك بأي هدف، إلا التنكيل، ولقد ترتب عليـه في إيجـاز مـذهل الوضـع الاقتصادي المتردي، والذي يتلخص في أنـه في خلال ربـع القـرن الأخير، بدأ النظام السياسي الحـالي في مصـر، وبـدأ معـه نظـام سياسي في سنغافورة، كان متوسط الـدخل للفـرد متقاربـا، مـع زيـادة طفيفـة للمصـري، بعـد خمسـة وعشـرين عامـا، ارتفعت صـادرات سـنغافورة (ثلاثـة ملايين مـواطن) إلى تسـعين مليـار دولار، أما في مصر فقد ثبتت الصادرات عنـد رقم ثلاث مليـارات ونصف المليار لسبعين مليون مواطن.. لم تزد مليارا واحدا طيلة حكم الطــوارئ الأبــدي.. لأنهم في ســنغافورة ليس لــديهم أمن سياسي، و لا إدارة مكافحة تهرب تطارد من ينتقد النظام وتفلت تحت بصرها من أوسع الأبواب مئـات المليـارات المهربـة، كمـا لا يحول جهاز الأمن بها الطلبة إلى جواسيس.. ثم أن الأمـور هنـاك تتم طبقا للعقل والعلم والخبرة.. وليس طبقا لتوجيهات سيادته..

***

بعد أعـوام من نشـر المقـالات لقيـني أحـد كبـار رجـال الأمن قائلا:

- لن نغفـر لـك أبـدا مـا فعلتـه في هـذه المقـالات، لقـد كنت ككاســحة الألغــام الــتي تمهــد الطريــق للجحافــل بعــدها، ولقــد اقتحمت أبوابا لم يجرؤ أحد على اقتحامها منذ عام 52.

***

لم يكن سرطان الدولة قد انتشـر في النقابـات المهنيـة بعـد، وعندما علم الزملاء بنقابة الأطباء بسحب ترخيص عيادتي (وكان سبب سحب الترخيص كما أسلفت مهزلة: تجديـد دورات الميـاه، بينمــا الــترخيص يتعلــق بغــرف الفحص الإشــعاعي فقــط) ، و يستغرق استخرج ترخيص جديد أكثر من عامين، لذلك فقـد بـادر الـزملاء إلى بنـد مهجـور من بنـود القـانون، تم بمقتضـاه إصـدار ترخيص مؤقت، تم النص فيه على أنه يحل تماما محل الــترخيص النهائي.

و أسـقط في يـد الأجهـزة الـتي جـاءت بعـد أسـبوعين لإغلاق عيادتي.

***

اكتمـل نشـر المقـالات فى آخـر شـهر مـايو عـام 92، فى المقالة الخامسة والأخيرة ناشدت الرئيس ألا يرشـح نفسـه مـرة أخرى، وكان الاسـتفتاء على الرئاسـة مقـررا فى نهايـة عـام 93، وردا على مناشـدتى انفجـرت المبايعـات فى الصـحف الحكوميـة والعميلة والمنافقة ، انفجرت، وظلت تبايع عاما ونصـف عـام!!.. رغم أن النتيجة معروفة قبلها بأعوام..

***

وصلتني آلاف الخطابات والاتصالات، وكانت الضـغوط الأمنيـة في ازدياد مستمر، وكنت تحوطا لاعتقـالي قـد أرسـلت الحلقـات كلها إلى الأستاذ عادل حسين، وقبـل نشـر الحلقـة الأخـيرة بيـوم جـاءني اتصـال تليفـوني ممن عرفـني بنفسـه كضـابط كبـير في مباحث أمن الدولة في لاظوغلى, طلب مـنى الـذهاب إليهم على الفور، وسألت عن السبب، أجاب في لهجـة قاطعـة: لاسـتجوابك في أمر رسائلك إلى سـيادة الـرئيس، فرفضـت مـا لم يكن ذلـك باستدعاء رسمي, وجاءني صوته عبر الهاتف:

- مجيئك لنا خير من مجيئنا لك و "بهدلة" أسرتك وبيتك!.

وطال الحوار بيننا، قلت للرجل أنهم جهة للتحرى فقـط، ومن حقهم بعـد موافقـتي أن يسـألوني عمـا بـدا لهم، لكن القـانون يشترط موافقتي، و أنا لا أوافق. وراح الرجل يهدد ويتوعد، فقلت له أنه يمكنه الـتزام الطريـق القـانوني فيستصـدر أمـرا من نيابـة أمن الدولة بالقبض علىّ.. وساعتها سأكون بين أيديهم بالقـانون، وقـال الرجـل أنهم تعـودوا أن يـأمروا فيطـاعوا، و أنـني أعـرض نفسـي لخطـر جسـيم بـرفض المثـول، وقلت لـه أنـني لن أذهب إليهم، لأن مجرد ذهابي إقرار بحقهم فيما يفعلون، و أنا لا أقر به، وأن المجال مفتوح أمامهم ليختطفوني كرجال العصـابات، وقـال الرجـل أنهم لن يختطفـوني بـل سـيأخذونني عنـوة واقتـدارا من مـنزلي بعـد أن يحطمـوا أثاثـه وبعـد أن يوجهـوا مـا شـاءوا من الإهانات لي ولأسرتي. وقلت له أنهم يستطيعون فعل ذلك و أكثر منه، كعصابة وليس كجهـاز أمن، وراح الرجـل يطلب مـنى مـرة أخـرى أن أذهب بنفسـي إليهم كي أوفـر على نفسـي كـل هـذه المشقة. وكررت رفضي.. فتوعدني قائلا:

- إذن.. ذنبك على جنبك.. انتظرنا الليلة..

أدركت أنها النهاية، كنت قد وطنت نفسـي منـذ زمـان طويـل أنه حين يحين ذلك فلن أسمح لهم بالنيل من كرامتي، و أن ذلـك سوف يسفر في الأغلب عن قتلى، وأيقنت أنـني سـألقى اللـه

خلال ساعات قليلة.. فاحتسبت عند الله نفسي و أهلي.. وقلت لنفسي أنه وقد بلغ الأمر هذا المدى فإن هناك ما أود إضافته إلى رسائلي ما أبرئ به ذمتي أمام الله..

كنت كطالب فوجئ بأن امتحان أعمال السنة هو الامتحان النهائي ولم يكن أمامه إلا أن يراجع إجاباته طمعا في درجات أعلى..!!..

اتصلت بإدارة الشعب، وطلبت منهم انتظار نسخة مزيدة ومنقحة من الحلقة الخامسة والأخيرة.

وقضيت الليل ليس في انتظار التتار الجدد بل في الإضافة إلى المقالة الخامسة والأخيرة من سلسلة المقالات. ولقد فعلت ذلك بوجدان من يقوم بآخر عمل في حياته فيود بكل ما يملك أن يتقنه حتى يكون حجة له أمام الله ووجاء من النار.

عكفت في غرفة مكتبي، أترقب الطرقات الشيطانية، كنت أنقح المقال على جهاز الكمبيوتر مباشرة، وقد أعددت عدتي عندما أسمع الطرقات أن أبدأ إرسال المقال بالفاكس عن طريق الكمبيوتر على الفور، ثم أطفئ شاشة الجهاز و أدعه يعمل، سوف يستغرق الإرسال دقائق قليلة، و لأن الشاشة ستكون مطفأة فلن يلاحظوا عندما يدخلون لتفتيش المكان أنني أرسل المقال في وجودهم.

ظللت أنتظرهم حتى الفجر، لم يأتوا، قمت للصلاة.. و أرسلت المقال..

أغمضت عيني في إجهاد ورضا..

كنت أدعو الله أن يتقبل منى..

وبعد فترة فتحت عيني على لوحة المفاتيح الخاصة بجهاز الكمبيوتر غارقة في الدم!!.. كان نزيفا من الأنف.. ربما بسبب ارتفاع في ضغط الدم بسبب الانفعال.. وربما تضافر الوعي مع اللاوعي.. والرمز مع الواقع لينطق أن هذه الرسائل قد كتبت فعلا بالدم..

***

لا يبقى إلا أن أترككم مع الرسائل..

لكنني قبل ذلك أريد أن أوجه رسائل عاجلة:

الرسالة الأولى إلى الشهيدين الكويتيين العظيمين أنس الكندري وجاسم الهاجري اللذين أنقذا شرف الكويت بعمليتهما الاستشهادية ضد الأمريكيين.. كان وضع الكويت أمام الأمة والتاريخ قد تحول إلى رمز لخيانة قضية الأمة والتحالف مع أعدائها..

البطلان الكويتيان أظهرا أن الداء الوبيل ليس في الشعب الكويتي نفسه، بل إن الداء – كبقية العالم العربي- في الحكام وليس في الشعب..

أيها الشهيدان العظيمان.. جزاكما الله عن الأمة خيرا.

الرسالة الثانية إلى الدكتور أيمن الظواهرى.. حمدا لله على سلامتك يا بطل مصر الغالي ومجاهدها العظيم، الله والأمة يعرفون أن من ينعتونك بالإجرام هم المجرمون.

الرسالة الثالثة: إلى العميد محمد دحلان – وليس مهما وظيفته التي يشغلها الآن في السلطة الفلسطينية، لأننا نختزل هذه الوظيفة في كلمة واحدة: الخائن- أقول للعميد محمد دحلان الذي وجه في الأسبوع الماضي نفس الاتهامات التي يوجهها سيده ومولاه شارون إلى أعظم ظاهرة في العالم العربي: حماس.. أقول للعميد أن أي صهيوني وكل صهيوني أشرف منه.. لأنه – بالفجر والجبروت والسرقة والقتل يبنى وطنا مسروقا، بينما دحلان ينفس الأدوات يبيع وطنا سليبا.

الرسالة الأخيرة لأجهزة الأمن في العالم العربي: كلما رأيت مظاهرة لنصرة العراق أو فلسطين في أي بلد من بلدان العالم هتفت في لوعة : أخزاكم الله في الدنيا والآخرة..

نعم أخزاكم الله..

قتلتم أمتكم..

كنتم أشد عليها من الموساد والسى آى إي..

بل لم تكونوا من البداية سوى فروع لها.
فأخزاكم الله..

***

والآن إلى المقالات الخمس:

الدكتور محمد عباس

رسالة من ...

مواطن مصري

إلى ...

الرئيس مبارك

(سلسـلة أفـاق وتحـديات عربيـة) – إصـدار الشـركة العربيـة للطباعة والنشر – أكتوبر1993

بسم الله الرحمن الرحيم

بدلا من المقدمة

طـرحت – والأصـدقاء – أسـماء معظم كبـار المفكـرين المتهمين بهموم الوطن لتدبيج مقدمة هذا الكتاب، بيد أن فكرة غلابـة مـا بـــرحت تلح على، ألا وهى أن الأولى بالســـعي إليهم لتشـــريفي بتقـديم هـذا الكتـاب هم قـراؤه، فكبـار المفكـرين آرائهم معلنـة بصورة أو بأخرى .

ولقـد يسـر على الأمـر أن مـادة هـذا الكتـاب قـد نشـرت في صحيفة " الشعب " الـتي يجمـع معظم المفكـرين أنـه لولاهـا مـا كانت في مصـر صـحافة معارضـة . وقـد تـرتب على ذلـك تـوافر نماذج شتى من الآراء والردود والتعليقات، إلا أنـني وجـدت لزامـا على ألا أكتفي – كالسلطة – بإيراد كل رأى مؤيد وحجب كل رأى معارض . ولقد علمنـا القـرآن أنـه لا يهمـل – في الجـدل - حـتى حجج الشيطان .

لذلك طرحت كل الآراء المعارضـة الـتي لم تمثـل سـوى نـزر يسير من مجمل الآراء الأخرى، ومن هذا المنطلق كان طبيعيا أن ينشر حتى تعليق فرج فودة، جنبا إلى جنب مع بطاقة من صفوت عبد الغنى .

يشتمل الكتاب على جـزأين : الجـزء الأول سلسـلة المقـالات الخمس : " من مـواطن مصـري إلى الـرئيس مبـارك " ويحتـوى الجزء الثاني على مجموعة مقـالات أخـرى تشـكل امتـدادا وثيـق الصـلة بـالجزء الأول. ولقـد كـان طبيعيـا على سـبيل المثـال أن تكتمل الرسالة الثالثة للرئيس مبارك وموضوعها التعذيب برسالة أخرى للأستاذ خالد محمـد خالـد عن نفس الموضـوع، كمـا تـرتب على ذلك – اسـتكمالا للموضـوع – أن نـورد رد اللـواء حسـن أبـو باشا فتلك كلها حلقات شديدة الاتصال بموضوع هذا الكتاب.

كان طبيعيا أيضا أن نورد مقال الكاتب الكبير فهمي هويدى :" تقرير عربي عن الفتنة الأمريكية" بعد أن أشير إليه في أكـثر من مقال .

بقى شكر احسبني عاجزا عن الوفاء به لرجل : نسيج وحــده، أمه في رجل، رجل مثلت نشاطاته الفكرية توهجا يضئ الحقيقة، إلا كتاباته شـكلت في نفس الـوقت عائقـا أمـام الكثـيرين – وأنـا منهم – حين كنـا نفاجـأ بـه كأنـه يغـترف من أعمـق أعماقنـا، من أرواحنا ونفوسنا وقلوبنا وعقولنا جميعا ليصوغها في مقال ممهور بتوقيعه، نفس المقال الذي انتوينا كتابته !!..

رجل ما كان يمكن لموضوع هذا الكتـاب أن ينشـر في مصـر على صفحات صحيفة – كما صارحني رئيس تحرير إحدى الصحف – إلا إذا كانت هذه الصحيفة هي "الشعب" وكـان رئيس تحريرهـا هو هذا الرجل : عادل حسين . أم أنه ينبغي علينا أن ننتظـر حـتى يموت – كجمال حمدان – كي نقول فيه كلمة حق ؟!!.

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

د/ محمد عباس

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

إلى من أسعدني وأبكاني في آن واحد على مدى ثلاثة أسـابيع حتى الآن إلى

والله لقد فاضت عيناي بالدمع وأنا أقرأ مقالاتك.

تدمع حزنا لوجود أناس لا يخشون الله .. وتدمع فرحـا لوجـود أمثالك، حفظك الله من بطش الجلادين وسدد خطاك .

منصور إبراهيم عبد اللطيف

ديرب نجم – شرقية

مـــــن مواطـن مصري
إلى الرئيس مبارك "1"

السيد رئيس الجمهورية : محمد حسنى مبارك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عيد ميلاد سعيد، أدعـو لـك الله فيـه بمجـامع القلب وأعمـاق الروح أم يجعل في استخلافك على بضعة من أمة محمـد "صـلى الله عليه وسلم" خيرا لها وخيرا لك .

عيد ميلاد سعيد يا سيدي .

عيد ميلاد سعيد أقولها لك حقا وصدقا رغم أنني أعرف أنك لا تصدقني، لا تثق في، لا تسمع إلي، ولا تقرأ أبدا صـحيفة من تلـك الصحف التي أكتب فيهـا، وتلـك أحـد أوجـه مأسـاة العلاقـة بيـني وبينك، ذلك أ حاشية السوء دأبت على أن تصور لك أن كل كلمـة منى هي هجوم عليك، وأن كل رأى لي هو انتقاد لـك، وكـل إرادة لي انتقاض من إرادتك، وكل حرية أنالها انتقاص لهيبتـك، بـل بلـغ بهم الأمـــر – قـــاتلهم اللـــه – أن صـــوروا لـــك أن تلمس نبضـــي والاستماع لرأيي وتنفيذه هـو ضـعف للإرادة لا يليـق، وأن الحـزم والحسم في احتقاري وعنادي، رغم أنهم يعرفون أن العناد يورث الكفر، ويعرفون أيضـا أنـه لا يـدخل الجنـة من في قلبـه ذره كـبر يغمط بها الحق ويحتقر الناس .

لكنني بالرغم من ذلـك كلـه يـا سـيادة الـرئيس أحبـك، واللـه أحبك لكن حبي لك ليس حب منافق يهوى بك إلى النـار، ولا حب أحمق يوردك موارد التهلكة، إنما هو حب أخ لك في الله يـرى أن أعظم ما يهديه إليك عيوبـك، وقـد تتعجب يـا سـيدي من إقـراري بحبك، وقد تتندر حاشـية السـوء حولـك، لكن كيـف لا أحبـك وقـد حـذرني سـيدك وسـيدي أنـني لا أومن حـتى أحب لـك مـا أحب

لنفسي، وكيف لا أحبك وأنت رئيسـي، رمـزي، وجهي الـذي يـراه العـالم، أهلي، ودمى مهمـا اختلفنـا فـإن مـا يصـيبك يصـيبني، وما يؤلمك – في حدود مصالح الـوطن وكرامتـه – يـذبحني، كمـا ذبحت حادثة 4 فبراير وعملية القرصنة الجوية الأمريكيـة مشـاعر المواطنين جميعا بغض النظر عن موقفهم من الحاكم.

وكيف لا أحبك وليس ثمة شئ في حيـاتي كلهـا تفـوق أهميتـه قيمة كلمة أنتظر أن تقولها، وفعل أود أن تقدم عليه، وتوبة أرجـو أن تتوبها، ليس ثمة شـئ في حيـاتي يعـدل ذلـك، حـتى الوالـدان اللذان أوصاني الله بهما، حتى الزوجـة والأبنـاء والإخـوة والخلان، ما اهتمامي بأحد منهم يعدل اهتمامي بك، ولا أفكر في أحد منهم قدر تفكيري فيك، ذلك أن ازورار أي أحد منهم عن الحق لا يعدو في تأثيره محيطه الصغير، أما أنت فزلتك تزل بها الأمة، لا قيمـة لشـيء إن لم تكن أنت على صـواب، حـتى الـثروة والمجـد مـا قيمتها إذا كانت الأمة مستباحة ؟

من أجل هذا لا يهمـني أمـر أحـد كمـا يهمـني أمـرك، فكيـف تشك بعد هذا كله أنني أحبك، بيد أن حبي لك هو حب في الله، لا من أجل جاه تسبغه عليّ ولا سيادة تسيدنيها، أحبك على الخير لا على الشـر، على الحـق لا على الباطـل، على الإصـلاح لا على الإفساد، على إعلاء كلمة الله لا النظام العالمي الجديد .

وحين تقدم على ذبحي يـا سـيادة الـرئيس فواللـه لا أكرهـك إنما أكره ما تفعل وما تقول.

أظن أنني واضح وصريح معك بدرجة قـد تقنعـك أن هنـاك مـا يجمعنا وأن مـا يجمعنـا جـدير بـأن يـدفعنا للبحث عن لغـة يكـون مـدلول الكلمـات فيهـا بيننـا واحـدا، فهـل نسـتطيع أن نجعـل من الألفاظ وسيلة للفهم لا لسوء الفهم، للاقتراب لا للابتعاد ؟؟.

إن الصـمت بيننـا مـوحش، انعـدام الهـدف المشـترك بيننـا يخنقني، الشرخ في جـدار الثقـة يزلـزل كيـاني، هـل أسـتطيع أن أحدثك، لا باللسـان لكن بـأعمق مـا في القلب من شـجن ورغبـة في التوصل والفهم، بحزن الثاكل والأرمل واليتيم واللطيم أموت شوقا حتى ولو ليثبت أنني مخطئ وأنك كمـا تقـول لا كمـا أظن . هـل يمكن أن تسـمعني كمـا كـان عمـر بن الخطـاب رضـى اللـه عنـه يسـمع امـرأة من عامـة المسـلمات، وهـل يمكن أن يكـون التعامل بيننـا كمـا كـان التعامـل بين عمـر وأبى بكـر رضـى اللـه عنهمـا مـع من أنكـروا عليهمـا حقهمـا في الخلافـة ؟ مـع إمـام المتقين على أو مع الصحابة سعد بن عبادة الـذي رفض أن يبـايع

الصديق والفـاروق وظـل حياتـه يغلـظ القـول لهمـا ويـرفض أداء المناسك خلفهما . فهل تسمح لي يـا سـيادة الـرئيس أن أحادثـك بصدق، أن أخالفك وأهاجمك، أن أكشف لك عن خبيئة نفسي، أن أجـردك في خيـالي من هـالات السـلطة وجـبروت القـوة وبهـرج الدنيا الزائف، أن أحاسبك، كما لا بـد سأحاسـبك يومـا أمـام اللـه حين تكون ضـعيفا مثلى، مرعوبـا مثلى، بلا حـول وبلا قـوة مثلى، حين تتلمس رضاي ورضا الأمة، فينا وضع الله الشفاعة لك.

فهـل تسـمح لي، لن تكـون منـة منـك أنـك الـرئيس العـربي الوحيد الذي يستطيع أحد مواطنيه أن يخاطبه، لن تكون منة منك بل فخرا لك، ووجاء من النار يوم القيامة .

وأنا يا سيدي واحد من عامة المسـلمين أخـاف كمـا يخـافون، وأتجنب موارد التهلكة، لكن إن كـانت التهلكـة في حـديث صـادق لك فبطن الأرض خير، أجـل، أخافـك لكن خـوفي من اللـه أشـد، كما أخشى يا سيدي والله جلاديـك، ,أخشـى أبـا لهب وأبـا جهـل، قتلة سمية وسيد قطب وسـليمان خـاطر لكنـني أعلم أن عـذاب الله اشد، فإن خيرت بين عذابه وعذابك فأهلا بعذابك ..

فهل تسمح لي يا سيادة الرئيس أن أكتب لك .

سيدي:

شائك أن أكتب إليـك وصـعب .. أن أحـاول بموضـوعية حـوار رئيس جمهورية ما زال يحكم .. فقـد درجت العـادة في بلادنـا أن يكـون الحـاكم نبيـا طالمـا حكم، ثم شـيطانا رجيمـا عنـدما يـترك الحكم . ولست أخشى على نفسـي شـبهة نفـاق لـك .. بـل على العكس أخشى أن أغمطك بعض حقك استجلابا لتقريـظ شـجاعة مزعومة . أخشى يا سيدي أن تخدعني نفسي ويغـرني الشـيطان فيقال لي يوم القيامة : قد كتبت كي يقال إنك شجاع وقـد قيـل، أذهبـوا بـه إلى النـار، يصـيبني الـرعب من نفسـي على نفسـي فأتساءل والرعب موج كالجبال في ليل أليل : ماذا لو كان مبارك والسادات على حق، وماذا لو لم يكن معاوية ويزيد كظني بهما ؟ ماذا أفعل وماذا يفعـل بي إذا جئتم يـوم القيامـة آخـذين بخنـاقي هاتفين : ظلمنا يا رب ؟؟ .

تلك مشكلة يا سيدي لا أملك لهـا – كمـا لا تملـك أنت أيضـا – حلا حتى يكشف عنا غطاؤنا فيصبح بصرنا يومها حديدا .

لكنـني أقحمت نفسـي فيمـا هـو أشـد من حـوارك وأعظم، وزعمت لنفسي الحـق في اسـترجاع تاريخنـا كلـه ومواجهـة أحـد صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وأحد كتاب رسائله –

لا وحيه – حين رجعت بأسباب تدهور العالم الإسلامي إلى معاوية بن أبى سفيان الذي ثلم الإسلام بجرحين لم يرتقا بعده : ألا وهما : شرعية الحكم ووظيفة المال في الأمـة، حـتى لقـد كـدت أوقن أن كــل حــاكم بعــده ليس ســوى غاصــب، وكــل مــال ليس إلا مغصوبا، وإن الإسلام المطروح منذ ذاك ليس هـو الإسـلام الـذي أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – بل هـو بالضـبط ليس إلا الانقلاب عليـه، انقلابـا مـا زال يكوينـا بنـاره ويبهظنـا بنـيرة . أفأنكص أمامك أنت عن كلمـة الحـق وقـد أدنت معاويـة ؟؟!! فلا خير في إن لم أقلها ولا خير فيك إن لم تسمعها..

أنا يا سـيدي من ذلـك الجيـل الآفـل الـذي يطـرق الآن أبـواب العقد السادس من عمره، جيـل الحلم الـذي هـوى بالمجـد الـذي انطوى، جيل السقوط والنكسات والهـزائم والنكبـات، جيـل عهـر الكلمات والزنا بالمحارم تحت عباءة الشـرعية وانعـدام التطـرف والتشدد . جيل رآهم بأم أعينه يغـيرون وضـع اللافتـات فيضـعون على الجنون لافتة قـد كتبـوا عليهـا العقـل، وعلى الخيانـة أمانـة، وعلى التزوير نزاهة، وعلى العمالة تحضرا، وعلى الكفر – الكفــر وضعوا لافتة تحمل حروف كلمة الإيمان .

وهـذا يـا سـيدي مـا يـدفعني للكتابـة إليـك، لكن غـير مقتصـر عليــك، فلســت يــا ســيدي ظــاهرة فريــدة لا تمثــل إلا نفســك فالسـمات الموجـودة فيـك هي هي ذاتهـا الموجـودة في أقرانـك وزملائك وكل من يسبق أسمه جلالة أو فخامة أو معالي أو ســمو وكل من نودي " يا مولاي " ليس في هذا العصر فقط يـا سـيدي، بــل ارتجاعــا في التــاريخ إلى معاويــة ويزيــد والســفاح . ولعلى أعترف بأنني وجدتك في البداية تفـوق معظم أقرانـك لكنـني مـا لبثت أن أدركت أن الفـارق بينـك وبينهم لا يعـدو كثـيرا الفـوارق الطبيعيـة لتـاريخ الحضـارة وعمرهـا وطبيعـة الشـعوب واختلاف الممارسات تبعا لذلك، فهو كالاختلاف بين الإعدام على الخــازوق أو الصليب والإعدام رميا بالرصاص أو على الكرسي الكهربــائي . ولقد احتارت فيك مشاعري كما احتار عقلي، لم أفقد الأمل فيـك لكنني لم أعلقه أيضـا عليـك، لكن أشـد الأمـور قسـوة عليّ، هـو افتقاد لغة الحوار بيني وبينك، فما أقوله أنا لا تفهمــه أنت – شــد ما يحزنني ما يتكرر كثيرا في خطبك عندما تقول في عصبية : أنا موش فاهم – إن ما تقوله أنت أيضـا يطـرق آذاننـا لكنـه يخاصـم عقولنــا وقلوبنــا، لا عن عــدم فهم بــل عن اختلاف لغــة وتبــاين مسميات، ليس بيننا وبينك فقط، بـل بيننـا وبين كتابـك وسـدنتك، احترنا، حتى امحت الفـروق بين الكـاتب والمهـرج، وبين المفكـر

والبهلوان، بين الحكومة والعصابة وبين العصابة والحكومة، بين عدو الله وبين عدو الشيطان، بين رجل الدين الذي يعبد الله والآخر الذي يعبدك من دون الله .

قل لي يا سيدي الرئيس : ماذا تريد الآن، أستخرج لك به فتوى، وأجرى استفتاء، وأغطيك بفلسفة، وأجد لك ألف كاتب يدافعون عما تريد، قله، وسوف يوافق مجلس الشعب بالإجماع، وسوف يشيد مجلس الوزراء بحكمتك . قل غيره يا سيادة الرئيس، لا، ليس غيرة فقط، بل عكسه تماما وأنا كفيل – والله – بعكس الفتوى وعين المستفتين وذات الفلسفة وجميع الكتاب . فهم يا سيدي من قوم ذلك الشاعر الذي قال لك أو لأحد أسلافك ...... لا يهم فالكل واحد:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار .

ولعلك يا سيدي لا تنسى فضيحة شيوخنا أثناء كارثة الخليج حين لم يحدث ولو مرة، لم يحدث ولو ذرا للرماد في العيون، أن اختلف شيخ منهم مع حاكم بلده، وذلك يا سيدي لم يفقدنا الثقة فيكم جميعا فقط، بل أفقدنا الثقة في شرعية الحكم، وفي النخبة الحاكمة كلها، النخبة الحاكمة بما تضم من مال وعسكر وشيوخ، وأفقدنا الثقة أيضا بشرعية الجغرافيا، شرعية تلك الحدود التي وضعها أعداؤنا بين شعوبنا، فرحتم تدافعون عنها بكل شراسة مهدرين أمن الأمة نفسها.

من أجل هذا كله يا سيادة الرئيس لا بد أن أحادثك، أن أكشف لك خبيئة نفسي فبالصدق – والصدق فقط – يمكن أن ننسج معا حروف لغة مشتركة، فهم مشترك، نستعين بهما على الابتلاء العظيم بالدنيا، وهو – كما لا ريب تعلم – ابتلاء نكصت عنه السماوات والجبال والأرض فقبلناه بظلم وجهل، كل منا ابتلاء للآخر فتحمل إذن صدقي، ودعني أسرد عليك بعضا من علاقتي بك، لعلنا نجد بين الأشلاء وشيجة انقطعت يمكن أن تتصل!!

عندما جئت أنت لم يكن في قلوبنا مزيد من محبة أو كراهية، كان صمتك يغرينا بالأمل فيك، وكان مجدك – مجدنا – في أكتوبر 73 مرتسما على ملامح وجه طيب يغرينا بذكريات دالت عن مجد لا ينبغي أن يدول، ولم نكن ننتظر الكثير منك، لقد تعرضت مصر وتعرضنا لخطر ساحق ما حق انتهى بمجيئك . كنا منهكين متعبين سعداء . كان ما نريده أيامئذ أن نرتاح قليلا، فلشد ما كان

الطريق وعرا والآلام هائلة، أعطيتنا في البداية هدوءا كنا نحتاج إليه، ثم فاجأتنا بعض قراراتك الصائبة، فقل نزيف المرارة الذي ننزفه، وأفرجت عن المعتقلين من عيون الوطن وعقوله وفلذات كبده وسويداء قلبه وقابلتهم في اعتذار صريح للأمة وللوطن وللتاريخ عن جريمة اعتقالهم، وبدأت تنمو براعم أمل فيك، أصارحك أننا حاولنا قدر جهدنا أن نئدها، كنا قد وصلنا إلى حال أمسى فيه ألم الموت أهون من موت الأمل، فحاولنا ألا ينمو داخلنا أمل فيك، وعندما بدأت محاكمة خالد الإسلامبولى كان قلبنا يوجس خيفة خاصة عندما قررت المحكمة أن تكون الجلسات سرية، كان واضحا أنكم تخفون عار كامب ديفيد والمبادرة عنا، وأنكم تتجنبون إلهاب مشاعر الجماهير الصامتة المترقبة، وكانت إسرائيل أيضا تترقب، وأميركا والعالم كله ينتظر، وحاولت الأمة وحاولت أحزاب المعارضة وحاول المحامون، لكن ماذا يفعل المنطق في قلوب كالحجارة أو هي أشد قسوة، وترامت أخبار من هنا وهناك أن إسرائيل تشترط إعدام خالد الإسلامبولى ورفاقه قبل إتمام انسحابها من سيناء . وصدر الحكم بالإعدام . وساورنا أمل حزين بائس أن الطيار القديم والمحارب البطل محمد حسنى مبارك سوف يفاجئ الدنيا كما فاجأها في أكتوبر 1973 فيخفف الحكم . لكن حكم الإعدام نفذ فعلا قبل انسحاب إسرائيل من سيناء، وكان الرصاص الذي أطلق على خالد الإسلامبولى ورفاقه يصل إلينا فيشوى جلودنا ويمزق لحمنا ويهشم عظامنا .

وأدرك الناس أن الفجر لم يلح وأن الخلاص بعيد ووجدتني أردد مع أمل دنقل

لا تحلموا بعالم سعيد ....

فخلف كل قيصر يموت .. قيصر جديد ...

وخلف كل ثائر أحزان بلا جدوى ودمعة سدي ...

أخذنا نلعق جروحنا، نجتر آلامنا، نلملم أشلاءنا الممزقة، لا نحتمل ولا نتصور أن تكون امتدادا لما مضى وأن نواصل المعاناة كما عانينا، فطفقنا نبحث لك عن أعذار تقلل من وطأة ما حدث، وبرغم أن تصديقك علي إعدام خالد الإسلامبولى مزق قلوبنا بجرح ما يزال ينزف إلا أننا تجاوزنا الأزمة ... كان شرفنا القومي والديني قد بيعا بثمن بخس لكننا لم نكن قد حصلنا عليه بعد ... وبدا أن العدو الفاجر يساوم بحياة خالد الإسلامبولى مقابل سيناء مثلومة الشرف ... ولو كان لي الخيار لما اخترت التضحية بخالد،

ولكنني كنت على استعداد لأن أتفهم لا أن أقبل باختيارك . كـانت الهـواجس تسـتبد بنـا كـوابيس ليـل بهيم، كيـف تم اختيـارك نائبـا للرئيس ولماذا، ونحن نعلم – كما تعلم سيدي – أن منصـبا كـذلك تتداخل فيه مئات العوامل الداخلية والخارجية، لكننا كنا نبعد تلـك الأحلام الكابوسـية فلم نكن نحتمـل مزيـدا من الألم ومـع بـوادر حرب الفساد في الداخل وسحب السفير المصـري من إسـرائيل وتجميـد التطـبيع أحسسـنا أنـك تسـير في الطريـق الصـحيح لكن ببطيء شديد، وشبهك محمد حسنين هيكل بالطيـار الـذي يفحص أجهزة طائرته وممرات مطاره قبل أن يقلع، لكن الأيام تلو الأيام تمر والطائرة جاثمة والطيار لا يقلع . ثم جاءت انتخابات سنة 84 بما حدث فيها فكانت كحمض حارق ينسـكب على جلـد مشـوي . قطعت رأسا للفساد فنبتت رؤوس ثم رؤوس، كـان ضـمير الأمـة يناشدك في صمت مأساوي مشـحون : واصـل، كن كأملنـا فيـك، نحن نعلم أننا في الخارج مقيدون عاجزون محكومـون، ولا نطلب منك إلا ما في وسعك، واجـه الفسـاد، في إصـلاح الـداخل النفـاذ من الحصـار الخـارجي . وظننـا أنـك سـمعت صـوتنا، نـداء قلوبنـا وهتاف أرواحنا إليك .

وبدا في البداية كأنك حريص ألا تستمع إلى أقوال مرسلة قـد تكون مجرد إشاعات كاذبة وبـدا حرصـك على عـدم اتخـاذ إجـراء ضــد شــخص إلا بحكم قضــائي حرصــا لــه وجاهتــه رغم بطئ إجراءات التقاضي من ناحية، وعدم إمكانية الإحاطة بكل الجرائم التي تتستر عليها مراكز قوة تحتمي بالسلطة من ناحية أخــرى .. ومن ناحية ثالثة فليست كل الأخطاء الموجبـة للإبعـاد عن العمـل العام تخضع لقانون العقوبات . وبرغم كل هذه الاعتراضـات فقـد كنت ألتمس شيئا من العـذر لـك .. كنـا مختلفين وكـان لكـل منـا منطقة .. لكنني لم أستطع أن أجد عذرا على الإطلاق لـك عنـدما بدأت السـلطة التنفيذيـة تتحـدى أحكـام القضـاء .. لم يكن الأمـر انتظارا لعدالة القضاء إذن، بل استغلالا لبطئ إجراءاته .

لكن الأمـر لم يسـتمر كـذلك، فـذلك انتهى، فلكـل أول آخـر ولكل مبتدأ نهايـة، إذ مـا لبثت أحكـام القضـاء أن تـوالت فـراحت حكوماتك يـا سـيادة الـرئيس تتحايـل عليهـا، حـتى صـرخ الكـاتب الكبير أحمد بهاء الدين – قبـل انفجـار الـدم في رأسـه – مناشـدا الحكومة أن تكون خصما شريفا، وفهمنـا معـنى صـرختـه المهذبـة المعذبة أن الحكومة تصرفت كخصم بلا شرف . وانفجر الدم في عروقنا نحن الآخرين يا سـيادة الـرئيس. بـل وأنفجـر في حيثيـات حكم شهير ناشد السلطة أن تتحرى الدقـة والطهـارة في اختيـار

رجالها، وانفجـر السـؤال نزيفـا في قلـبي : هـل يرضـى الـرئيس حسنى مبارك أن يكون عهده موصوما بهذه الوصمة .

بعد ذلك فوجئنا بوضع غريب يحدث يا سيادة الـرئيس، غـريب مريب، دعني أقله لك قبل أن يقال عنك، قبل أن يكتبها أبو جهـل في الصفحة الأولى كما فعل مع سلف سلفك ومع زوجة سـلفك، هذا الوضع يا سيادة الـرئيس هـو موقـف الدولـة من الفسـاد، إن شعوري كمواطن هو أن الدولـة بقوتهـا الأسـطورية لم تكـف عن محاربتـه فقـط، ولم تغمض أعينهـا عنـه فقـط، ولم تتسـتر عليـه فقط، وإنمـا راحت تربيـة وتنميـة، حـتى لقـد أصـبح الفسـاد ليس سلوك أفراد تحاربه الدولة وتتربص بـه، بـل سـلوك دولـة يحاربـه أفراد فتتربص الدولة بهم . تغلغل الفساد حـتى إلى جهـات كـانت مهمتها محاربة الفساد، ولم يعـد نبتـا شـيطانيا بـل شـجرة زقـوم هائلة تتشابك جذورها مع جذور السلطة وتتساقط ثمارهـا عليهـا، دعك يا سيدي من تقارير الصحف بالطهارة فأنت تعرفهـا، ودعـك من أحكـام القضـاء بـالبراءة، أنـا لا أهـاجم القضـاء لكن عنـدما تتناقض أحكامه مع ضمير الأمة ووجـدانها الجمـاعي فليس لـذلك معنى إلا أن شـيئا خطـيرا خطـيرا خطـيرا حـدث، شـيئا لا يشـرخ شرعية نظـام الحكم فقـط بـل يهـدم أسـاس المجتمـع كلـه، من المفروض أن القضـاء ينفـذ بحيـدة قانونـا موضـوعا فـإذا خـالفت الأحكام ضمير الأمة فالقضاء مخطئ أو القانون باطل، وإذا شاب القانون بطلان فأساس تماسك الدولة كلها في خطر، وأنــا معكم يا سيدي الـرئيس أمجـد القضـاء وأنزهـه، ولكن ليس بطـريقتكم، لأن الإصرار اللحوح على إثبات شئ إنمـا يواجـه دائمـا نفيـا خفيـا بضده، وأنا أمجد القضاء وأنزهه لكنني لا أنسى أبدا أن قاضيا في الجنة وقاضيين في النار، ولا أنسى أيضا من عبرة التاريخ أن أشد السـلاطين دفاعـا عن نزاهـة القضـاء كـانوا هم لا غـيرهم أكـثر السلاطين دأبا على إلقاء تبعة جرائمهم على القضاة، ولكم قتلـوا وسجنوا وعذبوا وسلخوا وأحرقوا وسحلوا وارتكبوا كل كبيرة وكل منكـر، لا لأن الشـيطان داخلهم أراد ذلـك بـل لأن القضـاء النزيـه العادل حكم به، أما هم، الأبرياء الأتقياء الأطهـار الأبـرار فكيـف لا ينزلون على أحكام القضاء وكيف لا يرضخون لأمره .

أيامها يا سيادة الرئيس كانت مشاعرنا تصـرخ توسـلا إليـك .. أنت منا.. أنت نحن لا هم، كنا نخشى عليـك منهم، من أبى جهـل وأبى لهب وابن أبىّ الـذين لا مكـان لهم في ظـل حـاكم عـادل، كانوا يدافعون عن وجودهم وكنا ندافع عن أنفسـنا وعنـك، ولشـد ما وددنا يـا سـيدي واللـه أن تكـون معنـا، نحميـك وتحمينـا، وحلم

الناس أن تكـون أبـا زيـد الهلالي، عنـترة بن شـداد، صـلاح الـدين الأيوبي، وكل بطل شـعبي هب لينقـذ أهلـه من جلاديهم، وابتـدع الوجدان الشعبي العبقري شائعة انتشرت في أربعة أركـان مصـر انتشار النار في الهشيم .. وكانت تعبر عن لهفة الشعب المقهـور للبطـل الـذي يخلصـه من ذلـه، وممن كـان واجبهم حمايـة أمنـه فاغتالوه .. قالت الشائعة إن أحد كبـار ضـباط الشـرطة اصـطدم بـابن حسـنى مبـارك في محطـة بـنزين عنـدما لم يحـترم دورة (هكذا يراهم الشعب) فاعترضـه أبن الـرئيس في هـدوء (هكـذا يتمنـاه الشـعب) ولمـا كـان الضـابط لا يعرفـه فقـد انهـال عليـه بسباب قـذر (هكـذا عـرفهم الشـعب) لكن ابن الـرئيس تمالـك أعصابه تماما (هكـذا يتمنـاه الشـعب) إلا إنـه أصـر على موقفـه بعـزم من حديـد (هكـذا يريـده الشـعب) وازداد تطـاول الضـابط (هكذا خبرهم الشعب) وإزاء ذلك طلب ابن الرئيس التوجه إلى قسم الشرطة للتحقيق .. واعتبر الضابط أن هذه فرصته الكبرى للتنكيل به في قسم الشرطة حيث يمكن هناك - فيما يفترض أنه قلعة الأمان – أن يعذبه عذابا لا يدركه أحد ولا ينقذه من بين يديه منقذ .. وتوجها إلى قسم الشرطة وهنـاك قـابلوا الضـابط الكبـير بآيـات التبجيـل والتوقـير واسـتقبلوا ابن الـرئيس باسـتهانة ولم يسمحوا حتى بالجلوس .. وبدأ التحقيق الذي كان ينتوى به تلفيق قضية للمـواطن ... وأدلى الضـابط الكبـير ببياناتـه شـفهيا لكنهم طلبـوا بوقاحـة من المـواطن بطاقتـه، وكـاد المحقـق أن يسـقط مغشيا عليه عندما أدرك أن من شارك في الاسـتهانة بـه هـو ابن رئيس الجمهوريـة .. وفى لمح البصـر انقلب الوضـع تمامـا فـإذا بالضابط الكبير يتهـاوى ويتـذلل إلى ابن الـرئيس أن يصـفح عنـه، لكن ابن الـرئيس يـرفض .. ويحضـر مـدير الأمن والمحافـظ بـل ووزير الداخلية لكن ابن الرئيس يظل واقفـا، فليس من حقـه أن يجلس كابن رئيس وقد منعـوه من الجلـوس كمـواطن.. وتنقلب الدنيا ويشتت الظالمون وينتصر الحق ..

كـانت الشـائعة رسـالة أمـل يـائس منسـحق إليـك يـا سـيادة الـرئيس من شـعب أمـل فيـك أن تكـون مخلصـه ومنقـذه من جلاديه .. لكن صحافتك القومية نفت الشائعة بمنتهى القسوة ...

إذن ... ليس هو أنت ..

ريفي أنا مثلك يا سيادة الرئيس .. وكان ليـل القريـة الطويـل يمنحني الوقت كي أفكر وأتأمـل وأحلم وأحاسـب نفسـي . فهـل مارست هذا أنت . أتملك الوقت كي تحاسب نفسـك إن كنت قـد

أخطأت أم لم تخطئ .. أم أن ثمة لعنة في كرسـي الحكم تشـي لشاغله أنه منزه عن الخطأ ..

منـدهش أنـا يـا سـيادة الـرئيس ولا أفهم .. لمـاذا تكـون أنت طاهرا .. وهذا هو اعتقاد أغلبية صامتة - رغم بعض مـا قيـل ولم يحقق – ويكون بعض من حولك غير ذلك ..

ألم تقرأ قولة سـيدي وسـيدك عمـر بن الخطـاب إن من ولى أمر المسلمين فاجرا فهو فاجر مثله .. عليه وزر ما فعل ..

يـا سـيادة الـرئيس .. إنـك إن تجـاوزت عن فاسـد واحـد في بطانتك فسوف يفرخ مئات الألوف ..

يـا سـيادة الـرئيس إن الأحمـق من بـاع أخرتـه بـدنياه . لكن الأحمق منه من باع آخرته بدنا غيره.

سيدي الرئيس

لماذا يتغير الناس عندما تتغير مناصبهم وأوضاعهم

يا سيادة الرئيس .. إن حياة كل إنسان منا حلقات متصلة قــد يختلف فيها الشكل لكن المضمون واحد ... لا يتغير المضـمون إلا لدى العباقرة والمجانين والخونة .. وعلى هذا فإن مبادئ الإنسان وقيمـة الأخلاقيـة لا تتغـير .. وقـد تتغـير الوسـيلة لكن الهـدف لا يتغير .. وقد يقع مـا ليس في الحسـبان فيتـأخر الوصـول للهـدف لكنـه لا يتغـير .. فمـاذا كـان هـدفك يـا سـيادة الـرئيس وأنت في العشرين من عمرك .. في براءة الشباب التي لم تخدشها أنيــاب الزمن .. وماذا كان هـدفك وأنت في الأربعين .. ومـاذا أنت عليـه الآن ...

ما رأيك في صدام حسين الآن وماذا كان رأيك فيه منذ أعوام قليلة وأي الرأيين صحيح ؟ ..

ما رأيك في القـذافى الآن ومـاذا كـان رأيـك فيـه منـذ أعـوام قليلة وأي الرأيين صحيح ؟ ..

ما رأيك في إسرائيل الآن وماذا كان رأيك فيها عــام 73 وأي الرأيين صحيح؟..

سيدي :

ما رأيك فيما يقال عن ثروات بعض حكام العالم الثالث الذين ينهبــون شــعوبهم عــبر سلاســل شــيطانية بغيضــة من الفســاد الاقتصادي وتجارة السلاح ؟.

لقد دفعتني هذه النقطة للتفكير طويلا في كيفية إحساس الحاكم وهو يخون الأمانة . في عالمنا الثالث لا يكاد يوجد حاكم غير ثرى، بل فاحش الثراء، ثرى حتى انه ليكفل لأجيال من ذريته أن يكون طعامهم إن شاءوا ذهبا، الدافع المادي إذن غير كاف لكي يكون السبب الوحيد .

أم يا ترى هو الابتلاء الصعب وليس المال الحرام إلا كماء البحر للعطشان، كلما عب منه ازداد عطشا له وسعارا إليه . وهل تتشكل الخيانة بأسلوب سهل مباشر كأن يقنع الحاكم نفسه بأن شعبه ليس إلا مجموعة من الرعاع أقصى ما يمكن أن يطمحوا فيه حد الكفاف، بعد هذا الحد كل مطلب طمع وإسراف سفيه لا يقدم عليه إلا أحمق لا يقدر المخاطر التي تهدد الوطن . بيد أن حد الكفاف هذا لا يخضع لأية مقاييس ثابتة، إذ قد يكون سفيها من يشرب الشاي، أو يأكل الخبز أو حتى يغرق همه وقهره في تصريف الغريزة التي خلقها الله فيه .

وثمة نقطة أخرى فكرت إنها قد تكون تبريرا للحاكم فيما يفعل : إن الثروة محدودة، ولو وزعت بالعدل فسوف يكون عدل الفقر، سيكون الجميع فقراء، لن يضر الفقراء إذن أن يزدادوا فقرا في سبيل توفير الثروة للحكام الذين يتشكلون في كل وطن من طبقة لا من فرد أو أفراد - هل تأتى المبررات بعد ذلك لإثبات أحقيتهم في تلك الثروة، إنهم هم الساهرون على مصالح البلاد (حتى لو ضاعت المصالح)، الحريصون على أمنها (حتى لو أفتقد الأمن) الأمناء على رفع رايات النصر (حتى لو انهزموا) ..

وهل يدخل في إطار هذه المبررات أنهم لكي يستقروا في الحكم مهددون بالموت كل يوم، وأن أي ثروة يحصلون عليها إزاء هذا التهديد المستمر ثمن بخس، وأنهم يستحقون أضعاف الأضعاف لولا رأفتهم بأحوال شعوبهم .

أتساءل : بماذا يشعر ملك يفرض على كل برميل بترول دولارا له، وعلى كل طلقة رصاص سنتا . بماذا يشعر ذلك الحاكم وهو يهمل ألزم الأساسيات لوطنه ويهدر المليارات في مشاريع أقل ما يقال فيها أنها غير ضرورية لمجرد أن ينال نصيبه من العمولة عليها . وبم يشعر ذلك الحاكم وهو يضيع ثروة أمته على أسلحة فاسدة كما حدث في مصر في القضية الشهيرة على الأقل وكما يحدث كل يوم ولدى حكام إخوتنا الذين أنفقوا مئات المليارات – أو آلافها والله لا أدرى – على أسلحة لم تستعمل قط، لم تحم أمنا ولم تهدد عدوا ولم تؤازر صديقا، حتى إذا وقعت المصيبة هرعوا إلى من يحميهم . فيم ضاع ما ضاع إذن،

لو أنه ضاع لخطأ في الحساب أو تجاوز في التقدير لغفرنا، لكنهم واصلوا خطاياهم مع سبق الإصرار والترصد والتكرار والاستمرار دون أن يتعلموا أبدا . وليس جديدا علينا أن نعرف العمولات الهائلة التي تدفع في تجارة السلاح. ولو أنهم استعملوا هذا السلاح في الدفاع عما ادعوا أنهم اشتروه لأجله لما استمرت نيران الغضب والكراهية سعيرا في حشايانا، بيد أن من خالف القاعدة منهم فاستعمل هذا السلاح لم يستعمله ضد عدو وإنما ضد شعبه أو ضد شعب شقيق . وذلك الله يا سيدي الرئيس ما زاد من مراجل الغضب في صدري . لقد خدعونا كثيرا من أجل القضية والوطن، من أجل الاستقلال، ثم التنمية في وطن مستقل، وضاعت القضايا والأوطان والاستقلال وهاهم أولئك يحاولون إقناعنا بشيء غريب وهو التنمية عن طريق التبعية .

ولطالما ألقيتم باللائمة علينا، زاعمين أننا كسالى متخلفون حمقى لكن الإحصائيات العالمية تقول غير ذلك .

لقد استورد الشرق الأوسط خمسين بالمائة من جملة ما استورده العالم الثالث من سلاح في الفترة ما بين 1971 و 1989، حتى ليتساءل د. سامي منصور عن تكديس السلاح، هل كان هو السلاح المناسب أم كان استنزافا للقدرات ؟، هل كان السلاح الذي نملك مهارات استعماله أم كان مجرد زينة، كأدوات زينة النساء وأفخر أنواع العطور و أحدث السيارات.

لقد اعترف أحد أعضاء منظمة ثورة مصر بإرغامه على الموافقة على شراء أسلحة فاسدة وذلك أثناء خدمته في القوات المسلحة.

وتجمع المصادر على أن العالم العربي هو أكثر مناطق العالم الثالث إنفاقا حربيا وشراء للسلاح . ومعنى ذلك أننا كأمة قد أدينا دورنا و لم نبخل بشيء .

لقد أنفق العالم العربي – عالمنا – على السلاح في عام 1986 فقط 62 مليار دولار لكل فرد في السعودية و 1300 لإسرائيل

لقد استوردت إسرائيل أسلحة في الفترة ما بين 1951 و 1985 قيمتها 21 مليار دولار، في نفس الفترة استوردت مصر بـ 20 مليارا سوريا بـ 22 مليارا والسعودية بـ 23 مليارا والعراق 25 مليارا وليبيا 21 مليار دولار.

أما مجموع ما استورده العالم العربي فيقارب 220 مليار دولار .. أي عشرة أضعاف إسرائيل .

عشرة أضعاف إسرائيل يا سيادة الرئيس ثم ننهزم .

200 مليار دولار في أقل التقديرات، فهناك تقديرات أخرى تصل بهذا الرقم إلى ألف مليار دولار لشبه الجزيرة العربية فقط .

وعلى الرغم من هذا فذلك جزء من الحقيقة فقط يا سيدي، لأن استيراد السلاح يمثل فقط ثلث الإنفاق الحربي . أمتنا أنفقت 600 مليار دولار على السلاح ثم ننهزم، 600 مليار تجمعت من حلال الجياع لا من حرام الضباع، لم تتقاعس الأمة ولم تبخل ولم تسرق ولم تجن من الفساد إلا الخراب، أما السلاح الذي استوردته الأمة بدم قلبها فقد استعمل أكثر ما استعمل في سفك المزيد من دمائها .

يطلق على فضائح الفساد والرشوة في تجارة السلاح اسم : فضيحة القرن العشرين .

وقد ثبت أن عمولات ورشاوى تجارة السلاح في بعض دول العالم الثالث تصل إلى 10% من قيمة السلاح المستورد .

في اليابان قبض على رئيس وزراء بتهمة تقاضى عمولات عن شراء السلاح، وفى ألمانيا تم توجيه الاتهام إلى رئيس وزراء . أما في العالم العربي فالكل أطهار أخيار أبرار، لم يتهم أحد، ولم يدن أحد، نحن الذين اتهمنا وأدنا .

آه يا سيادة الرئيس .

حجم الإنفاق الحربي العربي يزيد مرة وثلثا عما تصرفه فرنسا وألمانيا وأكثر من مرة ونصف عن بريطانيا والصين .

يالها من مأساة ..

ليست جيوشا إذن وإنما شركات لتوظيف الجيوش.

شركات للنصب علينا .

تعداد الجيش الإسرائيلي : 786000

والجيوش العربية 687000 2

لدى العالم العربي 17864 دبابة مقابل 3900 لإسرائيل .

إن الحرب القادمة مع إسرائيل هي حرب صواريخ وفيها تحقق إسرائيل تفوقا ساحقا .

ألهذا يدمرون صواريخ العراق، ويوافق العرب في مجلس الأمن .

إنني أعرف أن مصر هي آخر دولة عربية ينبغي أن تسـأل عن السلاح، لكنها يجب أن تسأل .

وأعـرف أيضـا أن حجم الفسـاد في مصـر رغم ضـخامته قـد يكون أقل من حجم الفساد لدى معظم إخوتنا ..

وبالرغم من ذلك فإننا لا ننسى مـا حـدث عنـدنا، في فضـيحة قضية البوينج الشهيرة رفض الوزيران أحمد نوح ومحمد مرزيان التلاعب حـتى وصـلهما أمـر رسـمي من رئيس الجمهوريـة أنـور السادات بتوقيع الصفقة على الفور، لينشر جيم هوجلاند بصحيفة الواشنطن بوست أن هناك مبالغ أودعت في حسابين سريين في سويسرا أحدهما بـ 8 ملايين دولار والآخر بـ 650000 دولار .

لا ننسى صفقة الأتوبيسات وصفقة حديـد التسـليح الأسـباني، وصفقة الأسـمنت، وقضـية البـترول ومـترو الأنفـاق ونفـق أحمـد حمدي، وفضيحة صفقة التليفونات التي زادت قيمتها عن مليـارى دولار، بينما كان هناك عرض بنصـف المبلـغ لكننـا رفضـناه لنقبـل العــرض الأغلى الــذي قدمــه اليهــودي كــارل كاهــان، ولتقبض السلطات النمساوية نفسـها على بعض أعضـاء العصـابة الداخلـة في الصفقة ولكننا نصر هنا على أن الجميع أطهار أخيار أبرار.

هذا ما حدث عندنا ولعله مجرد فتات بالنسبة لما يحـدث عنـد جيراننا، فما هو الضمان أنه لم يعد يحدث .

هـذا مـا حـدث في صـفقات تتابعهـا الصـحف ويوافـق عليهـا مجالس الشيوخ والشورى والأمة، فماذا يحـدث إذن في صـفقات لا تتابع ولا تعرض، ماذا يحدث في صفقات السلاح ؟ .

قل لي يا سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك :

لماذا تقبل تفويض مجلس الشعب في استيراد السلاح ؟؟؟؟

عيد ميلاد سعيد يا سيدي .

عيد ميلاد سعيد حقا وصدقا .

وأرجو أن تسمح لي بمواصلة حديثي معك في العدد القادم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ... والصلاة والسلام على القدوة والأسوة.

الأستاذ الفاضل / د. محمد عباس

تحية من عند الله مباركة طيبة .. وسلاما أرق من نسيم الصباح وأعطر من شذي الريحان ..تحية من قلوبنا نرسلها من خلف الأسوار .. نرسلها بعبير دمائنا وشذي محنتنا.. نرسلها من قلوبنا يحملها إصرارنا يطير بها فوق المحن والآهات لتصل إليكم متمنية لكم كل الخير والتوفيق.. داعية لكم من أعماق القلب أن تكونوا على خير حال يحبه الله ويرضاه .. وأن يصرف عنكم السوء وأهله وأن يحفظكم من كيد الظالمين وألا يجعل لهم عليكم سبيلا .

أستاذنا الفاضل

نتابع بكل لهفة وبمنتهى الشوق كتاباتكم المباركة .. وحقيقة في هذه العجالة نود أن نقدم لكم شكرنا .. ونسأل الله تعالى أن يجازيكم خير الجزاء وأن ينصركم في الدنيا والآخرة لما تكتبونه بمنتهى الشجاعة والقوة والوضوح نصرة للمستضعفين . المقهورين في بلادهم وأوطانهم .. وحربا على المفسدين الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا..

أستاذنا الفاضل ..

رغم محنتنا ورغم الأسوار إلا أننا نرى إشراقة الفجر تشق دياجير الظلمات .. سوف يأتي الفجر – أستاذنا – قريبا وسيمسح بطيب نسماته آلام الظلام .. سوف يأتي الفجر – أستاذنا – قريبا وتحقق الآمال

نعم .. نراه يرنو من قريب .

تتوق الأنفس إليه .. ولكنها حكمة لا بد أن تتحقق

"... ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. "

وختاما ..

تقبلوا سلام إخواننا من هاهنا جميعا ودعواتهم وتحياتهم .

وفقكم الله إلى كل خير ..

ونصر بكم الإسلام والمسلمين ..

إخوانك
ممدوح على يوسف
صفوت عبد الغنى

مــــــن مواطـن مصري
إلى الرئيس مبارك "2"

فخامة الرئيس :

عام سعيد يا سيدي .

عام سعيد عليك وعلى أمتك..

عام سعيد يخفف عنا وطأة أعوام الحزن .

عـام سـعيد تـرفض فيـه تفـويض مجلس الشـعب لاسـتيراد السلاح، وليس هـذا فقـط مـا نرجـوه من بطـل 10 رمضـان، بـل ونرجو أن تكـون مصـر تحت قيادتـك سـباقة لتشـكيل لجنـة على أعلى مسـتوى لمراجعـة كـل مشـتريات السـلاح في مصـر لتعلن نتيجـة مراجعتهـا على العـالم، لجنـة تكـون وسـام فخـر لعهـدك ووصمة عـار لأشـقاء لم تكن الجيـوش عنهم إلا جيـوش المحمـل والمهرجانات وإرهاب الشعب، وجيـوش جعلتهم رحمـاء بالأعـداء أشداء بينهم، جبارون علينا خوارون أمامهم .

لقد هزمنا وتعدادنا كعرب أربعون ضعف تعداد إسرائيل، ناتجنا القـومي عشـرون ضـعفا، تعـداد جيوشـنا أربعـة أضـعاف، وحجم أسـلحتنا أربعـة أضـعاف، وإذا مـا أدخلنـا العـالم الإسـلامي في الحسبان – كما يجب – لتضاعف الفارق أضعافا مضاعفة أخرى .

وقد يتبادر إلى الذهن أن أسلحتنا كانت متخلفة، وهذا ما تنفيه تماما مؤسسات الغرب العسكرية ومجلاتهم المتخصصة .

وقـد يـزعم حـاكم أن شـعوبنا متخلفـة عن شـعوبهم، لكن الإحصـائيات عن حملـة الماجسـتير والـدكتوراه في بلادنـا، وعن نماذج المواطنين الفذة التي تسـتطيع عبقريتهـا في الخـارج، كـل

ذلك دليل قاطع هو أن الفرق بيننا وبينهم هـو الفـرق بين حكامنـا وحكامهم .

لم نهزم إذن عن قلة .

ولم نهــزم عن ضــعف في الإمكانيــات أو نقص في المــال والعتاد.

هزمنا بعد ما قدّمنا، لم نقصر كأمـة، أمـا مـا ضـرب علينـا من الذلة والمسكنة فلم نكن نحن سببه، نحن قـدمنا أكـثر ممـا قـدم أي شعب في العالم، هل اسـتثمرتم أنتم كقـادة مـا قـدمنا ؟ هـل كنتم في مسـتواه ؟ هـل أضـفتم عليـه أم أهـدرتموه، ضـيعتموه، سفحتموه؟..

لا تغضب يا سيادة الرئيس وخذ من التاريخ عبرة .. فإن العبيد والجـوارى الـذين كـادوا يؤلهـون جمـال عبـد الناصـر هم الـذين يجلـدون اليـوم بالسـياط ذكـراه .. وأولئـك الـذين كـادوا يعبـدون السادات من دون اللـه هم – لا من أبغضـوا السـادات في اللـه – الذين امتهنوا كل شئ في ذكراه حـتى عرضـه، وبـرغم أنـني من قوم يرون في جيهان السـادات ملامح هنـد بنت عتبـة فقـد نـزف قلبي دمـا عنـدما لاك إبـراهيم سـعدة في فمـه مـا هـو أعـز على المرأة من كبد الحمزة علينا وعليه.

نسى أنه يكتب في عهد الفلاح حسنى مبارك فهجـر النصـيحة وفجر الفضيحة.

ذلـك يـا سـيدي أن قـانون اللـه في مالـه وسـلطانه أنكم مـا منحتموه غير أهله إلا حرمكم الله ودهم وشكرهم .

أفتأمن يا سيدي على نفسك منهم ؟؟ !!

أتشك أنك ميت وأننا ميتون ؟؟ !!

مـاذا تتوقـع أن يكتب عنـك إبـراهيم سـعدة بعـد موتـك، أي إبراهيم سعدة وكـل إبـراهيم سـعدة، مـاذا تتوقـع أن يكتب أنيس منصور وسمير رجب، وكثيرون وكثيرون وأنت تسمعهم وتقـربهم، ولست طامعا والله في شئ من ذلك فأنا غـنى عن قربـك غنـاك عن قربى، لكنني أخشى على وطن ائتمنت عليـه، وأمـة أسـلمت لك قيادها، لا شورى ولا طوعـا .. وإنمـا انتخابـات واسـتفتاءات .. إن كنت تعرف ما يحدث فيها فما أشد غضبى وإن كنت لا تعــرف فما أشد يأسى .

أجل يا سيدي، أنا غنى عنك غناك عنى، غنى عنـك يـا سـيدي، غـنىٌّ عنـك غِـنى ذلـك الزاهـد الـذي دعـاه هـارون الرشـيد إلى

طعامه فأبى الزاهد أن يقربه مبديا اشمئزازا وتأففا من أصناف الطعام الفاخر حتى دهش الخليفة وظن أن الرجل لجهله لا يدرك قيمة ما أمامه، لكن الزاهد لم يلبث حتى مد يده إلى أصناف الطعام وملأ قبضته منها ثم أخذ يعتصرها ليتساقط منها دم وأشلاء بشرية فيصرخ قائلا : هذا هو طعامك الذي تدعوني إليه يا أمير المؤمنين . وعيف الطعام فرفع.. ثم نودي بالشراب فمد الخليفة يده إلى كوب ماء فحال الزاهد بينه وبين الماء متسائلا : كم تدفع فيه يا أمير المؤمنين إن مُنِعته ؟ فأجابه : أدفع فيه نصف ملكي، وخلا الزاهد ما بينه وبين الماء حتى ارتوى فسأله : فكم تدفع لو حصرت فيه؟.. فأجابه الخليفة : أدفع فيه نصف ملكي الآخر.. وهنا قام الزاهد مغادرا مجلس الخليفة وهو يقول في ازدراء :

- ما أهون ملكا لا يساوى شربة وبولة !!

لطالما ساءلت نفسي يا سيادة الرئيس : كيف وأنت الدمث المهذب الرقيق تترك مسوخا تعبر عنك، تنقل لنا فكرك، تحمل أوزارهم ولا تنال منهم نصحا وأنت حي ولا إنصافا بعد أن تموت .

كيف ولماذا وحتى متى ؟؟!!

لماذا تتركهم يشوهون مواقفنا ؟ لماذا يكذبون فيدّعون علينا ما لم نقله ؟ ينشرونه في صحفهم الواسعة الانتشار ؟ بل في صحفنا نحن التي استولوا – بإذنكم – عليها ليعاملوها كما تعامل السبي، ثم يأخذون في الرد علينا، يفندون ما يدعوه ولم نقله.. كانت أرواحهم ونفوسهم وجذورهم تمتد دائما خارج الوطن رغم أنهم غالبا كانوا يعيشون بأجسادهم فيه يستنزفونه، كما يعيشون في الوطن بينما كان الوطن يعيش فينا، في قلوبنا وبين حشايانا، نرويه بدمنا فيستنزفون دم الوطن ودمنا .

عيرونا بهزيمة 67، ويومها هزمنا نحن لا هم وهزمت أنت أيضا معنا يا محمد حسنى مبارك، الغرب واليهود وهم انتصروا، وفى إعجاز مذهل لخص نجيب محفوظ الأمر كله بأن مصر لم تهزم في حرب 67، بل انتصر نصف العرب على نصفهم الأخر، انتصر نصفنا على نصفنا، وكانوا هم النصف المنتصر، مع أعدائنا انتصروا علينا . نحن لم نؤيد الظلم والبطش والجبروت والظلم والطغيان والمعتقلات . بل كنا ضحاياها، أيدها هؤلاء الذين يعيروننا اليوم . فلماذا تسمع لهم يا سيادة الرئيس ولا تسمع لنا، ولماذا تسخّر لهم وسائل إعلام -المفروض أنها ملك الأمة- كي تكون مطاياهم التي يسحقون بها هامات الأمة ؟

أجل، لم نكن مع الفساد والظلم لكننا كنا مع بناء السد العالي وتأميم قناة السويس وحرب الاستنزاف وأدنا بكـل مـا نملـك من قوة السجون والمعتقلات وغيبة الديمقراطيـة، وكنـا مـع سـعودية فيصل عندما وقف بكل الشموخ مهددا : نحن قريـبي عهـد بحيـاة البـداوة فـإذا مـا قـررت أمريكـا الاسـتيلاء على أبـار بترولنـا، سنشعلها ونعود بدوا كما كنا، وكنـا مـع السـادات حين أشـعل نـار أكتوبر وكنا ضده حين أطفأ نوره، كنـا معـك أنت أيضـا يـا سـيادة الرئيس بكل ما في القلب من حب وبكل ما في الروح من عزم وقوة وأنت تحارب أعداءنا وأعداءك، كنا معك، كنا نتلمس الأعذار والتـبريرات لأخطائـك، لم يفعـل اليـوم لكنـه غـدا سـيفعل، لم يكتشف بعد لكنه حتما سيكتشف، حتى كانت الغاشـية في حـرب الخليج .

الغاشية ...

إن كـل أحـزان زولا وأعمـاق دستويفسـكى وبحـور تولسـتوى وعوالم فوكنر وجيشان إبسن، وحوارى نجيب محفوظ، وصدمات الحلاج وآلام صلاح عبد الصـبور، كـل ذلـك غـير كـاف للتعبـير عن مشاعري، كمواطن، كوطن، كتاريخ، كأمة .

ذبحتني فنخعتنى .

أكـان كـل مـا مضـى وهمـا، سـرابا، إسـقاطا لأحلام ضـائعة عليك ؟ ..

قل لي بربك لماذا اشتركت في عاصفة الصـحراء ؟ أهـذا هـو أنت، وذلك الوجـه الطيب الـذي هـو وجهـك، الوجـه الـذي طالمـا أراحـني في بدايـة حكمـك، حين كنت أرى فيـه وجـه أبى وآخي وصـديقي وابـني، كوجـه مصـري في بلـد غـريب يشـدني بـالحب والانتماء إليه ؟ أكنت من البداية هكذا أم أنك تغيرت، أم أنـني أنـا الذي لم افهم ولا أفهم ولن أفهم ؟ لو أن أحدا قال إنك يمكن أن تفعل ذلك لشاجرته . الفلاح المصـري ابن كفـر المصـيلحة مركـز شـبين الكـوم منوفيـة لا يمكن أن يفعـل هـذا، الضـابط المصـري العظيم الـذي تجـرع معنـا ذل الهزيمـة ومهانتهـا ثم رشـف معنـا رحيـق حلاوة النصـر لا يمكن أن يفعـل هـذا، لا يمكن، المنطـق يـرفض، والـدين يـرفض، والعـرف يـرفض وحـتى قـانون العيب يرفض .

ولم يكن التخلي عن علاقتي بك سـهلا، كـان مؤلمـا كالسـلخ، رحت أحاور نفسي.. إن كان هو يتغير فنحن أيضا نتغير..

إن كان قد غير موقفه من العراق فـانقلب عليهـا فنحن أيضـا غيرنا موقفنا من الهجوم عليها إلى مساندتها .

لماذا أحمل عليه إذن وقد غيرت موقفي مثله ؟

أفقدتني الثقة بنفسي..

إما أن أكون على صواب وأنت خاطئ أو تكون المصـيب وأنـا مخطئ .

وضعتني في موقف البين بين، موقف الشـك وانعـدام اليقين، أقسى المواقف وأكثرها عتوا .

أراجـع نفسـي، أؤنبهـا، أوبخهـا وأبخعهـا، أتسـاءل : لمـاذا لا أفترض أنك مصيب، بـل لمـاذا لا أفـترض أن السـادات كـان على حق، العالم كله يركع ثم يسجد أمـام العلج الأمـريكي، فهـل كـان السادات محقـا حين سـبق العـالم بـالركوع والسـجود – والتعبـير ليس لي إنما المسئول سعودي قال : " لقـد طلبنـا من السـادات أن ينحني أمام أمريكـا ففوجئنـا بـه يسـجد أمامهـا " – فهـل كـان السادات أبعدنا نظرا أم أكثرنا خيبة، أم كـان فـأر التجـارب الـذي أجرت عليه المخـابرات الأمريكيـة والمحافـل الصـهيونية بروفتهـا الأخيرة، كي تضرب بعـد ذلـك ضـربتها الكـبرى مـع جورباتشـوف وصدام فيسجد العالم أمام أصنامها وطواغيتها وعلوجها ؟..

أهذا هو الابتلاء الأخير لنا، حيث يحاط بنـا فمنـا من يثبت ومنـا من يظن بالله الظنونا ؟ والله يـا سـيدي إن ظـني بصـدام لأسـوأ من ظنك فيه ذلك أنـك تدينـه كـرئيس شـطح عن نمـط الرؤسـاء والملوك، بينما أنا أدينه – وأدينك- لأن القاعدة عنـدي والمقيـاس ليس نمطكم وإنمـا نمـط السـلف الصـالح والخلفـاء الراشـدين وتراث أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

لكن الأمـر لم يكن أمـر صـدام ولا غـزو الكـويت، وإنمـا كـان صدام حضـارتنا بوحشـيتهم وإيماننـا بكفـرهم، خـير أمـه أخـرجت للناس بأممهم، وهو صراع كتب علينا فيه القتال وهو كره لنا .

لكن موقفك يومها كان فارقا ..

من لحظتها، - لحظتها فقط – عمقت الفجوة واتسـعت الهـوة وابتعد القرار .

لم نكن ضدك، ظنناك في البدايـة تنـاور كي تنقـذ، كي تحمى، كي تصون .

ظنناك تناور، كما ظننا ذات يوم إنك ستناور كي تنقذ خالد الإسلامبولى وسليمان خاطر .

لكن كتبتك رغم انذباحنا لم يرحمونا . وكما ادعوا علينا زورا أننا قلبنا قارعة 67 نصرا وحولنا مجد 73 هزيمة، كما ادعوا ذلك .. في أقذر حرب في التاريخ ادعوا أننا كنا مع صدام، بينما معه كانوا وضده كنا، ومنه تلقوا الهدايا والرشاوى، وهاجمناهم فاتهمونا بأننا لا نفهم وأننا نتلقى الرشاوى من إيران، ثم انقلبوا عليه ليدعوا أننا خونة وحمقى لأننا ندافع عن صدام وما عنه دفاعنا ولكننا دافعنا عن شعبنا، عن أنفسنا وثروتنا وأسلحتنا وجيشنا فصدام زائل وأنتم زائلون ونحن زائلون لكن كل ذلك كان يجب أن يبقى للأمة، لأجيال تأتى بعدنا.

آه يا سيادة الرئيس

ما أوسع الفجوة وما أشد الألم .

لقد ظل بيني وبينك خيط لم ينقطع وفتق لم يتسع إلا بموقفك ذاك .

طيلة الوقت ،رغم كل جرح وكل نزف وكل صدمة ظللت أتخيل نوعا من التفاهم السرى بيني وبينك، نوعا من التفاهم السرى لم نتفق عليه لكننا بأعمق ما في الروح ظننا أننا ندركه .

ثم حدث ما حدث .

إن كنت يا سيدي قد نسيت فأنا لم أنس.

أم تراك قد نسيت ما قاله لنا كتبتك عبر صحفك وإذاعتك وتليفزيونك، ما قلتموه عن الخطر الفارسي على العرب فأحييتم فتنة كانت قد انطفأت منذ ألف عام، ولم يأبه أحد ولم يحاذر من أن إشعال نار فتنة لن يقتصر عليها . أخذتم تمجدون صدام البطل الذي يدافع عن بوابة العرب الشرقية ضد المجوس، لنفتح الباب في ذات الوقت أمام من يريد إخراجنا من زمرة العرب، أمام من يقول إننا فراعنة، والسودان والصومال أفارقة ودول المغرب العربي بربر، لكن الانفعال استبد بهم فقال قائلهم إن خطر إسرائيل لا يساوى شيئا إزاء خطر الفرس المجوس، لكننا يا سيدي رغم تكريس كل أجهزة إعلامك نقمنا عليك وهاجمناك حين ناصرت صدام في ظلمه، لا برده عنه بل بمساعدته عليه، وأخذتم استجداء لتأييد الأمة، تقسمون الأمة إلى سنة وشيعة وهى أسماء سميتموها لم يقل بها قرآن ولم يرد حديث نبوي

شـريف، لكنـه كـان اسـتمرارا فاجعـا لشـق اجتمـاع الأمـة وفض إجماعها وتشتيت شملها وبلبلة فكرها وتمزيق وحدتها .

تتعدد المسميات لكن الهدف واحد، كان خطـأ فاجعـا منـك يـا سيادة الرئيس أن تقف هذا الموقف حينذاك مع صدام ضد إيران، لكننا كنـا نلتمس لـك عـذرا واهيـا في أنـك بعيـدا عن الـدين تتبـع المثل العامي المصري، فتقف مع أخيـك ضـد ابن عمـك، لكن هـا هو ذا الغـريب يسـفك دم أخيـك، فـإذا بـك تعاونـه، وابن عمـك – إيران – يصرخ بكم ألا تضيعوا أخاكم، كيف فعلتها يا مبارك، كيـف فعلتها ولماذا ؟ غيرك فعلها قلبي يوطد أركان عـرش متهـاو فقـد شرعيته بين أهله وداخل أرضه فراح يتسولها ببيع أرضه وأهلــه .. غيرك فعلها لأنه لا يستحق ما يملك، لكن .. أنت النزيـه الشـريف ذو الكفن الـذي لا جيـوب لـه لم فعلتهـا ؟ لم رضـيت من الوفـاء باللفاء ؟ لماذا لم تكن الوسط، لمـاذا اخـترت الغلـو ؟ بينمـا خـير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التـالي ويرجـع إليهم الغـالي، نحن يا سيدي كنا مع العراق وهو ينسلخ عن أعداء الأمة وخونتها، لكننا كنا ضده عندما راح يأكل أهله، وكنا ضد إيـران الشـاه عبـدة أمريكـا وصـديقة إسـرائيل – وبالمناسـبة لم يكفـر كتبتكم أيامهـا الشاه رغم أنه شيعي – وأيدناها بمنتهى القوة عندما أصبحت ضد أعداء العرب المسلمين، والذين أخذوا يشعلون نار الفتنـة لينـدفع الحمقى في حرب وقودها أمة محمد، وصرخنا فيكم :

- صدام ظالم فانصروه برده عن ظلمه .

لكنكم رحتم تكدسـون السـلاح عنـده، والأسـياد في الغـرب يحرضون وينصـحون، وأنتم تسـتجيبون، وهم يعلمـون أن تكـديس السـلاح لـدى العـراق يشـكل عامـل ضـغط عليـه قلـبي يمـارس العدوان، كـان عـدوانا ظالمـا على إيـران كـذبت أجهـزة إعلامكم علينا فيـه، وقلتم لنـا أن انكسـار العـراق هـو انهيـار لأمن الأمـة وشرخ لباب البيت..

يا إلهي.. لقد حطمتم أنت الباب وخربتم البيت، لتعود أجهـزة إعلامنا دون حياء تتباكى بكاء التماسيح على ظلم صدام لإيران .

أناشدك الله يا سيادة الرئيس، هل اتخذتم قرار تدعيم العراق أيامها بناء عن اقتناع حقيقي أم أن الصـديق الأمـريكي هـو الـذي أوحى إليكم بذلك ؟ كـان يعـرف منـذ البدايـة أنكم سـتدفعون دم قلوبنا في سلاح يذهب للعراق يتكفل هو بتدميره في النهاية..

ثم كانت الغاشية .

واعــترف كتــابكم أخــيرا بظلم صــدام، لكن صــدام لم يكن وحده .

ولم نحول موقفنا من إيران إلى العراق بل ثبتنـا على موقفنـا من الأمة .

وكانت الفضيحة لكتبة لا يعرفون الفضـيحة، أن إيـران نفسـها وقفت مع العراق ضد أعداء الدين والأمة .

وبـالرغم من ذلـك أخـذ كتبتكم يعيروننـا بموقفنـا من العـراق، فوالله لا نملك إلا تذكر ذلك الأحمق الذي قابل عمـار بن ياسـر – وهو أمير – ليسبه قائلا : يا أجدع الأذن، (وكانت أذنـه قـد قطعت بسيوف المرتدين في حرب اليمامة) فلا يقول الأمير له إلا: خير أدنى سببت، لقد أصيب في سـبيل اللـه . وهـا أنتم أولاء تعيروننـا بخير مواقفنا مع العراق ووالله ما كانت إلا في سبيل الله .

ولأستعر قولة سيدي وسيدك عمار بن ياسر لبنى أميــة، ولأنح نحوه :

" أمــا أنتم فواللــه مــا قصــدتم الحــق لكنكم ذقتم الــدنيا واســتمرأتموها وعلمتم أن الحـق يحـول بينكم وبين مـا تتمرغـون فيه من شـهواتكم ودنيـاكم، وإنكم خـدعتم النـاس بـزعمكم أنكم تسعون لتحرير الكويت، وما أردتم إلا اسـتمرار أنظمتكم لتكونـوا جبابرة وملوكا ."

هل تظن يا سيدي أنك انتصـرت عنـدما انضـممت إلى قـوات التحالف ؟

أم انتصرت الأمة ؟

الذي انتصر يا سيدي شخص له نفس ملامحك، نفس رسمك، يلبس ذات الملابس ويقطن نفس الأمـــــاكن ويتحـــــدث بنفس الصوت لكنه ليس أنت، الذي انتصر عدو الله وعدو لنا وعدو لك .

نحن لم نكن معك ولا ضدك .

لم نكن مع شخص ولا ضد شخص .

كنا فقـط مـع من ينصـر الأمـة، مـع من يوحـد كلمتهـا ويرفـع رايتها ويواجه أعداءها، فإذا انحـرف لم ننحـرف خلفـه بـل هرعنـا إلى خالقنا ندعوه أن يحفظنا على الصراط المستقيم لنقـف ضـد الضالين المغضوب عليهم من الله فمنا .

لقد تابعت بإعجاب حزين مجهوداتك يا سـيدي الـرئيس لإنقـاذ ليبيا

إعجاب حزين، لأننا كنا نتسول الصفح منهم، وهم لا يكفون عن إذلالنا، لم أستطع منع موقفي من التساؤل : لماذا لم يكن مثل هذا الجهد مع العراق، ولو أننا استنقذنا قوة العراق من براثن الوحوش هل كنا سنضطر لكل هذا التوسل المذل المهين لإنقاذ ليبيا، وهو توسل سنلجأ إليه دائما، مرة لليبيا ومرة لسوريا وأخيرا لمصر .

لقد دهشت لسذاجة مفكر مشاعري اقترح – في قصر نظر ليس منقطع النظير – أن تسلم ليبيا المتهمين وينتهي الأمر، لا يدرك الأحمق السلسلة الجهنمية التي ستعقب ذلك بخلخلة نظام الحكم هناك خلخلة تنتهي بطلب تسليم القذافى لمحاكمته، وقد يحدث انقلاب مبرمج يسفر عن تسليم القذافى فعلا، وقد لا يحدث الانقلاب فتضرب أمريكا وبريطانيا ليبيا، لن تضربا السلاح فقط بل المصانع ومشروع المياه العظيم وكل بادرة تقدم، ولن يحدث ذلك كله إلا لكي تكون ليبيا رأس الذئب الطائر بالنسبة لكل حاكم عربي، أن يضعوا كل حكم في الاختيار الرهيب بينه وبين الوطن .. إما أن يستمر ليحقق لهم أغراضهم أو يؤسر ليحاكم .

هل تذكر يا سيادة الرئيس خطة إسرائيل لاختطاف جمال عبد الناصر ذات يوم؟

إن أمريكا ترفض استقبال ياسر عرفات لدخول الأمم رغم مخالفة ذلك للقانون الدولي، وتقابل مانديلا استقبال الرؤساء ...

أصبح القانون أهواءها والشرعية مزاجها .

إنها يمكن أن تضرب أي دوله و تبرر عدوانها بأنه ضرب للإرهاب .

ولقد اختطفت نورويجا لمحاكمته، وأصدرت حكما بالإعدام على صدام، وقامت بمئات العمليات القذرة لاغتيال زعماء وتدمير الأمم .

هل يسيطر على الحكام العرب خوف من ذلك أو من شئ مثله ؟

هل يتحكم ذلك الرعب في قراراتهم ؟ إن لطفى الخولى يصرح في الأهرام 18/3/1992 :

" ثمة فكرة محورية خطيرة تدور في الوجدان الغربي، وهى أن الحضارة الغربية – اليهودية المسيحية – المتقدمة باتت

مطالبـة تاريخيـا بالتصـدى العـنيف للحضـارة العربيـة الإسـلامية المتخلفة والعدوانية "

فمــا هيخطتنــا للصــدى .. للمقاومــة .. للــدفاع عن الــدين والوجدان والهوية والحضارة بل للدفاع عن الوجدان .

يا سيدي :

أجدنى مضـطرا إزاء غلـواء كتابـك وشـططهم، إزاء شـهادتهم الزور أن أعترف لك بشيء وأن أقسم له بالله الواحـد الأحـد أنـه حق وصدق، عندي فجر ذلك اليوم الكئيب الذي دهمتنى فيه أنباء غـزو الكـويت استشـطت غضـبا، اسـتيقظت كراهيـتي القديمـة لصدام حسين، وتجسد في وجداني ذلـك الـذنب الهائـل الـذي لن أغفره له قط في إهـدار قـوى الأمـة واسـتنزاف طاقاتهـا لصـالح أعدائها، وفى حماقـة الغضـب تمـنيت أي تـدخل حاسـم يردعـه " يخلعه من الكويت " وفى حماقة الانفعال لم استبشع أي نوع من التدخل .

مـالي أخجـل من مـوقفي، مـالي أخجـل من مصـارحتك، كي وعدتك أن يكون حديثي لك كله حديث صدق .

في جحيم غضب الساعات الأولى تمنيت أن يقف العـالم كلـه ضده، حـتى الشـيطان الأكـبر، كي مـا لبثت أن اسـترددت وعـيي وعقلي في نفس اليوم .

والله يا سيادة الرئيس مـا زلت حـتى الآن كلمـا تـذكرت ذلـك أخجل من موقفي .

فكيف لم أدرك من اللحظة الأولى أن الأحمق قـد اسـتدرج لا لمصرعه بل لمصارع قومه، لمصرعي أنا.

وكيـف لم أدرك من اللحظـة الأولى أن قيـام الغـرب بحمايـة دول البترول سوف ينهى لمائة عام انتماءها إلينا، وسـوف تنشـق الأمة كما لم تنشق قط .

وجرت الحوادث فصدق ظني.

وعاد جيش مصر لكن جيش أمريكا بقى .

وتحررت الكويت لكنها لم تعد إلينا .

ولم يعد إلينا الخليج ولا حتى السعودية .

ورجع جيشنا في غضب من لم يقدر صنيعه .

وكنا كالنعامة حين راحت تبحث عن قرنين فعادت بلا أذنين.

وانسحقت العراق لكن صدام بقى .

وبالرغم من ذلك كله استمر إذلال العراق لا صدام .

استمر إذلالي كوطن ودين وأمة .

استـمر سـحقي وتحطيم كبريـائي وإذلالي وإهانـة ديـني، وقـد نصحنا جنودهم أن ننادى المسيح ما دام إلهنا لا يستجيب لنا .

ولا نملك إلا أن نقول قوله الحسين : كـل مـا حم نـازل، عنـد الله نحتسب أنفسنا وفساد أئمتنا.

سيدي الرئيس :

لقد تحررت الكويت .

إذن : ما هذا الذي يحدث لشعب العراق الآن ؟

ألم تشعر بأن كـل هـذا الإذلال الـذي يوجـه إلى العـراق ينـال منك ؟ إنك أنت المقصود به ونحن معك .

هل هذا هو عنوان لنظامكم الجديد ؟ هل تفوق جـرائم صـدام حقـا جـرائم شـامير ؟ وإلا فلمـاذا لم تطلـه الداهيـة الـدهياء؟ أم سلمتم لهم بأننا أبناء الجارية، وأننا عبيد ؟

مهمـا بلغت جـرائم أي حـاكم عـربي فهـل تبلـغ جـرائم حكـام إسرائيل الذين وصفهم بعض المفكرين بأنهم مجموعـة المرضـى النفسيين العاشقين لسفك الدماء ؟

أجل ... ما يحـدث الآن يـا سـيادة الـرئيس ليس إذلالا لشـعب العراق بل هو إذلال لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولقد شاغلونا بليبيا حتى ننسى العراق وحتى ننسى ما يفعلوه بنا في مدريد وموسكو وواشنطن " وغـدا يشـاغلونا حـتى ننسـى أنفسنا .

ويذبحني ذات يوم يا سيدي تصريح رسمي لك أننا على الحياد بين الفلسطينيين وإسرائيل .

يخيل إلى أنني حين أموت ذات يوم سيكون حيني وأنا أقرأ ما نشيت صحيفة أمام شاشة التلفاز وهو يذيع خبرا من أخبـاركم يـا سيادة الرئيس، والله أقولها جدا لا هزلا، ومطالعة لا مبالغـة، حين يغلى الدم في عروقي وتحترق موقفي وتتعـذب روحي فتتسـارع دقـات في وألهث كحيـوان عـاجز حـبيس في قفص يـرى الإهانـة ويحس المهانة وهو عاجز حتى عن الصـراخ، حـتى لـو تركـوا لـه فما غير مكمم، لأن ما بقى به من العقل بعد ما جـرى لـه يجعلـه

يفهم أنه مهما صرخ فلن يسمعه أحـد ولن يدركـه أحـد ولن يتـأثر بصراخه أحد .

غير كاف .

غير كاف .

غير كاف .

سأموت وأنا اسمعها ذات مرة من عتل زنيم يـرأس الولايـات المتحدة الأمريكية يـذل بهـا قومـا هم قـومي، وملكـا أو رئيسـا – مهما جـار على، مهمـا قتلـني – فهـو مـنى وأنـا منـه، هـو النـازل منزلتي فكأننا شخص واحد لا يختلف إلا في البدن

غير كاف.

غير كاف .

غير كاف .

والملك الرئيس الأمير الخليفة ملك العبيـد وعبـد الملـوك في شبكة الصـياد مـذعور يحـاول أن يتملص، يخلـع رداء القـوة، غـير كاف، يخلع رداء الكرامة، غير كاف، يصرخ أنا مجروح، غــير مهم، يخلع رداء الشرف، غير كاف، يدفع الإتاوة، غير كاف.

غير كاف.

ألم يدرك أحد بعد ما هو كاف .

إن كان ذلك كله غير كاف فما هو كاف.

أنا أقول لك يا سيادة الرئيس .

الدين والملة والجغرافيا والتاريخ والحضارة .

أعطهم ما شئت يا سيادة الرئيس.

وافقهم على كل شـروطهم، مجـد نظـامهم العـالمي الجديـد، نفذ تعليمات صندوق النقد الـدولي، طـور العلاقـات مـع إسـرائيل وعمقهـا، أقنـع سـوريا بالتفـاوض حـول المـاء والتجـارة والأرض المحتلة، إحمد لهم غض الطرف عن حقـوق الإنسـان حين يكـون أحد مواطنيـك ؟، شـاركهم في أكـل لحم أخيـك حيـا أو ميتـا كمـا حدث لشـعبنا في العـراق، إضـرب لهم ليبيـا أو شـاركهم، حاصـر السودان، وأيد الدُّمى التي تحكم باسـمهم بعض شـعوبنا، جـارهم في استنزاف اقتصادنا ومحو هويتنا ووأد آمالنا، افعل ذلك – ومـا أظنـك بفاعلـه كلـه – لكنـك حـتى ولـو فعلتـه كلـه فلن ترضـى إسرائيل وبريطانيا وأمريكا عنك، لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم،

فإن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم، فكيـف تطلب منـا وليا وكيف ترجو من الله نصرا .

يا سـيدي، اسـتحلفك بتراثـك أنت يـا بطـل أكتـوبر العظيم ألا تتخذهم أولياء فبعضهم أولياء بعض فإن توليتهم فإنك منهم واللــه لا يهدى القوم الظالمين .

إنهم يحسبون يدك وأيدينا ويد الله مغلولة، غلت أيديهم، لكن الخيارات أمامنا واسعة ومتاحة وسوف – بمشـيئة اللـه – تحـدث، فنل أنت شرف البداية .

أجل ......

مهما فعلت لهم لن يرضوا عنك إلا أن تترك ملة محمـد صـلى الله عليه وسلم، وقد أخبرك القرآن بذلك منذ ألف وأربعمائة عام .

هل تظن يا سيادة الرئيس بعقلي الظنـون، هـل تتسـاءل أهي شـجاعة أم تهـور، أحب ظهـور ؟ ولـو كـان لكـان مـديحك أولى وأجزى، ولكنه ليس ذلك كله وإنما تـذكرت الموقـف الـرهيب في اليوم العظيم يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضـع كـل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى ومـا هم بسـكارى ولكن عـذاب الله شديد، أخشـى ذلـك اليـوم، يـوم لا يغـنى عـنى – ولا عنـك – ماليه، يوم يهلك عنى – وعنك – سلطانيه يوم يقال خـذوه فغلـوه ثم الجحيم صلوه، من أجل هذا اليوم يا سيدي الرئيس أقسم بمـا تبصـرون وبمـا لا تبصـرون، أنـني تخيلت مـوقفي يومهـا واللـه يحاسبني كيف يستخلفني في الأرض فأنكص عن كلمة حق أمــام سلطان جائر، وساعتها سيدي قارنت جبروتك في الأرض بجبروته في السـماوات والأرض فخشـيت منــه وانحــزت إليــه داعيـا أن يكلأني وإياك برحمته .

سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك ....

يا محمد حسنى مبارك..

إنها لا تساوى عند الله جنـاح بعوضـة، لا تسـاوى جيفـة، وهى ابتلاء وفتنة، أم حسبت أن تقول أمنت ولا تفتن..

ستفتن يا سيادة الرئيس كمـا فتن الـذين من قبلـك وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين .

من أجل ذلك كلـه يـا سـيادة الـرئيس أكتب إليـك مـدركا أننـا نحتـاج إلى الصـدق في علاقتنـا أكـثر من حاجتنـا لـه في أي يـوم

مضى، نحتاج إليه، فبدونه لن نخرج أبـدا من هـذا الكـابوس الـذي نعيشه .

نحتاج إليه لأن سيدي وسيدك رسول اللـه – صـلى اللـه عليـه وسلم – أخبرنا أن المسلم قد يسرق وقد يزنى وقد يسـرق لكنـه لا يكذب .

لكننا بالرغم من ذلـك نكـذب عليـك يـا سـيادة الـرئيس، أجـل نكـذب عليـك، ونكـذب على بعضـنا، أجهـزة إعلامـك أيضـا تكـذب علينا، وأنت تعـرف أننـا نكـذب وأن أجهـزة إعلامـك تكـذب، وأننـا نعرف، وأنهم يعرفون، الصحافة كـذب والمجلات كـذب والمـذياع كـــذب وتصـــريحات المســـئولين كـــذب والانتخابـــات كـــذب والاسـتفتاءات كـذب والاستقصـاءات كـذب وتحليـل الـرأي العـام كذب والمعاهد الاسـتراتيجية كـذب والشـعارات كـذب والأهـداف كذب والنتائج كذب فكيف يتمخض كـل هـذا الكـذب عن صـواب . تسلل الكذب إلينا، تسرب إلى أعمق خلايانا، كل مرؤوس يكــذب على رئيســـة وكـــل رئيس يكـــذب على مرءوســـه، في أعلى المسـتويات وفى أدناهـا، حـتى حين لا يكـون للكـذب ضـرورة ولا للصدق خطر، لكننا تعودنا عليه حتى لم نعد نجيـد سـواه، أصـبحنا نكذب حتى على أبنائنا وهم يكذبون علينا، لا في السياسـة فقـط، وإن كانت هيالأصل، عندما يسـألني ابـني عن آيـات القـرآن الـتي تتحدث عن بنى إسرائيل – الآيـات الـتي حـذفها منشـور وزاري – فإنني أعجـز عن الإجابـة، إن كـان القـرآن يـدعونا للسـلام معهم حقا، فلمـاذا نـؤمن ببعض آياتـه ونحـذف بعضـها الآخـر، أم كفرنـا بها، كي أكذب على ابني كيلا أبلبل فكرة، فربما يعيش في زمان آخر غير زمني يعطيه الإجابة على سؤاله .

هل يختلـف مـا يفعلـه إعلامـك اليـوم بي سـيادة الـرئيس عن صراخ أبى جهل في أحد المسـلمين السـابقين : نحن خـير منـك، لنسـفهن حلمـك، ولنضـعن شـرفك، ولنكسـدن تجارتـك ولنهلكن مالك .

وأنت يا سيدي الرئيس : أتعلم أم لا تعلم :

لقد خفّت إدانـتي لـك حين جمعتـني الصـدفة بمن أوتى علمـا فسألته : ألا يصدق المحيطون بالرئيس له النصيحة ؟ وضحك من أوتى حظا من العلم في مـرارة وهـو يقـول أنـه يعـرف الكثـيرين ممن كانوا حـول الرؤسـاء وممن حولـك، وقـرر أنهم لا يصـدقون النصح، لا عن خيانة، وإنما لأنهم ببساطة لا يجرؤون، هم يعرفــون كيف تم اختيارهم، فثمة بضع جهات يتكفل كل منا بإعداد ملفات

للمرشحين للمناصب الوزاريـة والعامـة، ويعرفـون أيضـا أن هـذه الملفات لا تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا أحصتها . وإن هذه الملفـات خاضعة للتغير المستمر نتيجة مقالة في صحيفة أو حديث للإذاعة أو التليفزيون أو معلومـة جديـدة، يتحـرك القلم الأحمـر ليشـطب كل ذي رأى وكل صاحب اتجاه، كـل من يمكن أن يسـبب صـداعا ذات يوم، وبسبب هذا لا يصل إلى هـذه المناصـب في النهايـة إلا شخصـيات باهتـة، لا تتحـرك إلا بتوجيـه، لا تعـارض ولا تنصـح بـل تتلمس اتجاه الرئيس قلبي تتفانى في تأييـده حـتى لـو اضـطرت إلى الكـذب، إلى إخفـاء الحقيقـة عنـه، وثمـة تغيـير آخـر محـزن يصيب هذه الشخصيات بعد اختيارها فعلا، إذ قد تؤدى نظـرة غـير مقصودة من الـرئيس إلى أن يجفـو النـوم عين المسـئول الكبـير أسـبوعا يقضـيه متسـائلا لمـاذا نظـر إليّ هـذه النظـرة . بهـذه الطريقـــة، لمـــاذا لم يلتفت إلى التفاتتـــه المعهـــودة، لمـــاذا لم يجاملني مجاملته الرقيقة بالسـؤال عن أبنـائي، مـاذا حـدث وفيم أخطأت ولأي وشاية تعرضت، هل كتب أحد الأجهزة تقريرا عـنى، ويظل الموظف الكبير يدور حول نفسه حتى يلقى الـرئيس مـرة أخرى، لا ليطمئن، بل ليدور في نفس الحلقة المفرغـة عن كلمـة قالها الرئيس قد تكون عفو الخـاطر، لكن المسـئول يحملهـا بمـا يجعله يدور حول نفسه مرة أخـرى حـتى لقـاء أخـر مـع الـرئيس لتتكـــرر نفس الحكايـــة بصـــورة أخـــرى، ورعب الإقالـــة يطـــارد المسئول .

قلت لمحـــدثي إن الـــرئيس معـــذور إذن، وهـــو إذن لا يعلم الحقيقة من أناس كل همهم أن يخفوها عنه .

ثم استدركت سريعا لأقول في أسى وثورة وغضب : لكنه هـو الذي اختارهم .

وأردف محـــدثي محايـــدا : بعـــد أن يـــتركوا مناصـــبهم يظـــل معظمهم يغازل السلطة على أمل أن تعـود إليـه ذات يـوم، وأمـا أقل القليل فبعد أن يصيبه اليأس الكامل يتحول إلى ناقم شـرس وناقد أشد شراسة .

لكن لا أحد منهم تسـتطيع أن تحصـل منـه على تقـييم صـادق للوضع الذي مارسه وتخصص فيه.

يا للجهود المهدرة يا سيدي :

ألهذا إذن ؟!

أتخيل أحيانا وضـعك، أتخيلـنى مكانـك، علّى أفهم سـر نظـرة الاحتقار التي تنظر بها إليّ، سر الأسلوب الصـارم الـذي تخـاطب

به الوزراء أو كبار المسئولين أحيانا وكأنهم أطفال، أتساءل : أهي نتيجة لحياة عسكرية طويلة عشتها لها طقوسها ومراسيمها، أم أن المزيد من تذللهم إليك وخوفهم منك يدفعك للمزيد من احتقارهم أنت تعرفهم عن قرب، ولعل هذا يفسر نصف سبب نظرة الاحتقار التي أراها موجهة إليهم وإليّ، أنت لا تعرفني يا سيدي فلماذا تحتقرني إذن ولماذا تنظر إليّ بكل هذه الاستهانة، أأستحقها، أم أنك سألت نفسك إن كان خاصتهم كذلك فكيف يكون عامتهم، أم أنك لا تعرفني إلا من خلال تقاريرهم التي لا يمكن أن تنصفني . أنت تقول لنا أن خيوط اللعبة كلها في يدك، لذلك فأنت وحدك الذي تستطيع إدراك الصورة الكاملة واتخاذ القرار .

وذلك يدفعنا يا سيادة الرئيس للحديث عن جانب أخر مما يحدث في بلادنا .

تبدو الساحة في بلادنا كما وصفها "ديفيد هيريست" – مراسل الجارديان البريطانية – في وضع عبثي يفوق أعظم أعمال " كافكا" عبثا، وتبدو الساحة كمحكمة بلا قاض، يتقاتل الخصوم ويتبارى الإدعاء والدفاع في التراشق بالكلمات لكن مقعد القاضي خال، وتدلهم الدنيا حولنا فكأنما أصدرت حكمك علينا بأن يبقى الحال على ما هو عليه، لا أحد يحكم في نهاية القضية ما هو الصحيح وما هو الخطأ؟ من هو الصادق ومن هو الكذاب؟ من الجلاد ومن الضحية؟ وأنت مسئول يا سيدي الرئيس عن هذا الوضع. أنت مسئول عن أداء العمل الذي أوكله الدستور إليك بأن تكون حكما بين السلطات وأن تسهر على حماية الدستور، الدستور الذي نطالب بتعديله الآن بعد أن غيره السادات قلبي يتمكن من الحكم أبدا فباء بإثمه ولم يذق ثمرته . ثمرته سقطت عليك أنت يا سيادة الرئيس ابتلاء لا اصطفاء.

وهنا أريد أن أحدثك في كثير من الأمور يا سيادة الرئيس.

وأريد أيضا أن أعاتبك .

ليس إبراهيم شكري من تسقط أجهزتك حزبه في الانتخابات فيصرخ أحمد بهاء الدين – ضمير العصر – إن مصر كلها بالاعتذار إليه .

وليس عادل حسين – ذلك العقل الفذ والقلب الجياش – هو من تطارده المحاكم ما بين عسكرية وجنائية .

وليس الفريق سعد الـدين الشـاذلي الـذي لا يقـل مجـده في حرب أكتوبر من مجدك فيها – إن لم يـزد – هـو الـذي يحبس في وطنه .

سيادة الرئيس :

أهدى إليك عيوبك فتقبل .

تقبلها من مواطن عادى، يصدقك نصحا، أنت والله تفتقده .

تقبلها فإن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة .

أنا يا سيدي أريد لك الجنة، فماذا يريد لك من يغشك ؟

إن ما تتولاه الآن أمانة لكنه في الآخرة خزي وندامة .

أم تدخلون الجنة ولم نأمن بوائقكم.

عيد ميلاد سعيد يا سيدي

وأرجو أن تسمح لكنني بمواصلة حديثي إليك في العدد القادم من الشعب إن شاء الله.

وكل عام و أنت طيب..

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد / المواطن المصري الذي يكتب إلى الرئيس مبارك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هـذه أول رسـالة أبعث بهـا إلى صـحيفة من صـحائف البلـد وعندما فكـرت في كتابـة هـذه الرسـالة تـراجعت أكـثر من مـرة لأنـــني لســـت من هـــواة مراســـلة أي صـــحيفة لأنـــني أعلم أن الصحفيين هو أشد الناس نفاقا وكـذبا، وبعـد تفكـير تـراجعت عن هذا المفهـوم وأمسـكت بـالقلم وبـدأت أكتب إلى هـذا المـواطن المصري الـذي اشـعر نحـوه بـاحترام كبـير رغم أنـني لم أره ولم أعرف عنه أي شئ غير أنه صادق فيما يكتب ولقد قرأت رسائلك إلى من يهمه الأمر، ولقد سعدت كثيرا بما كتبت وشـعرت بأنـه لا تزال هناك قلوب وضمائر تخـاف اللـه، ولقـد حـزنت كثـيرا لأنـني أعلم أنك ستكون في يوم من الأيام متطرفا وخائنا للـوطن خائنـا للمهنة ويكون مصيرك أي معتقل

آخي المـواطن المصـري انطلـق إلى مـا ،ت سـائر عليـه ولا تهاب أي سلطان مادام سلطان الله باقيا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

التوقيع / واحد مشاعري لا يتمنى أن يكون مصريا

من مواطن مشاعري إلى الرئيس مبارك "3"

عيد ميلاد سعيد يا سيدي .

عيد ميلاد سعيد .

كم عمرك الآن يا سيادة الرئيس .

وكم يتبقى لك من العمر ... عام .. عشرة أعوام ... خمسون عاما ..

سوف تمر كلمح البصر كما مضى ..

ثم ووجدتني يوم الحساب ..

لقد بدأت الخامسة والستين ..

فأسمع قولي قبل ألا تسمع .

أسمعه قبل لات ساعة ندم .

الآن تحفل صحفك بتعداد مناقبك، وسوف تحفل في غد غريب بعكسه، فاسمع قولي لعل الحق فيه . أسمعه، أسمعه لأنني لن أغيره إذا كتب لكنني أن أعيش بعد أن تموت .

ورغم علمي بأنك لم تطلب رأيي ولم تسأل شهادتي، فإنني أدلى بها، لأن نبيي وشفيعي يوم القيامة خبرني أن خير الشهداء الذي ووجدتني بشهادته قبل أن يسألها .

اسمعني فقد لا يكون بينك وبين الجنة إلا أن تسمعني فتتوب فتدخل الجنة .

اسمعني فسوف نحشر معك يوم القيامة إلى الله حفاة عراة غرلا . ويصك النداء آذاننا، يسمعه القريب كما يسمعه البعيد :

أنا الملك أنا الديان..

حين يقبض الله الأرض ويطوى السماوات بيمينه ثم يقول :

أنا الملك أين ملوك الأرض، أين الجبارون أين المتكبرون .

بم تجيب ساعتها يا سيادة الرئيس .

ألم يجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا، وسخر لك الـدنيا، فبم تجيب

لقد استرعاك الله علينا ومن استرعاه الله أمة محمـد فمـات وهو غاش لها حرم الله عليه الجنة .

اسـمعني ففـرق بين أن تكـون الممارسـة السياسـية عمليـه دعوبـة لقيـادة المجتمـع، وبين أن تكـون أداه في خدمـة الحـاكم لترويض المجتمع واستئناسه، يتكيف مع واقع زائف .

اسمعني، فبحق جلال الله ما أعرض عليك شيئا لن تُسأل عنه يوم الفزع الأكبر..

اسـمع مـنى – لأني لا أخفى عنـك شـيئا- – مـا رواه الـدكتور هارون طلحة طبيب الصحة المدرسية بالجمالية، والـذي أفـرجت عنه النيابة لبراءته . اسمعني فقد قبض عليـه في عهـدك، اسـمع اعترافات البريء وتخيل ما حدث مع من لم يبرأ :

بــدءوا معي في مبـاحث أمن الدولـة بتكبيـل يـدي بالحديـد، وعصب عيني برباط مشدود جدا، وتوجيـه الشـتائم لكنـني ولأبى ولأمي، وبعد أن جـردوني من ملابسـي كلهـا ألقـونى على الأرض وبدءوا في صعقي بالكهرباء، في مختلف أجزاء جسـمي وبالـذات أعضائي التناسلية، واضـعين فـوق جسـدي العـاري ثلاث كراسـي واحـد على الصـدر والثـاني على البطن والثـالث على السـاقين، واليـدان مكبلتـان من خلفي وأنـام عليهمـا في صـعق متواصـل بالكهرباء، وأنا بدون شعور أتنطط على القيد الحديدي المكبلة به يدي من خلف ظهري حتى فقدت الوعي، وبعـد أن أفقت وجـدت حلقي قد جـف تمامـا، ولسـاني ملتصـق بـه، ولا أسـتطيع الكلام، وأخذت أفتح فمي وأغلقـه فوضـعوا فيـه قليلا من المـاء، وطلبت المزيد فرفضـوا ثم أوقفـوني عاريـا معصـوب العيـنين ومكبلا من الخلف لينقلوني بعد ذلـك من غرفـة إلى أخـرى، ومن مكـان إلى آخـر والضـرب مسـتمر على ظهـري بجـنزير من الحديـد، وعلى وجهي بأيـد غلظـة، وعلى القفـا، ثم أخـذوا ينتفـون شـعر لحيـتي ليضعوه في فمي، ويأمرونى بأن أمضـغه ثم يعـودون إلى الجولـة الكهربائية، مطروحـا على الأرض، ثم الوقـوف عاريـا تمامـا أمـام شباك مفتوح طول الليـل في بـرد ينـاير القـارس دون طعـام ولا شراب، وفى هذا الوضع تكون الكهرباء في الأذن والشفتين، كمـا هـددوني بالقتـل خمس مـرات، وهـددونى بإحضـار زوجـتي لكي تراني على هذا الوضع، ولكي يعتدوا عليها .

يا شيخ محمد الغزالي، يا شيخ شعراوى، يا شيخ الأزهر، يا مفتى الديار، يا قاضى القضاة، نريد الفتوى منكم، لا من عمر عبد الرحمن، ولا من شكري مصطفى، ولا حتى من سيد قطب، نريد فتواكم فيمن يفعل هذا، أمؤمن، أمسلم، نريد فتواكم فيمن أمر به أمؤمن أمسلم ؟ نريد فتواكم في ولى الأمر الذي علم بهذا كله فلم يمنعه .

أجل يجب أن تفتونا في هؤلاء الجلادين .

لو أن أحدا منكم مثلما فعل شيخ المسجد الأقصى الأسير، فأفتى بعدم جواز صلاة الجنازة على حمزة البسيونى، وصفوت الروبى، والوزير البذيء، لما استمر الأمر .

أفتونا أنتم قبل أن نبحث عن الفتوى عند غيركم .

يجب أن تعلم الأمة موقف دين محمد صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الجلادين أفتونا، لو خرج مثل هذا الرجل من المعتقل بعد ما تعرض له من تعذيب ليغتال ضابط مباحث أمن الدولة في الفيوم، أو ليغتصب فتاه العتبة، أو أن يكون شاهدا ديوثا يرى انتهاك الأعراض والحرمات فلا يتحرك، لو حدث أي من ذلك فمن هو المجرم ؟

أفتونا، فأنتم بفتواكم لنا لا تفيدونا فقط، ولا تؤدون شرع الله فقط وإنما تفيدون أيضا من يقوم بذلك، ربما لا يعلمون أن ما يقومون به من كبائر الكبائر، إنه لا يمكن أن تكون عقيدة التوحيد سليمة لضابط يخاف الحاكم أو وزير الداخلية أكثر من خوفه من الله، ويحرص على تنفيذ أوامرهم حتى ولو كانت منكرا يأباه الله ورسوله والمؤمنون . أفتوهم في حقيقة إيمانهم، أنا لا أكفرهم، فليس من حقي أن أفتى، لكنكم يا مسئولون عن الفتيا من واجبكم ومن حقهم عليكم أن تفقهوهم في أمور دينهم، دعكم من إنكار المنكر وجحود الجاحد، أسألكم عمن يفعل ما ذكرت، من يعذب بالنار التي لا يشدني أن يعذب بها إلا الله، من يجلد بالسياط ويصلب، من يلعن الآباء والأمهات، وينتهك الأعراض، أو من يتستر على ذلك، من يأمر بحبس وهو ظالم، من يلفق تهمة، نريد فتواكم اليوم، لا يدعى منكم أحد أن ذلك لا يحدث، وحتى لو ادعاه فليفترض أن ذلك يحدث وليفت فيه، إن فقهاء المسلمين العظام قد أفتوا في كثير من الافتراضات، فإن كنتم لا تصدقون ما نقول، فافترضوا أنه لا يحدث في عهد محمد حسنى مبارك، افترضوا أنه سيحدث في زمن قادم، في عهد رئيس آت، أو مات من ألف عام، قلبي لا يكون هناك عليكم حرج

ولا خـوف ولا تقيـه . أناشـدكم جميعـا، وأخص بالمناشـدة الشـيخ محمد الغالي، ذلك العظيم الـذي لم يفـر في عصـرنا أحـد فريـه، وليس عليـك أن تقـول فقـط، بـل أن تناشـد الآخـرين أيضـا أن يحددوا موقف الدين ممن يفعله، أتقبل صلاته وصومه، أتقبل منه عبـادة، أيتعامـل معـه المسـلمون كمـا يتعامـل المسـلمون مـع المسـلمين، أتقبـل شـهادته، أتقبـل مصـاهرته، أتجـوز مجالسـته ومصاحبته، ثم ما موقف أهله منه، تلـك كلهـا تسـاؤلات يجب أن نعرف حقيقة الإجابـة عنهـا، قلـبي لا يفـرِط أحـد ولا يفـرّط أحـد، ولكي يعلمـوا هم أنفسـكم، فلقـد جمعتـني الصـدفة ببعضـهم، فأصبت بالرعب والذهول حين وجدتهم لا ينكرون ما يفعلون، إنما هم على يقين بصوابه، ذهلت حين وجدت أن عمليات غسيل المخ قد نجحت معهم بالكامـل وأنهم يقـدمون على مـا يقـدمون عليـه بيقين كامل أنهم على صواب، وليس ذلك فقط، بـل إنهم يظنـون أنهم سيثابون عليه أيضا، لا من الحكام كما قـد يتبـادر للـذهن بـل من الله، أليسوا يطيعون ولى الأمر ؟

ولقد جمعتني صدفة يا سيدي الرئيس بلواء في جهاز سياسي هام، فرحت أطرح عليه بعضا مما أطرحه الآن عليـك، كـان ذلـك منذ سنوات، وحتى قبل انهيار الكتلة الشـرقية ولم يخـف الرجـل ضيقة وعذابه فانفجر قائلا : أنت تفكـر بصـورة نظريـة ومثاليـة لا توجـــد لهـــا في الواقـــع أرض، هـــل تصـــدق دعـــاوى الحريـــة والديمقراطيـة والحـق والعـدل والخـير والجمـال؟ على مسـتوى العالم كله لا يوجد ذلك، لا توجـد إلا المخـابرات الأمريكيـة تحـرك كل شئ وتوجـه كـل شـئ وعلينـا أن نرضـخ لـذلك ونتصـرف في حدوده، فهذا خير من الفناء . وصرخت فيه : لقـد وضـعتها مكـان الله . وخيم علينا صمت حزين ذاهل، وكـل منـا يحـاول ألا يصـدق الأخر، وإلا فقد مبرر وجوده .

سيدي الرئيس :

لقد اكتفيت حتى الآن بضرب مثـل واحـد فقـط، ومـع أن هـذا المثل وحده كاف لإدانة عهدك كله، ومع ذلك فلم يكن من البحــر إلا قطـرة، أم لم تسـمع يـا سـيدي باقتحـام المسـاجد واعتقـال المصلين، وفتح النار عليهم، بل وإطلاق القنابل المسـيلة للـدموع فيها؟ وتطور الأمر في عهدك يـا سـيادة الـرئيس كمـا لم يحـدث في عهـــد قبلـــك، فابتـــدع نظامـــك القبض على رهـــائن من آبـــاء وأمهات وأبنـاء المطلـوبين حـتى يسـلموا أنفسـهم، وابتـدع أيضـا حملات التأديب على قرى وأحياء ومراكز بالكامل، لعلك يا سيدي نسيت لكننـا -نحن- لم ننس، كـل واقعـة منهـا طعنـه في القلب،

طعنة لا تزال تـنزف، سـنورس وبهـوت وفـوة والمنصـورية وميت عنتر وأبو قرقاص وكفر الدوار والمحلة وعين شمس والمنصـورة وبـنى سـويف، وطلبـة الجامعـات والعمـال والزقـازيق وأسـيوط والمنيـا ونجـع أبـو شـجرة وسـوهاج وقنـا وميت فـارس وأخميم وبلجاى وكفر سليمان وتيرة وبنى غالب والعنانية والمطريـة وأبـو زعبل ومراغة ونزلة شادى والكوم الأحمر .

هل تعرف ماذا يحدث في عمليات التأديب تلـك ؟ أم لم يأتـك نبـأ مـا حـدث في قريـة الكـوم الأحمـر – على سـبيل المثـال والاستدلال لا على سبيل الحصر للأفعال، إحراق المنازل وهـدمها وتدمير أثاثهـا، إذلال المواطـنين وهتـك أعراضـهم، ترويـع النسـاء والأطفـال، اعتقـال القريـة بأكملهـا في معسـكر للأمن المركـزي وتعذيبهم جميعا فيه، ضرب الآباء أمام أبنائهم والأبناء أمـا آبـائهم والأمهـات أمـام الجميـع، سـفح الكرامـة والشـرف، ذبح النخـوة والشـهامة، وكـل قيمـة نبيلـة، إعـدام الرجولـة والإنسـانية. ثم يتسـاءل كتبتكم لمـاذا وقـف المواطنـون سـلبيين وعـرض فتـاه العتبة ينتهك أمام أعينهم؟ .

وقفـوا سـلبيين يـا سـيادة الـرئيس لأن عرضـهم كـان منتهكـا بالفعل قبلها، من لم ير سـمع، ومن لم يحضـر اعتـبر، أدركـوا أن الدولـة بقضـها وقضيضـها لا تحمى كرامـة ولا تسـتر عرضـا بـل هيالتي تهدده وتنتهكه .

ويتساءل كتبتكم أيضا : لم هوجم ضـابط مبـاحث أمن الدولـة في دمياط واغتيل زميله في الفيوم ؟ .

سيدي : لو أن كـل هـذا الاسـتفزاز وجـه إلى كلب لعقـر، إلى حيوان لطـاب لـه المـوت، إلى حكيم لجن، إلى حليم لاحتـار، إلى مواطن لفقد كل انتماء للوطن .

ولم يكن كل ذلك يا سـيادة الـرئيس لحمايـة هيبـة الدولـة، لم يكن لإحقاق حق ولا لإبطال باطل، لم يكن حتى للـردع، بـل كـان فقط لمجرد إذلال الناس، في عصر أصبحت قيمـة الشـخص فيـه تتحدد بقيمة الجرائم الـتي يمكنـه ارتكابهـا دون عقـاب، نفس مـا تفعله أمريكا وإسرائيل بشعوبنا يفعله رجالكم بنا، نفس الطغيـان والجبروت والسحق، ذلك أن أي طاغية وكـل طاغيـة في حقيقتـه عبد خوار إذا واجهته القوة وعتل جبار إن واجهه ضعف، عـدنا إلى عصر الغابة، حيث الإنسان وحش لا تحميـه إلا مخالبـه، لقـد ضـج القضــاء نفســه من بطش الشــرطة وحفلت حيثيــات أحكامــه بالاعتراض، بل إن الأمر لم يخل من ضباط شرطة شرفاء هـالهم

ما يحدث، فاعترضوا عليه، وهرب بعضهم إلى وظائف مدنية أو إلى أي قطاعات في الشرطة لا تعذب الناس، واكتفى بعضهم بعذابه، ونجح البعض الآخر في خداع نفسه، لكن العميد أسامة حلاوة صرخ مناديا بنبذ سياسة الشلل والطوائف في الشرطة، وألا يشغل المناصب الهامة إلا الأكفاء فلا تظل المناصب حكرا على أصحاب الوساطات وأقرباء القيادات والقادرين على إنشاء صلات، ولم يتمالك الضابط الشريف نفسه فهتف مطالبا بإلغاء مباحث أمن الدولة، معترفا أن هذا الجهاز قد بنى عضلاته في الظلام في غفلة من القوانين، وأنه فضلا عن ذلك أثبت عدم قدرته على ضبط الجريمة السياسية. كما أن الشائعات تنتشر بشكل مخيف عن طريقة الالتحاق بكلية الشرطة، عن أول درس يتلقاه الطالب قبل أن يخطو خطوته الأولى إليها، عن قصيدة أولها كفر، فعلينا أن نستنكر بدايتها قبل أن نرفض نهايتها .

سيدي الرئيس :

هل هالك ما سمعت، بيد أنه بالرغم من بشاعته، لا يقدم إلا جانبا واحدا لصورة متعددة الجوانب، إلا ذراعا واحدا لإخطبوط، لأن ما يحدث في أقسام الشرطة ليس أقل بشاعة ولا تدميرا للأمة مما يحدث من تعذيب وعقاب جماعي، والأمر ليس مقاومة إرهاب، ولا حتى محافظة على نظام الحكم، إنما هو إجرام لم يجد من يردعه، لا عن سهو ولا عن جهل، وإنما هيسلسلة واحدة تتعلق بالفساد والتزوير، وبالرغم من ذلك كله يسخر وزيرك من شعبك متهكما، فيتساءل هل نستقبلهم في فنادق ذوات نجوم خمس، رعاياك يا مولاي لا يعرفون ذوات النجوم، فكيف يطلبون ما لا يعرفون، وهو لا يطلبون ما لا يعرفون، وهم لا يطلبون إلا قليلا، قليلا فقط من الكرامة واحترام الآدمية.

نعم.. قليلا فقط من الكرامة واحترام الآدمية .

إن أحداثا كهذه يا سيدي تجعلني أكاد أسمع بأذني صرير تفسخ أوصال أمتك، انهيارها، اقتلاع جذورها، فنحن يا سيدي أبناء دين علمنا أن دماءنا وأموالنا وأعراضنا حرام عليكم وحرام علينا . إن من يعذب الناس دخل النار.

ديننا يعلمنا أن للكبائر كبائر ومن أكبرها شهادة الزور، أليس تزوير الانتخابات شهادة زور .

إن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار .

وإن من أشار لأخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه، فكيف يقرأ الحديث لا من يشير بحديدة بل يحطم بها العظام .

وإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن لعن الدابة، فكيف يقرأ هذا من يلعن الإنسان الذي كرمه الله . وإن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء فكيف تستقيم عقول أناس يدّعون الإيمان ويسفكون الدماء .

كيف لا تتحطم نفوسهم وتنسحق أرواحهم إذ يقرءون : أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم وصيفة إلى أمر، فأبطأت، فقال لها : والله لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك.

يا إلهى بأبى أنت وأمي، ما أكرمك وما أرحمك وما أحلمك حين تخشى القصاص من السواك، فما بال أناس يدعون انتماءهم إليك، وجوههم وجوه إنس وقلوبهم قلوب شياطين، لا يخشون قصاصا من سفك دم وهتك عرض وإهانة من كرمه الله .

والله يا سيادة الرئيس إنني أرثى لهم .

ليس لضحاياكم بل لجلاديكم..

ذلك أن بطشهم ليس موجها لما تسمونهم بالجماعات الدينية المتطرفة فقط، بل للأمة كلها ولذواتهم أيضا .

أنت قرأت بالتأكيد يا سيادة الرئيس تلك القصة التي نشرها بريد الأهرام عن تلك المرأة التي اغتصبت في حديقة الأزبكية، ولم تكد تمر أسابيع قليلة حتى كانت الفاجعة المذهلة لفتاة العتبة، أقسم لك يا سيادة الرئيس أن الدموع تملأ عيني، وأنا أكتب لك، لا من أجل الفتاه فقط، لكن من أجل أربعمائة ديوث مسختهم أنظمة حكم آخرها نظامك، هل كنا من1 البداية هكذا، أتربينا على هذا، أنا لا أتحدث عن تاريخ موغل في القدم قد يبالغ ناقلوه، كي أتحدث عن تاريخ عشته أنت في شبابك، الأربعمائة رجل مجرد مثل لملايين الرجال، وهم أصدق تمثيلا للأمة من مجلس الشعب والشورى ومن المثقفين والسادة، ما الذي مسخ شعبك هكذا يا سيادة الرئيس، ما الذي فعل بنا هذا سوى سلاسل شيطانية من القهر والفساد والجبروت، من انعدام الثقة، من إدراك الجميع أن كل أجهزة الدولة مكرسة فقط للحفاظ على نظام الحكم، أما الباقي فلا يهم، دعوهم كحيوانات الغابة، أو كلاب الطريق الضالة، أربعمائة رجل، كل ديوث منهم – ومنا – وكل مسخ فكر ألف مرة فيها يمكن أن يحدث له لو ذهب

إلى قسم الشرطة، قلاع الأمان التي تحولت إلى مجـازر تعـذيب، أم لم تسمع يا سيادة الرئيس عن ذلك الضـابط في أحـد أقسـام الشرطة، الضابط الذي أرغم مواطنا أن يقبل قضيبه، أكنت ترجو بعد هذا من الأربعمائـة ديـوث أن يكونـوا إيجـابيين أو أن تمسـهم الصـحوة الكـبرى عـبر تقبيـل المـواطن – أحـد رعايـاك الـذين سيسألك الله عنهم – لقضيب الضابط .

إن هـذه النوعيـة الخاصـة من الجـرائم ليسـت إلا نتـاج نطفـة حرام نمت وترعرعت في رحم السلطة .

إن اللواء حلمي الفقي مدير مصلحة الأمن العام، بعد أن يؤكد أن حادث اغتصاب فتاة العتبة حادث عـادى، يتهم الفتـاة الضـحية بأنها هي الـتي شـجعت الشـاب على هتـك عرضـها، وأنهـا تركتـه يفعل ما يشاء حتى وصل بيده إلى منطقة حساسة دون أن تنهره أو تصرخ .

هكذا تتحول الضحية إلى جانية، وتصـرخ الفتـاة للصـحفيين إن ضباط الشرطة يعاملونها كمتهمة .

وفى حادثـة إمبابـة حـدث نفس الشـيء، نفس النظـرة إلى الناس كحيوانات قذرة، لا شـعور لهـا ولا إحسـاس، ولكي يغطـوا على التقصير المخجل، نشرت الصحف أن الزوجة عشيقة صديق الزوج، وأنكرت الزوجـة وأنكـر الـزوج، وأنكـر الصـديق، فمن أين أتــوا ببهتــانهم، نفس المنهج، ونفس الفكــر الــذي يعــاملون بــه المثقفين والمعارضــين والوطنــيين، أقصــى درجــات التشــويه والكذب لتبرير الإجرام .

لكن ما دامت الجريمة قد وقعت فلا بد أن يكون هناك مجرم، وما دام المجرمون الحقيقيون فوق القانون وفوق المسـاءلة، فلا بد أن يبحثـوا عن إلصـاق الجريمـة بالضـحية .. بالشـعب ، ولمـاذا تستغرب هذا على مدير أمن عام، إذا كان سيد سابق له قـد اتهم رمـوز أمتـه، وخلاصـة ضـميرها، بـأنهم خنـازير وكلاب، ومصـابون بالشذوذ الجنسى . ولمـاذا نسـتغربه من مـدير أمن عـام إذا كـان سيد سابق له قد قال لشيخ جليل تحت قبة مجلس الشعب : " يا سافل يا مجرم يا وسخ ".

لماذا نستغرب إذن تصريحات اللواء حلمي الفقي ن ولمـاذا لا نكون واقعيين فننصح كل فتاه تغتصب - وكل معتقل يعذب – أن تلعق كالحيوان جرحها بلسانها، وألا تلجأ إلى مسئولين قد لا تقــل وحشية بعضهم عن وحشية من اغتصبوها .

هل تتخيل يا سيدي الرئيس أنني احـترمت اللـواء محمـد عبـد الحليم موسى، عنـدما صـرح بـأن حـادث اغتصـاب الفتـاه حـادث عادى، هذا الرجـل مـازال يسـتطيع أن يقـول الصـدق، هـذا رجـل الأسرار مكشوفة أمامـه، والملفـات مفتوحـة أمـام عينيـة . هـذا رجـل يعـرف بـاليقين مـا يحـدث في سـجونه من تعـذيب وإهـدار للآدمية، هذا رجل يمارس رجاله الحرق والهدم وما هو أكـثر، هـذا رجل يعرف ما يحدث في أقسـام البـوليس ومـاذا يحـدث خلفهـا، رجـل يعـرف مـاذا يحـدث في "لاظـوغلى"، وفى معهـد أمنـاء الشرطة وفى أماكن أخرى يعرفها ولا نعرفهـا. هـذا رجـل يعـرف هذا كله ويعرف أكثر منـه، فكيـف لا يكـون حـادث اغتصـاب فتـاة العتبة مجرد حادث عادى بالنسبة له ؟ لقـد صـدق الرجـل، وتلـك خطيئته الوحيدة .

لقد تولى الوزارة، وليس له عدو وأخشى أن يغادرهـا وليس له صديق . إنه الابتلاء الأخير لرجل أحبـه النـاس فخـذلهم، وثقـوا فيه أنه لن يكون كالآخرين فأهدر ثقتهم . نفس المأساة تتكرر مع كل مسئول . يتسلل الشيطان عبر السلطة والجاه ليقايض الـدنيا بالآخرة . آخر امتحان وأصعب امتحان وفيه – في زماننا – لا يكـاد ينجح أحد.

إن عبد الحليم موسى يتحمل أمام الله أوزاره، لكنك تحملهـا معه أيضا يا سيادة الـرئيس، كمـا تتحملهـا مـع كـل مسـئول آخـر تأتون به ليتحمل في الـدنيا أمـام النـاس أوزاركم، وبعـد اسـتنفاد أغراضكم منه، بعـد أن يفيض بالنـاس الكيـل، تتخلصـون منـه، ثم تأتون بغيره ليبدأ من جديد .

أين كـل وزراء الداخليـة السـابقين ؟ ألا يعتـبر بهم أحـد، وقـد قامر معظمهم بالآخرة من أجل الدنيا، فخسـروا الآخـرة والـدنيا . لمـاذا لم يقـف منهم أحـد ليقـول : لا.. لا.. لا.. اللـه عنـدي أكـبر والآخرة أغلى والدين أعز.

ولعلى أتسـاءل : مـا علاقـة ذلـك بأحـداث شـديدة الشـذوذ والانحراف، كأولئك الأربعـة من أمنـاء الشـرطة الـذين اختطفـوا في سـيارة الشـرطة سـيدة ليحتجزوهـا في شـقة أحـدهم أيامـا يتناوبون فيها اغتصابها، عمل إجرامي قد يحكم عليهم الإعدام من أجلـه، لكن زملاء لهم قـاموا بنفس الفعـل البشـع مـع معتقلين وزوجاتهم دون عقاب.

ألا يمكن أن تكون هذه الحيوانات البشرية قد تعلمت الإجرام في وكر كان يفترض أن يكون حصن أمان.

كذلك قصة الضابط الذي فعل نفس الشيء .

ما علاقة تهريب المخدرات بذلك المهرب الكبير الذي أدعى أنه عميد شرطة حين القبض عليه . ما علاقته بتفتيش سيارة محافظ – أصبح بعدها وزير للداخلية – بحثا عن المخدرات .

بل ما علاقته بأحداث فردية مروعة – كذلك الضابط الذي قتل مواطنا لمجرد أنه احتج عليه عندما صفعه – وذلك الآخر الذي أمر جنوده باختطاف مدرس – إلى بيته – بعد أن ضربوه حتى فقد الوعي، لكنهم اختطفوه قلبي يضربوه أيضا أمام التلميذ – ابن الضابط – الذي ضربه المدرس في الفصل .

إن الشيطان عندما يزين لنا السوء لا يدلف إلى غرضه الخبيث بأن يقول هذه معصية فاقترفوها، وهذه حسنة فاجتنبوها، بل إنه يلبس الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق، بيد أنى لا أظن القضية بهذه السهولة، ذلك أن الله خلق في داخلنا رادارا أدق من أي رادار اخترعه بشر، يجعل جزءا في داخلنا يدرك – رغم تمويه الشيطان وتعميته – أن هذا الحق الذي نتشدق به على الناس، ليس إلا ستارا يخفى خلفه القبح واللصوصية، والانتهازية، وخيانة الله ورسوله والمؤمنين .

وهذا بالضبط يا سيدي الرئيس ما يحطم رجالك، ذلك أنهم مهما ادعوا صواب ما يفعلون، فليسوا على درجة من الحماقة قلبي يقتنعوا في أعماقهم بصدق ما يدعون، لكنهم لا يرتدعون .

كيف لا يرتدعون، كيف رغم أن العمر قصير، والحساب آت، ومتاع الدنيا قليل. حتى الحجاج ارتدع عندما هرب منه معارض فقبض على أخيه رهينة، وقال ابن الفجاءة – الرهينة – للحجاج : " إن معي كتابا من أمير المؤمنين ألا تأخذني بذنب غيري " وتساءل الحجاج في دهشة : أين هو هذا الكتاب ؟ فأجاب ابن الفجاءة: والله إن معي أرفع منه وأكرم، كتاب الله عز وجل الذي يقول فيه " ولا تزر وازرة وزر أخرى " .

السفاح ارتدع، الذي قتل خيرة التابعين، والذي قتل عبد الله بن الزبير، وأحرق الكعبة ارتدع . الذي فعل ذلك كله يا سيدي ارتدع لكن نظام الحكم عندنا لم يرتدع.

لم يرتدع رجالك ..

لكن الحجاج كان يجاهر بما يفعل، لم يكن يخفيه، لم يكذب على الآخرين وعلى نفسه، لذلك ارتدع .

أما رجالنا فما من أحد منهم إلا ويكذب، رجال أمنك، الـذين لا يكفون عن اختلاق المؤامرات حولك، يعزلونك عن شعبك، فمـاذا تفعل إذا كنت مهددا في كل خطوة ماذا تفعل إن كـان عليـك أن تتوجس من كل اتجاه شـرا، و من كـل تجمـع مـؤامرة، ومن كـل حركة محاولة لقلب نظام الحكم، بيد أنهم لا يقومون بذلك فقط، فالأجهزة الأخرى، هيالأخرى تفعل ذلك، على كـل جهـاز منهـا إذن أن يتقرب إليك أكثر، وليس ثمة وسـيلة لـذلك إلا أن يشـكك كـل جهاز في الجهاز الآخر، فليس إلا هو الأكثر ولاء لـك، أمـا الأجهـزة الأخرى، فقد تسلل إليها أعداؤك، لا تثق بها، وثـق بنـا فقـط، لكن الأجهــزة الأخــرى أيضــا تقــول لــك نفس القــول، فيالهــا من أخطبوطات هائلة، وعنكبوتات سامة تلتف حولك ليصـبح الصـراع جله صراع الباطل مع الباطل، الشر مع الشر، الكذب مع الكذب، ويصبح التسابق كله نحو نار جهنم .

ما من أحد يصدق يا سـيادة الـرئيس، مـا من أحـد يقـول لـك الحقيقة، ما يشعر به، ومـا يفكـر فيـه حـتى ولـو لم يكن صـوابا . وعندما اغتيل ضابط مباحث أمن الدولة في الفيوم، تبارت الأقلام كلهـا باحثـة عمـا يمكن أن تكتبـه أنت لـو كتبت، كـأنهم صـبوا في قوالب، أو قدوا من حديد، ما من أحد منهم لـه رأى آخـر، مـا من أحد قال : إن دماءهم في عنق السـلطة، هيـالتي أمـرت رجالهـا بـالعنف، وجعلت وجـودهم في مناصـبهم مرتبطـا بالمغـالاة فيـه، وعندما تقـع الواقعـة، تتنصـل الدولـة، لا تتنصـل فقـط بـل وتسـد عليهم الطريـق عنـدما تختلـق ثـأرا لا وجـود لـه، وتسـتنفر فيهم الحمية بالقول إن الضـابط شـجعان لن يجبنـوا عن أداء واجبـاتهم بسبب استشهاد بعضهم، ولو أنهم استشـهدوا في سـبيل اللـه، أو في سبيل ما يرضى عنه الله فأجل، ولقد دمعت عيناي واللــه من أجل ضابط الفيوم، كي لو كنت أباه لظللت أبكيه حـتى أمـوت، لا اعتراضا على قضاء الله، وإنما خوفا من كيفية تقبل الله له، وثمة أناس كانوا يحاربون مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم دخلـوا النار لأنهم لم يخلصوا لله قلوبهم فكيف آمن على ابـني إن مـات هذه الميتة .

أنت تعرف يـا سـيدي أنهم في الغـرب يتهمونـا بضـيق الأفـق، بـالحمق، أننـا لحياتنـا في الصـحراء والوديـان نبسـط الأشـياء، ونسـطحها ولا نـرى منهـا إلا جانبـا واحـدا، أننـا أحـاديي النظـر والبصيرة، وأن ذلك يجعلنا ندور دائما حول أنفسنا، لا نتقـدم، لـو أن أحدا منهم طرح القضية بصدق منذ عام 54 لربمـا مـا وصـلنا إلى مـا وصـلنا إليـه، فـإزاء التعـذيب الهمجي الوحشـي المجـرم

للمعتقلين أيامها ثـار التسـاؤل الفقهي، في المعتقـل ... هـل من حق من وقع عليه التعذيب أن يثـأر لنفسـه ممن عذبـه، مـا دامت الدولة تتستر عليه، وتدعمه وتؤيده وتنصره وتخفيه، ثار التســاؤل أيامها عنيفا داميا، لكن الرأي استقر أخيرا أن يحتسـبوا عنـد اللـه مـا يحـدث لهم، وتغـيرت الـدنا من حولنـا واتسـعت الـرؤى، لكن التعذيب عندنا استمر في عهد السادات، كما كان عهد جمال عبـد الناصـر، ثم اسـتمر في عهـدك يـا سـيدي، كمـا كـان في عهـد السادات . في عهد جمال عبد الناصر كـان جبروتـا صـريحا بشـعا يعلن عن نفسه، وفى عهد السادات لم تقل البشاعة لكنهم غيروا الأسماء، عندما ذهب الرئيس المؤمن بمعـول ليهـدم سـجنا بينمـا رجاله يبنون سجونا أخرى، وفى عهدك أيضا يا سيدي الـرئيس لم تقل بشاعة التعذيب، بل اتسمت ببشـاعات أخـرى منهـا : عصـب أعين المعتقلين، قلبي لا يروا جلاديهم، واسـتعمال أسـماء حركيـة للضباط القائمين بالتعذيب والتحقيـق تضـليلا للقضـاء إذا مـا لجـأ الضحية إليـه، وتلـك أفعـال عصـابات يجب أن تطاردهـا الدولـة لا أفعـال دولـة، وتلـك يـا سـيدي كـانت أولى الخطـوات في اغتيـال رفعت المحجوب، وضابط مباحث أمن الدولة في الفيوم .

الدنيا كلها تتحـدث عن التعـذيب في سـجونكم وأنتم تنكـرون، تقـارير الطب الشـرعي تثبت وأنتم تنكـرون، مـا من أحـد منـا إلا وقابل معتقلا سمع منه تفاصيل التعذيب لكنكم تنكرون، منظمات حقوق الإنسان تصرخ وأنتم تنكرون .

وثمة شواهد لا تـدحض عن تعـذيب للمتهمين أقـرت المحـاكم بها، فبدا أن النيابة لم تسمع صـراخ المعـذبين، ولم تثبتـه . وتلـك علامات انهيار خطـيرة ليس لنظـام حكم ولا لهيبتـه بـل للمجتمـع كله.

كل هذه الدماء التي سألت، وكـل هـذه السـياط الـتي هـوت، وكل الأشلاء التي تمزقت، وكل هذه القضايا التي لفقت .

أما آن الأوان لكي تنتهي .

صباح الغد يا سيدي سوف تجد تقريـرا على مكتبـك، أو مقـالا في صحيفة يشير إليّ كمجرم يسـاند الإرهـاب، مثلمـا حـدث بعـد مقالتى :" كأنهم يقولون : قل هو الرئيس أحد الـرئيس الصـمد "[1]، عندما أندفع بلهاء يقولون أنني حرفت القـرآن وشـبهتك باللـه، ومـا ذلـك قلت بـل قلت ضـده، فـإلام يفهمـون عكس مـا نقـول، وحتام يدعون علينا ما لم نقل . أم أنهم لا يستطيعون مواجهة مـا نقول، فيدعون علينا ما يستطيعون مواجهته .

وأنا والله يا سيدي ضد الإرهاب بكل صوره، طبيعتي كمسلم ترفض الظلم وطبيعتي كمثقف تنبو عن العنف، ولأنني أدرك أن مأساة المسلمين الكبرى بدأت بعمل إرهابي قُتل فيه ذو النورين، كما أدرك أيضا أن اغتيال السادات – بغض النظر عن أشياء كثيرة – لم يغير من الأمور الكثير، ذلك أن الحاكم ليس فردا وإنما طبقة، ونظام الحكم ليس رأيا، وإنما منهج متكامل، والإنسان لا يستطيع أن يقتل طبقة ولا أن يطلق الرصاص على منهج، لذلك أدين الإرهاب، وأومن بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة، كي حين أدين الإرهاب، أدينه فيكم قبل أن أدينه في أعدائكم

الحقيقة التي لا أظننا سنختلف عليها كثيرا، أن الدولة العسكرية التي انهارت 67 قد أسلمت ميراثها للدولة البوليسية التي فاقت الأولى بشاعة، ولقد كانت لدولة العسكر كل عيوب العسكريين في شتى أنحاء العالم، وبرغم أخطائها الهائلة فإن مجد العسكرية المصرية التليد قد وضع في كفة الصواب ما لا يستهان به، وما تدعم بصورة حاسمة في أكتوبر 73، أما بالنسبة للدولة البوليسية فإنني أخشى أن تكون عيوبها وتاريخها التليد في القهر والتزوير حاجبا لكل ميزة، وفى قلب القلب للدولة البوليسية يقع القلم المخصوص أو السياسي أو المباحث العامة، أو مباحث أمن الدولة وأي مسمى آخر . لقد كانوا هم أدوات السلطة للجبروت، وعندما يقعون الآن ضحايا فنما أسهل أن نسطح الأمر في بلاهة، لنقرر أنهم ضحايا خوارج يجب استئصال شأفتهم.. حسنا .. لن تستطيعوا استئصال شأفتهم بالكامل أبدا والتاريخ معي يشهد، قد تقمعونهم لعام، لعامين، ليعودوا مرة أخرى، وليتساقط من ضباط أمن الدولة آخرون .

عندما أتأمل جهاز مباحث أمن الدولة فإنني أشعر بالرثاء من أجل رجاله، بالإشفاق – لست أنفى المسئولية عنهم – كي أشعر بالرثاء من أجلهم، لأنهم مباحث أمن النظام لا أمن الوطن أو الدولة.

ناشدتك الله يا سيدي الرئيس هل أما مخطئ ؟

لقد غير الجهاز توجهاته بالكامل إلى الضد مرات عديدة في كل عهد، تأتيهم الأوامر .. طاردوا الإخوان المسلمين، ويفتى الأزهر بأنهم خوارج، خففوا القبضة قليلا عن الإخوان ، وطاردوا الشيوعيين فإنهم كفرة، أما من يتعامل مع إسرائيل فكافر على جميع المذاهب، أفرجوا عن الشيوعيين وطاردوا من مشى في جنازة النحاس، أفرجوا عن الإخوان المسلمين فهم صفوة الأمة،

وما زعيمكم السابق الـذي ظللتم ثمانيـة عشـر عامـا تعبدونـه إلا وثن يجب هدمه، زعيمكم الجديد مؤمن رفع راية الإسـلام وحقـق النصـر، أمسـكوا من يهـاجم إسـرائيل فـإنهم خونـة يجب قطـع دابرهم : اقبضوا على الجميع، أفرجوا عن الجميع، العراق صديقة فغضوا البصر عن كل أخطـاء رعاياهـا، العـراق عـدوة ولا بـد من دليل على ذلك بضبط تنظيمـات تتبعهـا تهـدد أمن الـوطن .. ليبيـا عدوة، ليبيا صديقة .. سوريا عدوة، سوريا شقيقة، ياسـر عرفـات زعيم دولة، ياسر عرفات هباش بكاش ......!!

لو أن جهاز كمـبيوتر غـذى بهـذه البيانـات المتناقصـة لاختنـق، لاحترق.

من أجل ذلك أشفق عليهم.

أشفق عليهم أيضـا لأنـه كـانت لهم دائمـا المعلومـات الـتي لا نعرفهـا عن تـورط السـلطة في الفسـاد، والأوامـر بغض البصـر، يأتيهم الأمـر بـتزوير الانتخابـات مثلا، ثم يصـرح المسـئول الكبـير مشــيدا بنزاهــة الانتخابــات، وهم يعلمــون علم اليقين – لا الظن مثلنا – أن المسئول كاذب . تأتيهم الأوامـر الشـفهية بالتعـذيب أو حتى بالقتل، ويقسم المسئول في التليفزيون أن ذلك لا يحدث.

مـاذا يمكن أن يفعـل الشـيطان في إنسـان أكـثر ممـا فعلتـه السلطة فيهم .

ولننظر إليهم بعد ذلك كله كبشر، كيف يستطيعون المحافظـة على توازنهم النفسي وثمة رادار خلقه اللـه في أنفسـهم يجعلهم يـدركون – رغم كـل محـاولات السـلطة لغسـيل المخ – يـدركون أنهم يخالفون شرع الله، وهم يعلمون أن قصاص اللـه آت، كيـف يسـتطيعون وسـط هـذه المتناقضـات كلهـا أن يحتفظـوا بنفـوس سوية، أن يكونوا أبناء بـررة، وآبـاء صـالحين، وأفـراد أصـحاء في المجتمع، لا يتوجسون كل لحظة وأخرى، لا من انتقام ضـحاياهم، بـل من انتقـام اللـه منهم وابتلائـه لهم في أنفسـهم وفى ذويهم، وهم في موقفهم المأساوي هذا لا يملكون القـدرة على الـتراجع، فذلك يفقدهم ميزات القوة والسلطة الـتي تتمتـع بهـا مراكـزهم، فإن تخلت عنهم واجهوا المجتمع الذي لم يتعـودوا على مواجهتـه دون بطش .

هـل تتخيـل يـا سـيدي الـرئيس نفسـية واحـد منهم يعـرف أن التزوير من الكبـائر وأن التعـذيب من الكبـائر، لكن الأوامـر تأتيـه بأن يعذب ويزور، وهو أن استجاب ضاع، وإن رفض جاع .

مـــا هـــو شـــعور زوجـــة تكتشـــف أن زوجهـــا جلاد، وابن يكتشف عندما يميز الصواب والخطأ أن ما فعله أبوه مخجل، ولا يجعله يفخر بالانتماء إليه .

إنكم تحطمونهم .

والكارثـة أننـا نعـالج الخطـأ، لا بـالرجوع عنـه لكن بمزيـد من الإيغال فيه، إن حماية ضباط مباحث أمن الدولـة من الاغتيـال، لا تـأتى بمزيـد من البطش والعسـف والتعـذيب، بـل بـالعودة إلى الحق، إلى الدين، والعقل، ودفع المواطنين إلى الإيجابيـة لا تـأتى بتكـثيف كـابوس الشـرطة، لكن بـدفعهم لمعاملـة المواطـنين كآدميين لا كحيوانات .

يا شيخ محمد الغالي، يا شيخ الأزهر، يا مفتى الديار، يـا البابـا شنودة، يا حلمي مراد، يا أحمد بهـاء الـدين، يـا عـادل حسـين، يـا أسامة الباز، يا مصطفى الفقي، يا إبراهيم شكري، يا فؤاد سراج الدين يا خالد محيى الـدين، يـا على الـدين صـالح، يـا زكى نجيب محمود، يا نجيب محفوظ ، يا نعمات أحمد فؤاد، يـا يحـيي حقي،، يا جمال حمدان ، يا نور الشريف، يا محمد السيد سعيد، يا أحمـد بهجت، يا إبراهيم نـافع، يـا محفـوظ الأنصـاري، ويـا كـل مـواطن يحترم الوديعة، التي أودعها الله فينا، أذهبوا إلى الـرئيس لتقولـوا له إن وصمة التعذيب لا تجلل عهده بالعار فقط، وإنما تجعـل من كل منا ديوثـا، أجـل ديوثـا مـا دام يـرى هـذا العـذاب يلحـق بهـذه النفوس البشرية بين أيدي السفاحين الجلادين، وهم بلا حـول ولا قوة، ثم لا يتحرك من أجلهم .

ناشدتك اللـه يـا سـيدي الـرئيس، اللـه الواحـد الأحـد، القـوى القهار، المنتقم الجبار الذي يمهل ولا يهمل، الذي لا يغادر صـغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ناشدتك بحقه عليك، وعلينـا أن تجيب على تساؤلي : ألم يمارس عهدك التعذيب ؟ ألم تعلم به ؟.

دعـك من بيانـات وزيـر الداخليـة، وإنكـار السـلطة، دعـك من أحكام القضاء على من مارسوا التعذيب بالبراءة، دعك من كتـاب تعرفهم خيرا منا، دعـك من هـذا كلـه، أنـا وأنت واللـه ثالثنـا، ألم يحدث تعذيب في عهدك، ألم تعلم به، ألم يطلق رجالك الرصاص على رجـال مهمـا تكن تهمهم، فالقضـاء لا رجـال الشـرطة هـو الكفيل بهم .

أم أنكم يا سيادة الرئيس تعاملوننا كأننا عبيد، وأنتم سادة، فلا حقـوق لنـا عليكم إلا مـا كـان من حقـوق العبيـد . في أعناقنـا سلاسـلكم .. ظهورنـا مـوطئ سـياطكم .. حريتنـا في يمينكم ..

وحـتى أعراضـنا حلال عليكم .. وليس من حقنـا بعـد ذلـك إلا أن نسبح بحمد نعمتك علينا ... أتقبل يا سيادة الرئيس أن يصل الأمر أن كاتبا شهيرا أعتقل أخوه في قضيه برأته منها المحكمـة – بعـد ذلـك – يضـطر لمناشـدتك على صـفحات الصـحف في إعلانـات مدفوعــة الأجــر قلــبي تنقــذ أخــاه من التعــذيب في ســجون الزبانية حيث ينفردون بضحاياهم .. يعصب المجرمــون أعينهم .. وهم إذا اشـتكوا يطـالبهم القضـاء بـألف دليـل ويقين على نـوع التعذيب ، وشخصية المعذبين، فكيف يتمكنون من ذلك وقـد كـان الشيطان منفردا بهم، ألم يحك لك مكرم محمد أحمد عما حــدث للدكتور محمد السيد سعيد الكاتب الكبـير بـأكبر صـحيفة عربيـة، بواحدة من أشهر عشر صحف في العالم، في الأهـرام، ألم يحـك لك عما حدث له عندما أراد أن ينقل عبر الأمة إليك كلمـة صـدق عن إرهـاب الدولـة، معمـل التفـريخ الشـيطاني لكـل إرهـاب في المجتمع، ألم يقل لك كيف لفقوا له التهم، كيف عذبوه، كيف رآه مكرم محمد أحمد بأم عينيه ممزق الروح والجسد، هذا ما يحـدث لصحفي من أكـبر الصـحفيين في صـحيفة من أكـبر الصـحف في العالم فماذا يحدث إذن للمواطن العادى، ماذا يحدث لرعاياك يـا سيدي الرئيس ؟.

هل تعرف وطأة ذلـك على بنـاء شخصـية الأمـة .. إن الجميـع يودون من أعماقهم أن يبادروا لنجدة المعذب المستغيث .. ولكن الخـوف واليـأس يقتلان نخـوة الرجـال وشـهامتهم فيصـمتون ... وفى الصمت تسقط رجولتنا وإنسانيتنا وشرفنا، وكرامتنا فنتحول إلى قطيع من الخراف ينتظر الذبح ... الدور يمكن أن يصـيب أي واحد منا لأي سبب وبلا سبب .

ذات يوم ضرب شيخ من شيوخنا المثل لواحد من خلفـاء بـنى العباس حين رآه يسرف في تجنيد الترك – الـذين قتلـوا الخليفـة والتهموا الخلافة بعد ذلك – فقال له:

مولاي : كان هناك راع، ساءه أن تفـترس الـذئاب بعض غنمـه فأســرف في تربيــة الكلاب قلــبي تــذود الــذئاب، لكن الكلاب احتاجت إلى طعام، فأخذ يذبح كل يوم من غنمـه حـتى يطعمهـا، حتى انتهت غنمه، فيا مولاي، مـاذا يفعـل الـراعي إذا أكلت كلابـه غنمه ؟

نعم يا سيادة الرئيس.. أكلت الكلاب الغنم، لم تأكلها الـذئاب، ولا وحوش الفلاة، ولم يسرقها اللصوص، وإنما أكلتها الكلاب.

لشد ما وددت أن يأتيك نجيب محفوظ حاملا إليك جائزة نوبل هاتفا بك يا سيدي، أعدها إليهم فأنا لا أستحقها، لا أستحقها بالتأكيد، ما دامت كتاباتي في خمسين عاما لم تجعلكم توقفون التعذيب، وإهدار كرامة الإنسان .

ووددت أيضا أن يأتيك بطرس غالى – في صحوة ضمير – قائلا : أنه لا يستحق شرف منصبه العالمي، وقد كان عضوا في حكومة تم في عهدها تزوير الانتخابات والتستر على الفساد، ونهب الاقتصاد، وتهريب أكثر من مائة مليار دولار للخارج .

سيدي الرئيس :

ناشدتك الله، هل ترضى أن يكون أحد أبنائك واحدا من الجلادين . بل ألم تفكر للحظة أن علاء ابنك هو ضحية الجلادين، هو الذي يصلب ويعلق ويحرق، و .. و.. لا أستطيع أن أكمل، لكنك أنت يجب أن تكمل، لأن سؤال الله لك عنا سيفوق سؤاله لك عن ابنك

كل عام وأنت طيب يا سيادة الرئيس .

عيد ميلاد سعيد يا سيدي.

عام جديد سعيد عليك وعلينا، أو بالأحرى أقل ألما وحزنا .

عام يشهد أوامر صارمة جامعة مانعة للتعذيب، ومحاسبة من قاموا به .

فتلك يا سيدي خطوة في طريق طويل قلبي لا نكون في المكان الذي يريده لنا أعداؤنا وأعداؤك.

من وصفوني ووصفوك بأبشع ما يكون في بروتوكولات حكماء صهيون . لكن ذلك مقال آخر، أرجو أن يتسع صدرك له في العدد القادم .

وعام سعيد يا سيدي.

رد دكتور فرج فودة على مقال د. محمد عباس

مادمنا نتحدث عن صحف المعارضة فلا بأس أن أنقل للقـارئ مكالمة من صديق عزيز، متفوق في مجاله الطبي، ومشارك في الحياة السياسية والعامة .

قال لكنني، هل قرأت ما يكتبه محمد عباس في الشعب ؟

تقصد رسالة إلى السيد الرئيس ؟ ..

- نعم، لقـد أصـابتني الرسـالة بارتفـاع في ضـغط الـدم .. الصديق معه حق، سلسلة المقالات التي يكتبها الأخ عباس، الذي لم أتشـرف بـالتعرف عليـه سياسـيا أو كاتبـا من قبـل، تـذكرنا بمحاولاتنـا الأولى ونحن هـواة، حين كنـا نتخيـل أننـا نجلس إلى السـيد الـرئيس، ونكتب الصـفحات الطـوال، ونأخـذ راحتنـا في الحديث وينتهي الأمر بمحاولـة نضـحك عليهـا حين تقرؤهـا " على كبر " ..

أنا شخصيا كتبت رسائل مطولة للـرئيس السـادات وللـرئيس مبارك . وكان ذلك قبل نحو عشر سنوات، ولكنى والحق يقال لم أبلغ ما بلغه الأخ عباس، من مستوى لا أسمح لنفسي بوصفه ..

ما معنى أن يتحدث كاتب للسيد الـرئيس قـائلا مـا معنـاه، إن عمرك اليوم تجاوز الخامسة والستين، وقد اقـترب موعـد لقائـك بربك، وسوف يسألك عن كذا وكذا وساعتها لن يكـون معـك كـذا وكذا .

أين اللياقة وأدب الحوار ؟ بل وأين الفكـر في هـذا كلـه، ومن هذا كله ؟

أنـني أعتـذر للقـارئ بـأنني لم أقـرأ الرسـائل كاملـة واكتفيت بنظرة سريعة إلى السطور لأنـني فـوجئت بالكـاتب في الرسـالة الأولى يكتب شيئا أذهلني، حيث كـان يتوقـع كمـا يقـول : أن يبـدأ حسنى مبارك عهدة بالإفراج عن قتلة السادات ..

هكذا ..

أين حدث هذا إن شاء الله ؟..

واستنادا إلى أي شرع أو دين أو فكر ؟ ...

قتل رئيس الدولة وسبعة معه، يؤدى إلى براءة المتهمين ؟

لمـاذا لا يكمـل إذا سلسـلة مقالاتـه، ويبـوح بمـا يعتمـل في صدره، ويطالب لهم بأوسمة؟

يبدو أن الكاتب يعيش في "الباى باى" ويتخيل أوهاما دينيـة لا سند لها إلا الإرهاب، ولا شفيع لها إلا مرض النفـوس، شـفاه اللـه منه وعافاه ..

عندما قتل عبد الرحمن بن ملجم الإمام عليا، تولى أمره عبـد الله بن جعفر بن أبى طالب فقطـع يديـه، وقطـع رجليـه، وسـمل عينيه، وقطع لسانه، ثم قتله، ثم صلبه وأحرق جسده ..

هذا عن قاتل على إمام المتقين .

في عهد أبى جعفر المنصـور، كتب الأديب الرائـع ابن المقفـع "رسالة الصحابة" ناصـحا لـه، فمـاذا كـان جـزاء النصـيحة، مجـرد النصيحة ؟

اختلفت الرواية يا أستاذ عباس ..

رواية تقول إنهم قطعوا جسده قطعة قطعة، وأخذوا يشـوون القطع على النار ويطعمونه إياها حتى مات ..

ورواية أخرى أنهم أحرقوه في التنور .

والحديث طويل، وأئمة الفقـه الأربعـة كـان مسـموحا لهم في عهد ازدهار الدولة الإسـلامية بالحـديث عن الـدين، فـإذا تجـاوزوا إلى شـبه السياسـة، أو حـتى شـبه الاختلاف الفقهي مـع فقهـاء الخليفة، نالوا ما نالوا من جلد وضرب وتعذيب الأمام "أبو حنيفة" جلد لرفضه ولاية القضاء، وقيل انه مات بعد أن دسوا له السم ..

الإمام مالك، جلدوه وهو عـار ولم يسـتروا عورتـه، إمعانـا في إذلاله، حتى خلعت كتفه وامتنـع عن الـذهاب للمسـجد بعـد ذلـك، خجلا من الناس، حتى توفاه الله..

الإمام ابن حنبـل، عـذب وجلـد لرأيـه في خلـق القـرآن، على خلاف رأى المعتزلة، الذي أقتنع به الخليفة المأمون ..

الإمـام الشـافعي ، تـربص بـه تلاميـذ الفقيـه فتيـان، فقيـه السلطة، وضربوه حتى مات ..

والسلسلة طويلة ..

الإمــام زيــد بن على إمــام المــذهب الزيــدى، قتــل وصــلب جثمانه .

الإمام ابن تيميه، خرج من سجن إلى سجن حتى مات فلتحمد الله يا أستاذ عباس على أنك تعيش في عصر، غـير العصـر الـذي تدعو إليه، وتظللك الديمقراطية الوارفة بظلها الظليـل، ويحميـك القانون " الوضعي " مهما تجاوزت، وتكفل لك الدولة " المدنيـة" أن تكتب ما تكتب وأنت آمن

وإذا لم تستح فاكتب في جريدة "الشعب "

من مواطن مشاعري إلى الرئيس مبارك "4"

سيادة الرئيس

كل سنة وأنت طيب

كل عام وأنت أكثر صحة، فصحتك صحة لأمتك..

كل عام وأنت أكثر قوة، فقوتك ذخر لوطنك ..

أليس هكذا يجب أن تكون الأمور يا سيدي ؟؟ ..

كان هذا حديثا لشخصك..

*****

فلنعد الآن إلى حديثنا العام الذي لا يعبر فيه ضمير المتكلم عنى ولا كاف المخاطب عنك، ولا المضارع مضارعا لأن ما يحدث الآن قد حدث بذاته قبل ذلك ومضى، ولا الماضي ماضيا لأن ما حدث قبل ذلك ما يزال.

أنا الأمة وأنت الحاكم الرئيس الملك الأمير الخليفة .

أنا العبد الأجير وأنت المالك الآجر القادر وأنا المقدور على .

فهل تغفر لكنني ذنبي يا سيادة الرئيس إن جرؤت وشككت فيك ..

لقد شك الأنبياء أنفسهم في الله حتى هداهم إليه .

والإمام الغالي يقول إن الشك قنطرة اليقين .

ويوم القيامة سننادى بأسماء أمهاتنا[2] لأنه ما من أحد يدرك على وجه اليقين أن أباه أبوه حتى الأنبياء لم تخل سيرتهم من قصة إفك، وزوجة الحسن رضى الله عنه قد دست له السم في طعامه .

******

فاغفر لكنني يا سيدي الرئيس إذن أن أشك فيك، فالمرء أحيانا يشك في نفسه، بيد أن علاج ما في النفس من شك، لا

يتم ولـوج أبوابـه إلا عـبر طريـق طويـل يعبّـده الصـدق، لا صـدق اللسان فهذا هين، وإنما الصدق مع النفس وهذا لعمرك من أشق الأمور وأصعبها، ثم إنني أحذرك من مراوغة الحقيقة الـتي تغرينـا بسهولتها وأنها قبض أيدينا لكننا ما نلبث حتى نكتشف أن أيـدينا لا تقبض إلا على ضلال، أجل أحذرك من مراوغـة الحقيقـة حـتى إن جاهدنا أن نبلغ أعلى مراحل الصدق التي تستطيع الوصول إليهـا، فما بالك يا سيدي إن كذبنا .

فـدعني يـا سـيدي أحكي لـك عن واقعـة دفعتـني للشـك في عقلي وما تزال، فعندما قرأت بروتوكـولات حكمـاء صـهيون منـذ ثلاثين عاما سـخرت منهـا كثـيرا ثم وضـعتها في مكتبـتي في رف للكتب التافهة التي تحوى كتب السحر والشعوذة والخرافة، وأخذ هـذا الـرف يتضـخم بعـد ذلـك بكتب مئـات الكتـاب والصـحفيين والساسة ومذكراتهم ثم مر بنا الـزمن أو على الأحـرى مـرّ علينـا فسحقنا، بدد شملنا وفـرق جمعنـا وأهـدر بين أمم الأرض دماءنـا، فإذا ما ظننت أنه شعوذة وخرافة هو بعينه ما يحدث لنا بتفاصيل أحيانا يعجز العقل معها عن التفكير والاستيعاب، إنها كآلـة الـزمن تكشف لنا عما سيحدث لنا، وضعتني وأنا أعيد قراءتها أتنبـه لأول مرة إلى تعليق مفكر عملاق هو العقاد عليها بقوله :" الأمر الذي لا شك فيـه هـو أن لسـان الحـال أصـدق من لسـان المقـال وأن السيطرة الخفية قائمة بتلك البروتوكلات أو بغيرها "

فلو أننا تنبهنا حينئذ.

ولو أننا ونحن نقرأ الآن لا تأخذنا نعرة الـرفض والتكـذيب غـير متخيلين أن هذا الذي يراد بنا يمكن أن يحدث لنا، لأنه حـدث فعلا ويحدث ولسوف يستمر إذا لم نعتبر .

فلنقرأ إذن مقتطفات من بروتوكولات حكماء صهيون :

***

إننا نخشى تحالف قوتهم الحاكمة مع قوة الرعاع العمياء غـير أنا قد اتخذنا كل الاحتياطـات لنمنـع احتمـال وقـوع هـذا الحـادث، فقد أقمنا بين القوتين سدا قوامـه الـرعب الـذي تحسـه القوتـان كل من الأخرى..

هل لاحظت يا سيدي أنك هنا أنت الحاكم وأنا الرعاع ؟ ..

وهل رأيت ما يخشاه أعداؤنا منـا ؟ ألم أقـل لـك إن علينـا أن نحب بعضنا وأن نجعل الثقة جسرا بيننا بدلا من كل هذا التـوجس والترقب .

واصل القراءة معي يا سيدي، طـال عمـرك، واتسـع صـدرك، وعظم صبرك .

" سنختار من بين العامة رؤسـاء ممن لهم ميـول العبيـد، ولن يكونوا مدربين على فنون الحكم، ولـذلك سـيكون من اليسـير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا "..

أرأيت مدى بـذاءتهم يـا سـيدي لكن بـذاءتهم ليسـت شـاغلنا الآن فلنواصل القراءة إذن .

" لقد وضعنا في مكان الملـك كاريكـاتيرا في شـخص رئيس يشبهه وقد اخترناه من الدهماء بين عبيدنا "

ناشـدتك اللـه يـا سـيادة الـرئيس : ألم ينجحـوا عنـد بعض أشقائنا ؟

" يومئذ لن نكون حـائزين في أن ننفـذ بجسـارة خطتنـا الـتي سيكون دميتنا مسئولا عنها ".

" ولكي نصـل إلى هـذه النتـائج سـندير انتخـاب أمثـال هـؤلاء الرؤسـاء ممن تكـون صـحائفهم السـابقة مسـودة بفضـيحة أو صفقة سرية مريبة إن رئيسا من هذا النـوع سـيكون منفـذا وفيـا لأغراضنا لأنه سيخشى التشهير وسـيبقى خاضـعا لسـلطاتنا .. إن مجلس ممثلي الشعب سينتخب الرئيس ويحميه ويسـتره، ولكننـا سنحرم هذا المجلس سلطة تقديم القوانين وتعديلها " ..

"هـذه السـلطة سـنعطيها الـرئيس المسـئول الـذي سـيكون ألعوبة خالصة في أيدينا وفى تلك الحال ستصـير سـلطة الـرئيس هدفا معرضا للمهاجمات المختلفة ولكننا سنعطيه وسـيلة للـدفاع وهى حقه في أن يستأنف القرارات محتكمـا إلى الشـعب، أي أن يتوجه الرئيس إلى الناس الـذين هـو عبيـدنا العميـان وهم أغلبيـة الدهماء ".

رحمتك اللهم ...

أهذا إذن ما وراء الاستفتاءات والانتخابات المزورة ؟.

يا إلهى

لقد حدث شئ من هذا مع جورباتشـوف، حـاكم قـوة عظمى ظلوا وراءها حـتى انهـارت .. فكيـف لا أخشـى حـدوث مثلـه مـع حكام أوطانى، وأوطانى أضعف بكثير .

يا سيدي والله لا أحمل عليك إلا خوفا على الأمـة وأنت منهـا، على رأسها .

الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ

فلنواصل سيدي قراءة بروتوكولاتهم :

" إلى ذلـك سـنعطى الـرئيس سـلطة إعلان الحكم العـرفي، وسنوضح هذا الامتيـاز بـأن الحقيقـة هيـأن الـرئيس لكونـه رئيس الجيش يجب أن يملك هذا الحق لحمايـة الدسـتور الجديـد، فهـذه الحماية واجبة لأنه ممثلها المسئول"..

" سـيكون حقــا لــرئيس الجمهوريــة أن يعين رئيســا ووكيلا لمجلس النـواب ومثلهمـا لمجلس الشـيوخ وسنسـتبدل بفـترات الانعقاد المستمرة للبرلمانات فترات قصيرة مدة شهور قليلــة . وإلى ذلـك سـيكون لـرئيس الجمهوريـة باعتبـاره رأس السـلطة التنفيذية حق دعوة البرلمان وحله . وسيكون لـه في حالـة الحـل إرجاء الدعوة لبرلمان جديد ولكن لكيلا يتحمل الرئيس المسئولية عن نتائج هذه الأعمال المخالفة للقانون مخالفة صارخة من قبـل أن تبلـغ خططنـا وتسـتوى، سـنغرى الـوزراء وكبـار المـوظفين الإداريين الآخرين الذين يحيطون بـالرئيس قلـبي يموهـوا أوامـره بأن يصدروا التعليمات من جـانبهم، وبـذلك نضـطرهم إلى تحمـل المسـئولية بـدلا من الـرئيس، وسننصـح خاصـة بـأن تضـم هـذه الوظيفــة إلى مجلس الشـيوخ أو مجلس شــورى الدولــة أو إلى مجلس الــوزراء، وأن لا توكــل إلى الأفــراد وبإرشــادنا سيفســر القوانين التي يمكن فهمها بوجوه عدة . وهو فـوق ذلـك سـينقض هذه القوانين في الأحوال التي نعد فيها هذا النقض أمـرا مرغوبـا فيه، وسيكون له أيضا حـق اقـتراح قـوانين وقتيـة جديـدة بـل لـه كذلك إجراء تعديلات في العمل الدستوري للحكومة محتجـا لهـذا العمل بأنه أمر يقتضيه سعادة البلاد ".

" وإنهم يقنعون النـاس عن طريـق وكلائهم بـأنهم إذا أسـاءوا اسـتعمال سـلطتهم ونكبـوا الدولـة فمـا أجـريت هـذه النكبـة إلا لحكمة سامية ".

حكمة سامية .. كيـف يقـول بعـد ذلـك قائـل أن أوراق اللعبـة كلها تجمعت عنده وإنه هو وحده الذي يعرف مـاذا كـان يمكن أن يحيـق بـالبلاد من خـراب لـو اتخـذت طريقـا آخـر غـير طريقـه أو اتبعت رأيـا أخـر دون رأيـه ؟ ومـا أي رأى نـرفض ومـا كـل رأى نرفض، لكننا ندرك أن خديعة فرد يقود قطعيا من النعـاج سـهلة . وأننا نحتاج لعقول الأمة جمعاء قلبي نقف ضد تدبيرهم .

* واصل معي يا سيدي قراءة بروتوكولاتهم :

"إن ضخامة الجيش وزيادة القوة البوليسية ضـرورتان لإتمـام خططنا، وإنه لضرورة لنا قلبي نبلغ ذلك ألا يكـون إلى جوانبنـا إلا طبقــة صــعاليك ضــخمة، وكــذلك جيش كثــير وبــوليس مخلص لأغراضنا "

" يجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضـه بـإعلان الحرب على جانب ما يجاورنا من بلاد تلك الدولة التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا . ولكن إذا غدر هؤلاء الجيران فقرروا الاتحاد ضدنا فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالميـة " يـا إلهى أليس هذا ما يحدث الآن ؟؟!!

بل ... أليس هذا ما حدث فعلا .

"بإيجاز، من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات سـوف نبين قوتنا لواحدة منهـا متوسـلين بجـرائم العنـف والإرهـاب، وإذا اتفقوا جميعا ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية أو اليابانية "..

الخلاف فقط في أن المدافع صـينية وليسـت روسـية، وأغلب الظن أن مـدافع الصـين ستضـرب غـدا، في بغـداد أو القـاهرة أو دمشق وكل عبد يرفع رأسه ستقطع...

الصحافة

:لقد سقطت صحافتهم في أيـدينا، ومن خلالهـا أحرزنـا نفـوذا وبقينا نحن من وراء ستار"..

" تقوم الصحافة بتهيج العواطف الجياشة في النـاس، ومعظم النـاس لا يـدركون أغراضـنا الدقيقـة أقـل إدراك، إننـا سنسـرج الصحافة وسنقودها بلجم حازمة "

" أمـا الصـحف الحزبيـة الـتي لن تردعهـا العقوبـات فإننـا في الخطوة التالية سنعطلها ".

لله درك يا عقاد

حـتى لـو لم تكن الـبروتوكولات موجـودة، أليس هـذا هـو مـا يحدث لنا ؟..

ألهذا إذن تصادر الصحف وتغلق ؟..

ألهذا حوربت " الشعب " فأعاقوا أن تصدر يومية ؟ ..

لكن .. فلنواصل :

" وبهذه الوسيلة سنعادل التأثير السئ لأية صحيفة مستقلة، ونظفر بسلطان كبير جدا على العقل الإنسانى ".

" وفى الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية، وستكون دائما يقظة للدفاع عن مصالحنا، ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفا نسبيا، وفى الصف الثاني سنضع الصحافة شبه الرسمية التي سيكون واجبها استمالة المحايد وفاتر الهمة "

" وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندي (فشنو) لها مئات الأيدي، وكل يد ستجس نبض الرأي العام المتقلب، ومتى ازداد النبض فإن هذه الأيدي ستجذب الرأي العام نحو مقصدنا لأن المريض المهتاج الأعصاب سهل الانقياد وسهل الوقوع تحت أي نوع من أنواع النفوذ "

" وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب وتهدئته في المسائل السياسية، وسنكون قادرين على إقناعهم أو بلبلتهم بطبع أخبار صحيحة أو زائفة، حقائق أو ما يناقضها، وإن الأخبار التي سننشرها ستعتمد على الأسلوب الذي يتقبل به الشعب هذه الأخبار وسنحتاط دائما لجس الأرض قبل أن نسير عليها"..

ائذن لي يا سيادة الرئيس أن أتذكر مقالات بعض كبار كتابنا : اعتماد خورشيد، أنيس منصور، إبراهيم سعدة، عبد العظيم رمضان .. وعشرات وعشرات .. ماذا أفعل يا ربى إن سبق أجلهم أجلى ؟؟ هل أقرأ الفاتحة على أرواحهم أم اقرأ بروتوكولا من البروتوكولات...؟

لا أدرى والله ... فلنترك ذلك إذن لنواصل قراءة البروتوكولات :

" أي إنسان يرغب في الاحتفاظ بمنصبه سيكون عليه كي يضمنه أن يطيعنا طاعة عمياء ".

أمن أجل هذا إذن ؟؟؟؟!!

كل هذا العار وكل هذا البؤس وكل هذه الهزائم وكل هذا الاستعداد للعيش بلا كرامة لأنهم يريدون الاحتفاظ بالوظائف ؟ .

" سنتنكر لكل نوع من أنواع التذمر والسخط وسنعاقب على كل إشارة تدل على البطر عقابا بالغا في صرامته حتى يكون عبره للآخرين "..

حقا حقا : والسلسلة طويلة، وهى إن بدأت بسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين لم تنته بخالد الإسلامبولى ولا سليمان

خاطر ولا سعد إدريس حلاوة، ولا بعشرات ومئات وآلاف وملايين يدفعون ذات الثمن في سبيل الله ..

" سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جدا من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس حتى إن تعـاليمهم سيكون لها اثر مناقض " ..

ألهذا حوصر أمثال الشيخ محمد الغزلي وأوذوا في سبيل اللـه أفسح المجال كله لغيرهم فساد الجهـل وعمت السـطحية وقـاد الغباء فعم البلاء .

" سـنعتقل النـاس الـذين يمكن أن نتـوهم منهم الجـرائم السياسية توهما عن صواب كثيرا أو قليـل، إذ ليس أمـرا مرغوبـا فيه أن يعطى رجل فرصة الهـرب مـع قيـام مثـل هـذه الشـبهات خوفا من الخطـأ في الحكم . ونحن فعلا لن نظهـر عطفـا لهـؤلاء المجرمين، وقـد نعتـد بـالظروف المخففـة في الجـرائم العاديـة، ولكن لا ترخص ولا تساهل مع الجريمة السياسية "

يا إلهى ...

مرة أخرى من أعمق أعماق الألم ... يا إلهى ...

هل قرأ الودعاء الطيبون من ضباط مباحث أمن الدولة هـذا ؟ ..

هل قرأه وزير الداخلية المـؤمن وعلامـة صـلاة كبـيرة تتصـدر جبهته لتشهد له أو عليه يوم القيامة ؟ ..

هل قرأته أنت يا سيادة الرئيس ؟ ..

لمـاذا إذن يـا سـادتي - فكلكم سـادتي – تكـون أعظم آمـال المعتقلين السياسيين جموحا أن تساووهم في التعامل بالسـجناء الجنائيين، باللصوص والقتلة والمجرمين وهاتكي الأعراض ؟

ومن أوحى بفعل هذا ولماذا أطعتموه؟؟

ها هو مكتوب أمامكم فاقرؤوه ......

واقرؤوا أيضا :

" ولكن ننزع عن المجرم السياسي تاج شجاعته سنضـعه في مراتب المجـرمين الآخـرين بحيث يسـتوي مـع اللصـوص والقتلـة والأنـواع الأخـرى من الأشـرار المنبـوذين المكـروهين. وعندئـذ سينظر الرأي العام عقليا إلى الجرائم السياسية في الضـوء ذاتـه الـذي ينظـر فيـه إلى الجـرائم العاديـة وسيصـمها وصـمة العـار والخزى التي يصم بها الجرائم العادية بلا تفريق "

" إن تمردهم ليس أكثر من نباح كلب على فيل، في الحكومة المنظمة تنظيما حسنا من وجهة النظر الاجتماعية لا من وجهة نظر بوليسها، ينبح الكلب على الفيل من غير أن يحقق قدرته، وليس على الفيل إلا أن يظهر قدرته بمثل واحد متقن حتى تكف الكلاب عن النباح، وتشرع في البصبصة بأذنابها عندما ترى الفيل "..

أهذا تفسير ما فعلوه مع صدام حسين، وكلنا بالنسبة لهم صدام حسين إلا من يبصبص لهم بذنبه ؟

" سيعظم سلطاتنا فيصير استبدادا يبلغ من القوة أن يستطيع في أي زمان وأي مكان سحق الساخطين علينا "

أرأيت يا سيدي ؟ من كان يظن أن يدين لهم الشرق والغرب كما يدين لهم الآن؟

منذ عشرة أعوام فقط من هو المجنون الذي جرؤ على تخيل أن تكون لهم كل هذه السلطة فيما كان الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية ؟ ..

" إن أي حكومة منفردة لم تكن لها سندا من جيرانها حين تدعوها إلى مساندتها ضدنا، لأن كل واحدة منها ستظن أن أي عمل ضدنا هو نكبة على كيانها الذاتي "..

حقا حقا ..

" إن المشكلة الرئيسية لحكومتنا هي كيف نضعف عقول شعبهم بالانتقاد، وكيف نفقدها قوة الإدراك التي تخلق نزعة المعارضة، وكيف تسحر عقول العامة بالكلام الأجوف "..

هل ما زالت هذه مشكلة أم حللتموها ..؟

" إننا سنعرف كل شئ دون مساعدة البوليس الرسمي الذي يبلغ إفسادنا إياه عليهم أنه يحجبهم عن رؤية الحقائق " ..

اللهم رحمتك ... عفوك ...

" إنني أستطيع في ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع المتسلطون على الحكم المقررون للعقوبات، وأننا نقضي بإعدام من نشاء ونعفو عمن نشاء، ونحن أولو الأمر الأعلى في جميع الجيوش "..

" أستطيع الآن أن أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا، ولم تبق إلا مسافة قصيرة كي تتم الأفعى الرمزية – شعار شعبنا – دورتها "

... يا إلهي ...

... يا إلهى ...

كل هذا يريدونه بي وبحكامي ؟ ..

ألا خسئوا ...

سيدي الرئيس ...

بل سادتي الرؤساء والملوك . يا جلالة يا فخامة يا معالي يا سمو يا خليفة يا مالك يا قادر :

أدفع عمري لتقرءوا هذه البروتوكولات وتعتبروا بها وتحتاطوا لما يراد بنا .

إنها ليست بيانا من أحزاب المعارضة كي تسفهوه وتحجموه وتنشروه في صحفكم مشوها ثم تردوا على ما شوهتم لا على البيان نفسه.

إنه مستقبل أمم ودين وحضارة أنتم القيمون عليه، هذا قضاؤنا فيكم فاستمعوا لنا.

إن الصهيونية ليست دينا وإنما فكر، وبعض المتعصبين من أتباع الدين المسيحي يعتنقون هذا الفكر بإقرارهم بأنفسهم، وما جونسون وتشرشل إلا مثلا، بيد أن الكارثة ليست في ذلك بل في المسلمين الصهاينة، فأستحلفكم بمن سيحاسبكم يا سادتي يوم لا أمن مركزي يحميكم ولا حرس وطني يدفع عنكم ولا مخابرات أمريكية تنبئكم بدبيب النمل في بلادكم، ولا رؤساء تحرير صحف على استعداد لأن يهاجموا في المساء بكل شراسة ما أيدوه في الصباح بكل حماسة، أستحلفكم يا سادتي أن تفتشوا عن الصهاينة المسلمين داخلنا، لا تتركوا مكانا، حتى داخل أنفسكم لا تتركوه فقد يكونوا قد تسربوا إلى دمائكم تسرب الشيطان، فتشوا في بعضكم البعض فتشوا في رؤساء وزرائكم وكبار قوادكم وأمناء أحزابكم وفى مستشاريكم وفقهائكم وكتابكم ورجال مخابراتكم وأجهزة أمنكم، وحتى شيوخكم لا تتركوهم، فالله ما كان يرضى لخير أممه كل هذا الهوان وكل تلك المذلة ما لم يكن الكل مشكوكا فيه . فتشوا عنهم لكن احذوا أن يكون القائمون بالتفتيش هم أنفسهم الصهاينة فيكم، فأولئك سيضللونكم، سوف يؤلبونكم على أفضل من فيكم ومن فينا، حتى نأكل بعضنا بعضا ويستريحوا هم منا، سوف يزينون لكم الخيانة باسم التحضر، والانحلال باسم الرقى، وهجران الدين باسم عدم التعصب، والعبودية باسم الحرية،

وسـوف يجعلـونكم تفعلـون أسـوأ مـا يمكن أن يفعـل وأنتم تتشدقون باسم المبادئ والنظام الجديد .

حاولوا ... إن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير

ومهما يحـدث الآن فـإنني أظن أن التـاريخ لن يغفـل الحقـائق الآتية :

* أن التكليف الذي لا نملك فيه اختيارا هو أن نتحد .

أن الغـرب والصـهاينة يفرضـون علينـا الـذل والخضـوع والاستسلام باسم السلام، لكن الله كتب علينـا القتـال وهـو كـره لنا، وإن العالم الإسلامي يمكنه لو أتحد ألا يقهر إسرائيل فحسـب بل أن يقهر الحضارة الغربية كلها .

* وإنه بعـد انهيـار الكتلـة الشـيوعية فإنـه قـد آن للإسـلام أن يسترد بضاعة سرقت منه في غفلة من أبنائه، فإن عشاق العـدل الاجتماعي مكانهم الإسلام وليس أي نظام أرضى آخر، إن مئـات الملايين من الثوار في جميع أنحاء العالم والذين تصدعت أفئدتهم إزاء انهيار فردوسهم الأرضي سيتجهون إلى مكانهم الحقيقي بين المسلمين حيث لا يتصدع فؤاد ولا ينهار فردوس.

* إن العدل الإلهي حق والقصاص حق، وإنه كما يحيق بالأفراد يحيق بالأمم، ولعل ما يحدث للعراق ولصدام حسين الآن قصـاص لما حدث مع إيران، وأظن قصاصـا آخـر سـيأتي لمـا يحـدث الآن للعراق وليبيا . قصاص أدعو الله أن يقتصر على الحكام لا الأمم .

* أظن أنه من حق العالم كله – لا العـالم الإسـلامي فقـط أن يتساءل عما إذا كان بوش وميجور أفضل حقا وأقـل ووطـأة على البشرية من هتلر وموسولينى، وهل كانت حضارة التتار والمغـول والبرابرة أكثر وحشية من حضارة الغرب؟؟ .

• إن موقـف الجغرافيـا في العـالم الإسـلامي يجب أن يعـاد تقييمه، أن يعاد النظر في دور بلاده في حماية الأمن الإسلامي أو تهديـده . إن الأمـر لم يعـد يقتصـر على وجـوب البحث عن مـدى شرعية نظم الحكم في العالم العربي والإسلامي، بـل أصـبح من اللازم أن يتعـدى ذلـك، ليس لمجـرد بحث شـرعية وجـود بعض الدول التي شكلت على مدى تاريخها تهديدا مستمرا لوجود الأمة ككل، وعونا لأعدائها، وخيانة لمستقبلها. يتعدى الأمر كل ذلك إلى ضرورة البحث في حق الحكام في الاسـتمرار في تفـتيت الأمـة، معرضين كل مسـتقبلها للضـياع، مسـتأجرين بـثروة الأمـة أعـداء الأمة لقتل الأمة.

سيدي الرئيس :

دعنا من موقفك من صدام، دعنا منه الآن فقـط، فالتـاريخ لن يدعك، وأظنه مقارنا موقفك بموقـف الملـك العاضـد والخـديوي توفيق، لكن دعنا من هذا كله الآن لنتساءل، لنضع افتراضا يفيـدنا فيما هو قادم، لنفترض أن صدام لم يغز الكويت، لنفترض أنـه لم يوجد على الإطلاق، أتحسب حقا أن أمريكـا وبريطانيـا وإسـرائيل كانوا تاركينا ؟ لنفـترض أيضـا أن السـعودية والكـويت والخليج لم يدفعوا لهم تكاليف حـربهم علينـا، أكـان يمكنهم تحقيـق كـل هـذا النصر علينا، لنفترض أن نصف حكامنا على الأقل لم يكونوا عونـا لهم علينا، أكان يمكنهم تحقيق كل هذا النصر علينـا، لنفـترض أن نصف حكامنا على الأقل لم يكونوا عونا لهم علينا، أكان يمكن أن يجرعونا كل هذه المذلة وكل هذا الهوان ؟

* سيدي الرئيس:

ألم تفكـــر أبـــدا أن تعـــاتب أشـــقاءك في المملكـــة العربيـــة السعودية، من يحملون شرف خدمـة الحـرمين، أن تعـاتبهم لأنهم في تاريخ المملكة كلها لم يرفعوا أبدا سيفا إلا على مسلم ؟

أبدا ..

على الإطلاق .

أفـأدعو لهم بـدعاء سـيدي وحبيـبي وشـفيعي يـوم القيامـة : اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون ؟ ..

أم تراهم يعلمون ..

* سيدي الرئيس :

لمـاذا لم تقـل لأخوتـك هنـاك إنـه لا يكفى أن يسـمى أحـدهم نفسه خادم الحرمين ويقعد .

ذلك أن خدمة الحرمين ليست سقاية حجيج ولا مـد طـرق ولا تكييفا مركزيا ولا حتى غسل الكعبة، خدمة الحـرمين واجب هائـل تجاه الإسلام والمسلمين . لن أتحدث الآن عن اسـتدعاء مـا كـان يجب أن يكون، وإنما أتحدث عن مسلمين في بلد اسـمه العـراق تسفح كرامتهم ويموتون جوعـا وتـدمر كـل إمكانيـاتهم الحضـارية والعسكرية، عن تدمير مجمع الأثير النـووي، وهـو مجـرد مشـروع تجارب، وعلى مرمى جمرات منا مائتا قنبلـة نوويـة في إسـرائيل لكنهم يا سيدي – مثلك – لم يحركـوا سـاكنا، لكنهم ليسـوا مثلـك فهم خدام الحرمين وعليهم واجبات فوق واجباتك.

يا إلهى ... لقد وقفتم ضد إيران مظلومة ومعها ظالمة .

عنـدما تصـدت طـائرات العـراق لغـارة إيرانيـة احتجت الأمم المتحدة على دفاع العراق عن نفسها.

أي ذل وأي مهانة ...

لماذا لم تقل - يا سيادة الـرئيس - للآخـرين أن تحمـل الـذل والمهانة تجنبا لمزيد من الذل والإهانة لا يسفر إلا عن المزيد من الذل والإهانة .

لماذا لم تقل لهم إن الحرص الذي يذل أعناق الرجال لا يبقى لهم أبدا ما قد حرصوا عليه .

ولماذا لم تقل لإخوتـك الهلـوعين المفـزوعين على عروشـهم وإماراتهم إنهم في ذات اللحظة التي استدعوا فيهـا أعـداء أمتهم لتوطيد أركـان ملكهم قـد نزعـوا أوتـاده وقطعـوا حبالـه ليفقـدوا شرعية حكمهم أمـام أمتهم، وأمـام التـاريخ، وإنهم إن لم يـدفعوا الثمن بأنفسهم فسيدفعه أبناؤهم فلذات أكبـادهم وإن هـذا الثمن هو ذات الثمن الذي دفعه شاوسيسكو ويدفعه هونيكر .

لماذا لم تقل لهم وللعالم يا سـيدي الـرئيس إن مجلس الأمن هو الحكومة العالمية التي تنبأت بها بروتوكولات حكمـاء صـهيون، حكومــة عالميــة يحكم بهــا اليهــود العــالم، إن بــوش وريجــان وجونسون، وتاتشر ليسوا إلا وكلاء لهذه الحكومـة الخفيـة، كـذلك جورباتشـوف وشـيفرنادزة وكيسـنجر وبيكـر، وإنـه من واجبنـا أن نتصدى لهذه الحكومة العالمية الخفيـة لا أن نستسـلم لهـا، فلقـد استخلفنا على الأرض من أجل هذا وبعثنا من أجله ؟

* سيدي الرئيس :

سيدي :

لأنني أحب الله والوطن وأحبك أتحدث إليك أنت.

لا أقولها لك نفاقا، فأنا أعترف بيـني وبين نفسـي بأنـك واحـد من أفضل حكام العرب والمسلمين[3]، أنت، يا من حارب وانتصر، أعرف - وأرجو ألا أكون مخطئا - أن قلبك كان ينزف وأنت تجــرد حملتك العسكرية إلى الخليج، وانك حـاولت أن تتجنب ذلـك، لكن محاولتك كانت متأخرة عشر سنوات على الأقل ..

وأعرف أن قلبك يتمزق وأنت تنفذ قرارات الحكومة العالميــة – مجلس الأمن – على ليبيا لكن ما يـدفعك إلى ذلـك ليس قـدرا نحني له جباهنا، بل وإنني أظن فوق ذلك كله أنـك لم تفعـل هـذا

كله إلا لظنك أنك تجنب به أمتك الثبور والويل، وهذا بالضبط ما أراك مخطئا فيه وما أظنهم خدعوك به، فالويل والثبور في مطاوعتهم لا في معارضتهم، لأنهم – أولئك الذين يدعون الحضارة – ليسوا إلا برابرة همجا، وهم أبناء أكثر الحضارات إجراما في التاريخ، وهم لم يوفوا بعهد، ولم يدعوا منكرا إلا ارتكبوه، ولقد أخافوك وما كانوا صادقين، ثم وعدوك وكانوا كاذبين.

سيدي الرئيس

لم ترضخ إسرائيل لقرارات حكومتها العالمية – مجلس الأمن – فلماذا نرضخ نحن ؟ لماذا نقبل الدينية في ديننا ؟ عجزت إسرائيل عن فرض اتفاقية على لبنان فلماذا نجحت معنا ؟ وهرعت أمريكا هاربة من بيروت بعد عملية فدائية واحدة فلماذا لم نتعلم ؟

وقد وعدوا العالم العربي بحل مشاكله بعد أن يساعدهم على اغتصاب العراق، لكن هاهم أولاء يستديرون لحل العالم العربي لا لحل مشاكله .

وغازلوا سوريا كي ترفع نقاب العروبة الذي ارتدته ثلاثين عاما فلما رفعته تربصوا بها وسيضربونها بعد ليبيا .

الحقائق واضحة كالشمس، وقد قلناها لكم منذ أعوام وأعوام، الدورات على الجميع وسوف يخدعكم بوش كما خدعكم دائما .

والدورات على مصر أيضا .

هل تصدقونهم يا سيدي أن نكسة سنة 67 كان بسبب خليج العقبة..

أو أن ضرب العراق سنة 91 كان بسبب الكويت

أو أن ضرب ليبيا سنة 92 هو بسبب لوكيربى

أو أن ضرب سوريا سنة 93 هو بسبب ...

أو ...... أو ... أو ....؟؟!!

أما آن لكم يا سيدي أن تدركوا أنه مخطط عمره ألف عام يتحينون له الفرص فإن انعدمت خلقوها ؟

* سيدي الرئيس:

أقسم لك بمن سيكشف عنك غطاءك إنني أرجو لك الخير وأرجوه منك، على يديك لأنك بالرغم من كل شئ منا لا منهم .

وأناشدك الله أن تجيبني أو حتى تسر لنفسك بالإجابة عن سؤالي لك:

لو كنت أنت مكان بوش : هل كنت ترتاح لقيادة حسنى مبارك لمصر، قلب العروبة ودرع الإسلام وجذوة الضمير الحي الذي قد يغطيه الرماد لكنه لا يخبو . هل كنت تأمن له ؟

أنا أجيبك يا سيدي :

لو أنني كنت بوش لكنت سعيدا جدا بجل زعماء وحكام وملوك وأمراء وسلاطين العرب والمسلمين، ولتوجست دائما من مصر، فهي التي كانت تنهض دائما في النهاية لتحمى العرب والمسلمين، فعلت ذلك مع التتار والمغول ومع الصليبين أجداد بوش وشامير، فالدولة نفسها غير مأمونة، ورئيسها أيضا غير مأمون، لأنه ليس خائنا كالآخرين لوطنه، وقد أستطيع بين الوعد والوعيد أن أحجم دوره، وقد أستطيع خداعه بعض الوقت، لكنه في النهاية لا بد سيتمرد علينا، وساعتها سيقود المنطقة كلها ضدنا، لذلك فإنه قد يصلح لمرحلة نشغله فيها عن نفسه بالديون والهموم ثم ننهى دوره.

* سيدي الرئيس :

هل تعلم من أختاره لمصر رئيسا لو كنت بوش

إبراهيم سعدة ......

أنيس منصور ......

يوسف والى ......

سمير رجب ......

عبد الهادي قنديل ......

زكى بدر ....

وعشرات ....

ومئات وألوف ....

لكن اسم حسنى مبارك ليس فيهم

عام سعيد يا سيدي ...

وأرجو أن تسـمح لي بمواصـلة الحـديث – جزئـه الأخـير – في العدد القادم .

وكل عام وأنت طيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور/ محمد عباس

تابعت مع الشعب المصري كلـه باهتمـام رسـالتك إلى السـيد رئيس الجمهورية وأحييك على ما أنت فيه من إيمان صادق باللـه وعلى أنك لا تحنى رأسك إلا لله .. فهـو ممسـكها ومرسـلها وهـو الذي يقبضـها وإذا شـاء أرسـلها .. وتمـنيت من كـل قلـبي لـو أن جميع علماء الدين الإسلامي في بلادنا – خاصة علمـاء السـلطة – لو كانوا مثلك ولكن لا نقول إلا حسبنا اللـه ونعم الوكيـل حفظـك الله وأكرمك الله ..

ولكنني أسمح لي يا عزيزي أن أوضـح لـك خطـأ بسـيطا جـاء في الرسالة الرابعة. وهو قولـك بأننـا سـوف ننـادى يـوم القيامـة بأسماء أمهاتنا وهذا غـير صـحيح لأننـا سـوف ننـادى يـوم القيامـة بأسـماء آبائنـا مصـداقا لقـول الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم أحسنوا أسمائكم وأسماء أبنائكم لأننا سـوف ننـادى يـوم القيامـة بأسـماء أبنائنـا فقـال سـيدنا طلحـة : يـا رسـول اللـه هنـاك يـوم القيامـة مئـات طلحـة فمن أين أعـرف أنى أنـا المقصـود ؟ قـال صلى الله عليه وسلم يا طلحة حينما ينادى على طلحـة لن يقـوم إلا أنت .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذا أستاذي العزيز ما جاء في الحديث الصحيح أردت توضيحه إلى سيادتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء

وتحياتي لك ولأسرة "الشعب"

أخوك

عبـــد المنعم الجابرى

(مـــــواطن مصري)

بسم الله الرحمن الرحيم

من أنت يا محمد عباس؟

من أنت يا رجل أستحلفك بالله..

ومن أي كواكب وقعت علينا في هذه الآونة الرهيبة المريبــة، وما هذه الإمكانات الـتي خصـك اللـه بهـا دون مئـات الملايين من المسـلمين، وكيـف جمعتهـا ؟ ثم كيـف ركبتهـا ؟ والأغـرب كيـف عرضتها ؟ هـل أم أنت مـارد من الإنس أم من الجـان؟ هـل أنت ملاك ؟ كيـف أوتيت الشـجاعة .. كـل هـذه الجـرأة .. كـل هـذا الإقــدام ؟ كيــف اجتمعت فيــك شــهامة مئــات الملايين من المسلمين وبلاغتهم وفصاحتهم ونبلهم وفضـلهم وحسـهم، صـاروا جميعا خرسا وتحدثت وحيدا بألسنتهم.

كنت كثيرا ما أتساءل : أليس فيكم يا أمة الإسلام رجل رشيد ؟ والرجل الرشيد في التاريخ الإسـلامي العظيم هـو ذلـك الرجـل يحذر أمته من ارتياد مواقع التهلكة أو السير في دروبها والانصياع لمدبريها فهل أنت يا بن عباس هذا الرجل ؟

وهل وصل بنا في مصرنا كل هذا الهوان، وكل هـذا الضـياع ؟ يتلاعب بنا أبناء صهيون حفنة من الملايين من البشـر المطـاردين في كـل بقـاع الـدنيا المشـردين يسوسـون العـالم ونحن تحت أقدامهم هل منا من قبل هذا الحال ورضى به ؟

كثـيرا مـا يتسـاءل المـرء : كيـف تصـاغ القـوانين في مجلس الشعب ولماذا لا تكـون في صـالح الأمـة حـتى ؟ جـاء ابن عبـاس وفسر ما في بروتوكولات حكماء صـهيون ويتسـاءل المـرء كيـف لماذا يتقدم أصحاب السـوء ويتـأخر غـيرهم في ارتيـاد المناصـب العليا حتى جاء ابن عباس وفسر.

لماذا يتقدم الراشون والمرتشون والرائشـون ويتـأخر غـيرهم حتى جاء ابن عباس وفسر..

لماذا يتقدم الفاشلون ويتأخر الناجحون .

لماذا خـابت الزراعـة، وخـاب النحـل، وهلكت الصـحة، ودخـل الإيدز، وضاعت القيم واندثرت المثل العليا حـتى جـاء ابن عبـاس وفسر.

أين فكرنا أين عقولنا ؟ مللت من وضع علامة الاستفهام فهي محيرة بل فيها يأس وإحباط فالعلامات كثـيرة تحتـاج الملايين من ابن عباس ليجيب عليها ولكنه تطوع وصنع توكيلا عامـا من مئـات الملايين من البشـر المنتسـبين إلى الإسـلام ليتحـدث باسـمهم، ولعله يكون كالرجـل الـذي حكى عنـه الهـادي البشـير (ص) ذلـك الرجل الذي حذر أمته من هجوم غادر فمنهم من استمع له ونجا، ومنهم من كذبه وهلك .

فيا أمة الإسلام اقـرءوا إن شـئتم النجـاة بروتوكـولات حكمـاء صهيون واحذروها واقرءوا إن شئتم النجاة برتوكولات ابن عباس وعوها.

اللهم اجعل ساستنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وولى علينا خيارنا لا خيار أبناء صهيون وأذنابهم فهؤلاء الأذناب أشد علينا من أعدائنا قاتلهم الله جميعا بأيدينا ..

دكتور

ســـــــعد

الحلواتى

مـــــدرس التـــــاريخ

الحديث بجامعة الأزهر

من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك

الحلقة الأخيرة

عام سعيد يا سيدي ...

كل عام سعيد يا سيدي ...

اقرأ يا سيدي الجزء الأخير من رسالتي إليك..

اقرأها ولا تكتف، ولا تصدق أيضا، رد أبى جهل عليها ولا تقرير أبى لهب عنها ولا استنكار ابن أبىّ لها .

لا تصدقهم ..

فهم يا سيدي سيقولون في قولي لك ما قد قاله أبو جهل قبل ذلك للمسلمين السابقين ...سيقولون مثلما قالوا في محاولات إبراهيم شكري لرأب الصدع بيننا وبين ليبيا وسوريا والعراق، وهو لا يحزننا لكنه يخفينا على مستقبل الدين ومصير الأمة . لا يحزننا ولا ينقص من كرامتنا حتى لو ألقوا الروث على رؤوسنا كما فعل أجداد لهم مع سيد الخلق وأكرمهم عند الله، صلى الله عليه وسلم ... وفى المسجد الحرام .. عند الكعبة ...

أجل لن يحزننا ما يقولون فأي قائل أكمل من سيد المرسلين وقد قالوا أنه مجنون ؟ وأي كلام أجل من كلام رب العالمين وقد قالوا أساطير الأولين ؟ ..

اسمعنا نحن، فإن المواطن العادى ذا العقل السليم يستطيع التفكير خيرا من أعظم كتابكم الذين تصدر عنهم أفخم الكلمات بأضخم الأبناط، لكنهم إذ يفعلون تحولّ عيونهم فعين على سيف المليك وعين على ذهبه.

لقد أكلوا خبزكم فكان عليهم أن يحاربوا بسيفكم، كتاب سوء وعلماء ومسئولي سوء يسخرون مواهبهم لمسخ الدين ومحو

الحـق، ولتحويـل دين الحريـة إلى سـبيل للظلمـة والمسـتبدين لإحكام قبضة ظلمهم واسـتعبادهم لأمـة محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم.

اسـمعنا فنحن عمـاد الـدين وجمـاع المسـلمين والعـدة للأعداء، فليكن صغوك وميلك معنا، أما خاصتك يا سيدي، فواللـه ما من أثقل عليك مؤنة في الرخاء وأقل معونة عنـد البلاء وأكـره للإنصاف واسأل بالإلحاف وأسرع تنكرا عند ملمات الدهر منهم .

اسـمعنا فـإن الوضـع الآن خطـير ورهيب، ولقـد سـقط من التاريخ سبعون عاما فعادت حضارة الغـرب قويـة ضـارية بعـد أن استأصلت أورامها النازية والفاشستية والشيوعية، عـادت متحـدة لتواجه بقايا مهلهلة لإمبراطورية الإسلام التي طالما أرعبتهم .

ولقد كـانوا مشـغولين عنـا فوضـعوا أمامنـا إسـرائيل كـالرداء الأحمـر أمـام ثـيران تنـدفع تجاهـه فتجيئـا السـهام والصـواريخ والقنابل من كل خلف .. ليست القضية قضـية حـدود 73 و 67 و لا حتى 48، ليست القضية وجود إسرائيل كلها، جديدة وقديمـة، وهى قضـية لم يكتب لنـا النصـر فيهـا ولن يكتب حـتى نـواجههم متحدين كما يواجهوننا متحدين .. فإسرائيل ليسـت سـوى الـرداء الذي يشغل الثور عن عدوه الحقيقي.

اسمعني يا سيادة الرئيس فالغضب في قلب الأمة شواظ نـار محرقة لا يخفى ضريمها إلا بحور من اليأس لا من رحمة الله .

اسمعني، فبرغم يقيني أن ليس لهـا من دون اللـه كاشـفة إلا أنني أوقن أيضا أن الله لن يكشف الضر عنا حتى نغير ما بأنفسنا .

اسمعني فقد اجتـويت المقـام، لكن ليس لي في الـدنيا وطن آخر أعيش وأموت فيـه ويعيش فىّ، وليس لي من رئيس سـواك أناشده المـرة تلـو المـرة، رغم أنهم يجهـدون دائمـا أن يبعـدوني عنك ويبعدوك عنى، ولطالما طمعت فيك أن تكون راعيـا للـدين حين تمكنت منه الذئاب وأسلمته رعاته .

يخيل إلى أحيانا أنـك تغـيرت كثـيرا عنـك في بـدايات حكمـك، وانــك نسـيت، لكنــني في ليلــة القــدر هــذا العــام وجـدتك في التليفزيون فإذ بك تنطق آيات وددت لو تلوتهـا عليـك، أن أنبهـك إليها فقد تكون نسيتها، وأردت أن أذكـرك فالـذكرى تنفـع، لكنـك تعرفهـا إذن، تعلمهـا، ألا تعلم أيضـا أن أشـد النـاس عـذابا يـوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه .

وانتهت يومها خطبتك لأفاجأ بنشـرة الأخبـار وفيهـا تطلب أنت من مجلس الأمن أن يؤجل قراره بإدانة ليبيا – 24 ساعة – حـتى لا يتوافق صدوره مع ليلة القدر.

لماذا تنصحهم بعدم استفزاز الأمة في ليلة مباركة، أخوفا من ثورة الأمة عليهم، أتحذر الأمة أم تخدرها، أحـرام في ليلـة القـدر حلال في غيرها ؟ ..

ماذا يمكنني أن أقول لك، ماذا ؟..

كيف أفهمك وكيف تفهمني ؟..

هل يدهش داهش بعد ذلك إن جاء دفاع مجرم العتبــة ليطلب تخفيف الحكم أو حتى البراءة لأن الجريمة وقعت بعـد الإفطـار لا أثناء الصيام ؟!..

إن رد الفعل العفوي للأمـة بالنكتـة أو الشـائعة لا يقـل أهميـة عن الفن العظيم، وهو مثل الفن تيار وجـداني مـواز للواقـع وقـد يكون أكثر صدقا، ذلك أنه يتخفف من أعبائه وليست عليه تبعاتـه، ومن هنا تتبدى أهمية دراسة العادات والتقاليـد والفلوكلـور، فمن خلالها يتم التأثير في المجتمع وفهمه .

لا تأخذوا صمت المجتمع إذن بمعنى الرضا، ولا سلبيته بغرض العزوف، فهو مجتمع ما زال البسطاء فيه يطلقـون على الملاريـا اسـم " المبروكـة " وعلى العفـريت اسـم " بسـم اللـه الـرحمن الرحيم" لكنهم أيضا ذات البسطاء الذين تجاهلوا الاسـم الحقيقي لصفقة الأتوبيسـات – وورد – ليطلقـوا عليهـا في عفويـة عبقريـة أسم : كـارتر معـربين للـدنيا أنهم يعرفـون منبـع الفسـاد ومكمن الخطر.

ومن هذا المنطلق نفسه نستطيع أن نتفهم اشـتعال الوجـدان الشعبي بحـادث العتبـة، والـذي كـان كلحن جنـائزي صـادف قلب ثاكل، كقصيدة شعر تعبر عن هموم لا يستطيع المهموم نفسه أن يعبر عنها، وربما لا يسـتطيع أيضـا أن يفهم مـا في أعمـاق نفسـه حـتى تضـئ القصـيدة لـه جوانبهـا المظلمـة، جوانبهـا المرعبـة الموحشة التي لم يكن يستطيع مواجهتها ولا فهمها دون القصيدة التي قرأها صـدفة، ولقـد جـاء حـادث العتبـة ليضـرب في لحظـة عبقرية على الـوتر الصـحيح، ليعـزف اللحن الـذي لم نتخيـل أبـدا سماعه وليقول الكلمة التي لم نجرؤ على نطقها، وليجسد الوضع النفسي الذي وجدنا أنفسنا فيه، فكان الحادث مفتاح الحـل للغـز حرنا في فهمه..

لقد كان العراق بالأمس – وليبيا اليوم وسوريا غدا ومصر بعـد غد – هي الفتاة. وكان المعوق الذي ساعد – دون أي مــبرر – هم من أيدوا الغرب بقلوبهم وأيديهم وكان المغتصب الغرب .

وكان الأربعمائة متفرج هم الأمة التي وقفت سـاكتة وعرضـها يستباح وبكارتها تفض.

أبعد كل هذا التاريخ من بطش الجهلاء ونفاق العلماء تطلبــون الإيجابية من الناس؟..

ألا يسحق من يفكر مجرد تفكير أن يغير منكرا بيده ..؟

ألم يفت علماؤكم بأن تغيير المنكر مقصور على ولى الأمــر، ما لهم يدينون الأمة إذن وقـد دانت لهم بالطاعـة ؟ أليسـت هـذه السلبية غرسكم، وذلك الحنظل زرعكم، وذلك القتاد ثماركم ؟

ها هم أولاء رعاياك يا مولاي ساكتون، أنصـاف رجـال وأشـباه بشر .

سكتوا كما سكتوا على العراق وكما يسكتون عن ليبيا اليوم

وأنا يا سيدي والله لست من مريدي القذافى ولا من تابعيه.

لم أقرأ الكتاب الأخضـر قـط، ولا أعـرف حـتى الآن شـيئا عن النظرية الثالثة ولم يرشني القذافى بمال، فلا تدع كتبتك يتهموني بـذلك ظلمـا كمـا اتهمت أنت يوسـف إدريس ذات يـوم وأنت لـه ظالم ..

لا تربطـني بـه صـلة إلا الـدين والهويـة والأمـل والألم واللغـة والـتراث والتـاريخ المشـترك والمصـير الواحـد، وهى كمـا تـرى سمات تجمعني بمن أحب ومن أكره، تجمعني حتى بحكام باعونا، لكن ليس ثمة رباط شخصي، وبالرغم من ذلك، أو على الأحـرى لأجله، وفى عشية 15 أبريل – حين فرضـوا على ليبيـا الحصـار – جافاني النوم، ثقلت على الهواجس والهموم، والله والله والله يـا سيدي طلبت الموت، تمنيته على اللـه، اسـتعدت كلماتـك عنـدما أنذرتنا أن الأيام القوادم سـود، تخيلت أنـني إن عشـت إلى قابـل فسوف أصحو ذات ليلـة على ضـابط أمـريكي يطـرق بـاب بيـتي يأخذني كي يحاكمني : أنت متهم بالادعاء أن لـك ربـا غـير بـوش، وأنك تعادى آلهتنا، وأنك تؤمن برسل غير وزراء خارجيتنا ودفاعنــا وأنك مـا زلت تـؤمن بأسـاطير الأولين فـأقول لـه : أنى أعـترف، فيأخذون أهلي رهائن ثم يأتي " بولدوزر" هائل يحمل نجمــة داود يهدم بيتي..

والله يا سيدي أقولها حقيقة لا خيالا أنـني أعتقـد – إن اسـتمر الحال كما هو – أن يكون محافظ مدينتي في غـد قـريب أمريكيـا في غد غير بعيد إسرائيليا.

ليلة 15 إبريل كنت قد أنهيت كتاب محمد حسـنين هيكـل عن حرب الخليج، وكان حزني فاجعا، حزن غريب الأبوين مـا مخضـته بطن، فها هو ذا محمـد حسـنين هيكـل يستشـرف رؤى الإسـلام والمسـلمين كمـا لم يستشـرفها من قبـل، فيصـول في التـاريخ ويجـول ليضـع مـا يحـدث لنـا، للعـراق وليبيـا ومصـر في مكانـه الطبيعي والحقيقي من بانوراما التاريخ الهائلـة، إذ حـاول الغـرب منــذ ألــف عــام في حروبــه الصــليبية أن يحطم قلب العروبــة والإسـلام متمثلا في مصـر والشـام، لكنـه بعـد مـائتي عـام من المحـاولات عجــز عن تحطيم القلب بالمواجهــة فقــرر تحطيمــه بالالتفاف، بقص أجنحة العالم الإسلامي، وتم له ما أراد بالاستيلاء على الأنـدلس غربـا وعلى الهنـد شـرقا، ومن الهنـد سـيطر على شـبه الجزيـرة العربيـة، وليرسـم ضـابط بريطـاني الحـدود بين إماراتهـا وممالكهـا، تلـك الحـدود الـتي شـتتت قوانـا بالفرقـة ثم ضيعتها في عاصفة الصحراء بين الرمال السافيات هبـاء . ليكـون تحطيم العراق وليبيا هو الخطوة الأخـيرة مخططهم القـديم نحـو مصر.

سيدي الرئيس : يذكر هيكل واقعة عن قرارات القمة العربيـة في القاهرة بعيد غزو الكويت، واقعة فاجعة، الفاجع أكـثر أنـني – وقد تلاشت التخوم بين العقل والجنون- على استعداد لتصـديقها، فالقرارات الـتي عرضـت على الجلالات والفخامـات والسـماوات كانت ركيكة الصياغة بدرجة تشي أنها ترجمت إلى اللغـة العربيـة على عجـل، ولم يكن لـدى المـترجم الحصـافة أو الـوقت ليغـير التــاريخ من أول أغســطس إلى الثــاني من أغســطس بالنســبة للعالم العربي وأوربا، لكن فرق سبع سـاعات في التـوقيت بيننـا وبين واشــنطن جعــل فجــر 2 أغســطس عنــدنا هــو مســاء 1 أغسطس عندهم، وكـان 1 أغسـطس هـو التـاريخ الـذي ورد في مشـروع قـرارات الجلالات والفخامـات والسـماوات، كـان الأمـر واضحا وفاضـحا، لقـد أعـدت قـرارات مـؤتمر القمـة العربيـة في واشنطن، ولم يكن لديكم من الوقت حتى مـا تغـيروا فيـه فـارق التاريخ الناتج عن فرق التوقيت.

ولم يكن صباح 15 إبريل بأمثل من ليله، كانت السكين الـتي ذبحتني في العـراق تشـرع لـذبحي في ليبيـا، وكنت أفـرج كـربى

بطرحه على زواري، لكن ما وجدته لم يكن دون القتـاد شـوكا ولا العلقم مرارة .

كان زائري الأول شابا يحمل درجـة الـدكتوراه شـديد التـدين والصفاء وأجـابني حين سـألته عن رأيـه فيمـا يحـدث بأنـه شـديد السعادة لأن الله يسـلط الظـالم على الظـالم، وأردف موضـحا : أليس هذا هو القذافى الذي أنكر الأحاديث وحرف القرآن ؟.

أرأيت يا سيدي ماذا يفعل الإعلام حين يكون غبيا، بذيئا، يشوه وجدان صفوة عقول الأمة من أجل مصالح آنية دنيئة ووضيعة .

أم لعلك نسيت ادعاء الكثـير على صـدام وأسـمائه الحسـنى، وعلى القذافى والخميني وجمال عبد الناصر وأحمد عـرابي وكـل من كفر بإمبراطورية الشر، لا أبرئ أحـدا ولا أبـرئكم لكنـني أدين الكذب أينما كان .

كان زائري الثاني في ذلك اليـوم طبيبـا شـهيرا يمثـل صـفوة الأرستقراطية المصرية النظيفة، وكان رأيه وهو يجادلني أن الأمر لو عرض على الشعب المصري في استفتاء لأيد الشـعب موقـف مبـارك، فنحن نتعـاطف مـع الشـعب الليـبي لكن لا أحـد مسـتعد للمشاركة في مصير محتـوم لن يغـيره مشـاركتنا لـه، وقلت لـه: رأيـك مثلهم ظـاهره الرحمـة وباطنـه العـذاب، فلكي تسـتفتى اسـتفتاء حقيقيـا يجب أن تفتح وسـائل الإعلام كلهـا لكـل الآراء، ليس لمدة ربع ساعة كما فعلوا في سوابق لهم، وإنما لمدة ربـع قرن ، ثم أن افتراضك الثاني خاطئ ومدمر، ذلك أن مصير ليبيا هو مصيرنا جميعا مع فارق التوقيت، وأطرق صديقي وقد تزلـزل يقينه حين تـذكر مـا أنبأتـه بـه حين حـرب الخليج، أنهم لن يحلـوا قضـية فلسـطين، وأنهم سيصـطادون الـدول العربيـة والإسـلامية دولة بعد دولة، و أن دور مصر آت لا مناص، وحينها، إن كـان قـد بقى من الدول العربية شـئ فسـيقفون منـا ذات الموقـف الـذي تقفه أنت من ليبيا .

كان الزائر الثالث من عامة الناس على مشارف السبعين من العمر، وسـألته مـاذا فعلت بـالأمس، وأجـاب الرجـل أغلقت على باب حجرتي وظللت طول الليـل أبكى، كـل مـا عشـت من أجلـه ينهار، وكل ما خشيت منه يتحقق .

ولم أفهم الدلالة الكاملة لذلك يا سيادة الرئيس إلا بعد أسابيع عندما نشر فهمي هويدى مقاله فـذة .. شـديدة الروعـة مشـتعلة بالآلام والمرارة بعنـوان : " تقريـر عـربي عن الفتنـة الأمريكيـة " كانت قمة جعلتني أشعر أنه يكتب بـل يـرقص مـذبوحا من الألم،

كان السر الذي لم يكشفه فهمي هويدى لقارئه أنه بدل الأدوار فتخيل يا سيادة الرئيس أن حاكما عربيا هو من يحكم الولايات المتحدة الأمريكية، وأن كتبتكم هناك هم كتبتكم هنا ووزراءكم هناك هم وزراؤكم هنا، وبأسلوبه الرصين المتميز أخذ يسرد بأسلوب شديد الجدية والسخرية والمرارة تفسير ما حدث في لوس أنجلوس على أنه مؤامرة من الأصوليين الإسلاميين لهدم أمريكا .

ما حدث بعد المقالة يا سيادة الرئيس كان مذهلا، كان فضيحة وكارثة للعقل المصري، إذ لم يفهم المقالة سوى أقل القليل، لم يدرك أحد مرارة السخرية فيها، وهتف أحدهم في يأس : ولماذا لا يسقط فهمي هويدى هو الآخر مع من سقطوا، هذا جيل أضناه الكفاح دون جدوى حتى سقط واحد من أعظم رواده : خالد محمد خالد – وهو يصرخ : "أدركنا بها يا بوش" فجعل من بوش صلاته وإلهه : فلماذا نتوقع من الناس إذن أن يفهموا، وقد بلغ بهم اليأس مبلغ أن أحدا عندهم لم يعد محصنا ضد السقوط.

إبان "غاشية" الخليج تضاربت الخواطر والحلول في رأسي، لكنني كنت أردع نفسي بأنها حلول مجنونة، ولم تكن مجنونة لأنني مجنون وإنما لأن حكامنا موجودون.

فكرت أيامها يا سيدي أن تتحد العراق والشام وشبه الجزيرة العربية و مصر لتعود كما كانت في عهد الفاروق عمر، ألا تستمر كما هي في عهد الخليفة بوش .

وأفكر الآن أيضا أن نحل مشكلة ليبيا بطرح ما قامت أكبر ثوراتكم في الظاهر بسببه " ثورة 15 مايو في بداية السبعينات" ألا وهو مشروع الوحدة بين ليبيا ومصر والسودان . ألم تعينوا له رئيسا، أكانت وحدة أم خداعا لأمة و إلهاء لها لا يقصد صالحها وإنما هي مناورات دنيئة للعبة الكراسي لكنها لا تجوز للإنقاذ؟

لكنك يا سيادة الرئيس ترد بأن الوحدة تحتاج لظروف لم تكتمل وقد يكون رأيك صحيحا في وضع أخر لا نملك الآن رفاهيته فعندما يكون الفناء محدقا بنا جميعا يحل لنا أكل الميتة أفلا تحل الوحدة ..

إن الغرب يطالب ليبيا بتغيير نظامها وإجراء انتخابات حرة فهل يسكت إذا ما طلبنا نحن بإجرائها في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي، في السعودية مثلا .. أو حتى مصر ..

يا سيدي :

ناشدتك الله أن تنظـر في أحـوال أمتـك نظرتـك عنـدما كنت واحدا منها قبل أن يوليك الله عليها . عنـدما كنت تـرى – مثلنـا – أن كوارثنا الاقتصـادية تتلخص بإعجـاز في قولـك معنـا لهم : لقـد أخذتم المال في غير حله فوضعتموه في غير حقه، وجعلتم المال دولة بين الأغنياء منكم ، حين كان رأيك لبد رأينا ورأينا رأيـك في أن سبب كل التوترات التي يحفل بهـا مجتمعنـا ليس إلا الطغيـان والاستبداد، فلا بد للحاكم المستبد من فئة مستغلة تعينـه وتؤيـده وتـأمر بـالمنكر وتنهى عن المعـروف لتتسـلط معـه وتسـتأثر بمـا تشـاء من جـاه وثـراء، وهى في سـبيل ذلـك تهـدم الـدين والقدوة والمثل لتترك الأمة خـائرة ضـعيفة مهزومـة من الـداخل قبل أن تهزم من الخارج، حين كنا – كنت – نرى أن فـرط الغـنى وفرط الفقر يؤديان إلى تآكل صلابة الدولة.

أتذكر أحيانا مسرحية جون أوسبرز " أنظر وراءك في غضب " حين يقول أحد أبطاله أن خلف كواليس السلطة الرسمية يوجد خمسة أو سـتة أفـراد لا يعـرفهم أحـد لكنهم هم مصـدر السـلطة الحقيقية . لكن السـؤال الـذي يطعن القلب هـو لمصـلحة من ؟؟ من يملك السلطة ؟؟ ..

وتاريخنا يا سيدي يحوى كثيرا من السلاطين عجـزوا عن إدارة أهون أمورهم، حتى شـئون قصـورهم، حيث تولاهـا بـالرغم منهم الطامعون الغاضبون المتآمرون على الدين والوطن والأمة، حيث جـرد الخليفـة أو الملـك أو الـرئيس أو الأمـير أو السـلطان أو الإمبراطور من كل سلطانه وكل سلطاته مقابـل وعـد بـأن يبقى التـاج على رأسـه وإن كـان لا يحكم، لكن هـذا الوعـد قـد تمخض دائما عن سقوط رأس الحاكم واقعا لا مجازا كي يبقى التـاج بعـد ذلك في يد أعداء وطنه وأمته ودينه . لي الحق يـا سـيدي إذن أن أخاف، ولي الحـق أن ألقى السـؤال تلـو السـؤال عن هـذا الـذي يحـدث ؟ أيحـدث بـوعى وإدراك ؟؟ أم أن مـا مارسـه الأعـداء والسلطة من تزييـف وعى الأمـة قـد ارتـد على الحكـام فلم يعـد أمامهم بيانات صادقة تمكنهم من تكوين رأى صائب .

سيدي : ليتك قرأت ما ورد في كتاب أثرياء الشرق للصـحفي الألماني الشهير " جرهارد نزلمـان " هـذا الكتـاب المأسـاة الـذي يتنـاول فيـه كاتبـه – بموضـوعية مذهلـة – الموقـف الإجـرامي للحضارة الغربية تجاه العالم العـربي والإسـلامي، كيـف ينهبوننـا؟ كيف يسرقون منا الحاضـر والمسـتقبل، ومجـرد الأمـل في حيـاة كريمة ؟ وأنه إزاء ذلك لا يردعهم رادع ولا يعوزهم وازع، فالغايـة

تـبرر الوسـيلة، وكـل شـئ لهم مبـاح، ولسـنا بالنسـبة لهم سـوى فصيلة من العبيد أو الحيوانات المتطورة .

ولم أخـتر هـذا المثـل الـذي يتحـدث عن السـلطان قـابوس كراهيـة فيـه ولا إغاظـة لكن – فأنـا أعـرف أنـه صـديقكم الـوفي الحميم – ولكن لأنه هو الحاكم العربي الوحيد الذي امتلك فضـيلة الصـراحة للاعـتراف بنـوع شـرعية حكمـه . أتعتقـد يـا سـيدي أن البـاقين يختلفـون ؟؟؟ يالـه من أمـر محـزن يـا سـيدي أن يظن رعاياكم – وبعض الظن لا كلـه إثم – أن أعـداء الأمـة لم يتسـللوا إليها من خلال أوباشها بل من خلال أرؤسها..

فأولئك الحكام الذين يرتدون رداء الإسلام يسـهمون من خلال مخططاتهم في تشكيك الأمة بصلاح دينها لممارسة حياتهـا وحكم أمورها، وتلك والله والله فرية عظمى وإفك أكـبر . لكنهـا وقـرت في أذهــان البعض لأن تــاريخ الحكــام الأســود إذا حســب على الإسلام فهو مـروع ورهيب ولم يكن حكمهم حكم الإسـلام وإنمـا اغتصابا يرتدى غلالة مزورة يدعى أنها الإسلام.

إنكم يا سيادة الرئيس غير قـادرين على حـوار، لأن أي حـوار يتضـمن افـتراض خطئكم واحتمـال صـوابنا، ولأن الحـوار يتطلب أيضـا افـتراض تسـاوى أطرافـه . لقـد نهانـا القـرآن يـا سـيدي – ونهاكم أيضا – أن نتنابز بالألقـاب لكنكم تنـابزتم بـالقرآن الكـريم والحديث الشرف . وبأسماء الله الحسنى .

منذ عشرات الأعوام عندما أطلـق الإعلام الغـربي الصـهيوني الفاجر صكوك غفرانه وشـهادات الكفـر والإيمـان، كـانت الخطـة أمامه مكتملة ينفذها خطوة خطوة ولم يلاحـظ من فقهائنـا فقيـه أن دعاوى الكفر لم تصب إلا أعـداء أمريكـا و إسـرائيل، ولم يكن الأمر بالنسبة لهم كمثلـه عنـدنا مجـرد حشـو لصـفحات الصـحف بالحروف ولأجهزة الإذاعـة والتليفزيـون بالكلمـات والصـور، كـان تنفيذا لخطة كاملة شاملة تفقـدنا – نحن الأمـة – التعـاطف معهم كي يضــربونا نحن في النهايــة . وكــان المرجــو من فقهائنــا أن يحمونا، لكن بلغ الأمر ببعضهم أن فسر آية " وشاورهم في الأمر " على أن الأمر القرآني موجه للرسول صلى الله عليـه وسـلم لا إلى الحكـام، وأن هـذا دليـل على وجوبـه على الرسـول لا على الحكام . إبكوا كثيرا، واضحكوا قليلا .

والله يا سيدي لكأننـا من أخـبر عنهم رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم، ولدنا في الجور ولم نعرف غيره .

يا سيدي :

عندما يهـدر الأفـراد الشـرعية فمن واجب الدولـة أن تتصـدى لهم يساعدها المجتمع فإن أهدرت الدولة نفسـها الشـرعية فكـل شئ مباح .. ولقد حمد ابن الخطاب الله يومـا أن جعـل في أمتـه من يقوم اعوجاج عمـر بسـيفه .. أمـا أجهـزة أمنـك فهي تسـحق سحقا أولئك الـذين يقومـون اعوجـاج منحـرفيكم بألسـنتهم . أمـا الـذين تتفضـلون عليهم بعـدم السـحق فـأنتم لا تمنـون عليهم إلا بآذان بها وقر، وقد لا تعلم يا سيادة الرئيس كم تعذبنا عندما كـان الـدكتور حلمي مـراد يكتب مقالاتـه الرصـينة المهذبـة، الـتي لا تخدش حياء ولا تكشف عورة، بـاذلا النصـح لكم من أجلكم، ومن أجـل وطنكم وأمتكم ودينكم، وفى البدايـة مـا من مـرة كتب إلا ظننا أنـه كشـف لكم مـا التبس، وأوضـح أمـامكم مـا عميت عنـه البصائر والأبصار، وأنكم لابد منصفوا الحقيقـة ولـو من أنفسـكم، بيد أن صمتكم كان يـذبحنا، وعنـدما ارتفعت نـبرات ذلـك الرجـل العظيم، ووضحت إشاراته لحـد الفضـيحة، قلنـا أنكم سترسـلون من يستر ما انكشف من سوأة أخيكم، لكن حتى ذلـك يـا سـيدي لم يحـدث، فظـل واخـوة لـه يسـوموننا الحكم بسـوءات عاريـة ومساوئ بادية ولم يجد حلمي مراد مناصا من تسليم خطاب تلـو خطـاب، ومناشـدة تلـو مناشـدة إلى رجالـك كي تكـون الحقيقـة أمامك، لكن شيئا لم يتغـير واضـطر الكـاتب الوطـني الكبـير بعـد اليأس أن يضع للأجيال القادمة كتابا يتضمن ما يحـدث من فسـاد في قطاع البترول، ولم يكن الخلاف حول مبادئ يجب ألا تختلـف عليها – لكننا للأسى اختلفنا – ولا حـول نظريـات يمكن بـل يجب أن نختلـف عليهـا، ولكن خلاف حلمي مـراد – ومعـه الأمـة – مـع حكوماتنا وكنا ننشد فقط ألا تكابر الأجهـزة عنـدما يكـون الفسـاد فادحـا مكشـوفا موثقـا بالأدلـة والمسـتندات، لكنهم يـا سـيادة الرئيس كابروا وعندما آن الأوان الـذي لا نعـرف لـه سـببا وأقيـل بعض المفسدين كنا ندرك أن هـذا ليس رجوعـا إلى الحـق وإنمـا خلاف حول باطل .

وبعـد ذلـك وقفت الدولـة بقضـها وقضيضـها تسـاند الفسـاد وتعضـده، حـتى لتكـاد النكتـة الشـعبية الشـائعة تتحقـق : عنـدما حكمت ببراءة المتهم وحبس المحامى .

ولو أن الأمر يا سيدي كان يقتصـر علي فسـاد جهـاز أو هيئـة لهان، لكنه فساد نظام ومنهج، يفسـد فيـه الفاسـد غـير الفاسـد، فإن لم يستطع عزله عن التأثير على المجتمع و شهّر به وافتـأت عليه .

لقد اقترن عهدك يا سيدي الرئيس بالقروض بأكثر مما حــدث في عهد إسماعيل وأنت تعرف ما حدث بعده .

ولقد كان ترك شركات توظيـف الأمـوال في غيبوبـة القـانون مأساة، وكان اغتيالهـا بالقـانون كارثـة . كـذلك كـان تـرك البنـوك الأجنبية تنهبنا وبنـك الاعتمـاد والتجـارة يهـدر مقـدرات مواطنيـك مأساة وكارثة .

والطريقة التي يبـاع بهـا القطـاع العـام الآن، والطريقـة الـتي يعامـل بهـا القطـاع الخـاص المنتج – خاصـة في مجـال اسـتزراع الصحراء – مأساة وكارثة .

والطريقة التي تدار بها الصحف الحكوميـة والإعلام والثقافـة والفنون مأساة وكارثة .

ونظام التعليم من أدناه إلى أعلاه مأساة وكارثة .

كذلك نظام الشرطة والجامعات وربما الجيش .

إن ريتشـارد نيكسـون يحـدد – في كتابـة : انتهـزوا الفرصـة – طريقة انهيار دول العالم الثالث، وخروجها من التاريخ فيما يحدث عندنا الآن .

ويقول فوزي منصور في كتابه : " خروج العـرب من التـاريخ" إن التـاريخ قـد يغفـر لأمم أن تنهـزم لكنـه لا يغفـر لهـا أن تعطى للتاريخ ظهرها" .. فلماذا نفعـل ذلـك يـا سـيادة الـرئيس، ولمـاذا نجعل على رأس أجهزتنا حكاما لو اختار أعداؤنا ما اختاروا غيرهم .

سيدي الرئيس :

لا يثمــر الكــذب إلا كــذبا ولا ينبت الشــر إلا شــرا، ولا تســفر الخطيئـة عن حلال، لـذلك أقـول لـك أن خطأنـا في المنهج، وهـو خطأ كفيل إن لم تتداركه بانهيار مخيـف، وصـدقني أنـني أخشـى انتقام الله منك ومنا، أخشى أن ينتهي عهدك نهاية كابوسية تنهار فيها السدود والأنفاق، وتنفجر مياه الصرف وتشتعل أنابيب الغــاز ومصافي البترول، وتغرق السفن وتنتشر الأوبئة، وتكسد التجارة وتخســر المصــانع – الـتي أدت غرضـها لمن أقامهـا بمجـرد قبض العمولة عليها –، أخشى أن تتحول بلادنا، كمـا تحـولت بلاد أخـرى إلى مسخ أوطـان تـرتكب فيهـا الشـرطة أعـتي الجـرائم وتنشـر المخدرات، ويهـدد العسـكر أمن الـوطن، ويتخلى القضـاء جالسـا وواقفـا عن تراثـه العتيـد، فيتـاجر بالعدالـة، ويتحـول الأطبـاء إلى

مصاصي دماء يتاجرون بالبشر، أخشى تراجع القرى إلى عصر الخراب والمدن إلى عصر الغابة، أخشى أن ينهار المجتمع كله.

أجل ...وعند ذلك تأتى إسرائيل لتحكمنا .

فمن أجل أبنائي وأبنائك صن.

من أجل الأمة والعرب والمسلمين صن.

في سبيل الله صن

فليس الأمر أمر هيئة ولا مؤسسة ولا حكومة وإنما المجتمع كله، الأمة والتاريخ والدين والحضارة، وليس كل ذلك فقط . وإنما توشك الأرض أن تميد تحت أقدامنا، أن ننتهي كجغرافيا وكمجرد وجود بيولوجي.

أنت لا تملك الوقت يا سيدي كي تقرأ كما نقرأ، استدع إذن أستاذا في التاريخ وأسأله، أي أستاذ، حتى لو كان الدكتور عبد العظيم رمضان، استدعه وأسأله عن تماثل ما يفعله الأمريكيون بنا، وما فعلوه بالهنود الحمر، حتى أبادوهم عن بكرة أبيهم وزعيمهم يصرخ في أسى : إنهم يتحدثون دائما عن السلام لكنهم لا يطبقونه أبدا .. سله يا سيادة الرئيس إن كانوا قد وفوا بعهد قط، إن كان قد منعهم مانع أو وزعهم وازع أو ردعهم رادع، لقد وصف ريتشارد نيكسون بعض دولنا بأنها مجرمة لكننا نرى أن أمريكا هي أكثر الدول وأبشعها إجراما في التاريخ، لكن عبد العظيم رمضان لن يقول لك كل هذا فحاول أن تعرف الحقيقة منا لا ممن حولك، فإننا نظن – وبعض الظن حق – أنه يكاد ألا يكون أحد منهم إلا ويكذب عليك، ما من أحد يقول لك رأيا يعرف أنك لا تراه، ما من أحد منهم يكتب مقاله يبحث فيها عن حقيقة ينزف في تلافيفها قلبه، وهو يحاول أن يستقطر منها الحكمة كي يقدمها إليك، إنما يا سيدي – وتلك كارثة - يتلمسون اتجاهك، يحاولون معرفة رأيك كي يؤكدوه لك ويبرروه لنا، وهم بهذا يكفون عن الكينونة بشرا ليكونوا مرايا، لا ترى فيها أحدا إلا نفسك، يكفون عن الكينونة بشرا ليكونوا خبثا يعزلك عن ضمير الأمة، وآمالها وآلامها وعنائها، أعظم من فيهم يا سيادة الرئيس شيطان أخرس لا يأمرك بمعروف ولا ينهاك عن منكر، أعظم من فيهم يتجنب إبداء رأيه لأنه يعلم أنه يخالفك، أما الآخرون فقد حسبوها حسبة أخرى، فأنت بالنسبة لهم أكبر استثمار في حياتهم، كلما وافقوك أكثر كانت مغانمهم أكبر، ثم أن عقابك عاجل وعقاب الله آجل، و غرتهم الأماني فحسبوا إمهال الله نسيانا، ثم رأوا رأى العين في كلمة الحق ابتلاء، وأن قائل

الصـدق في أحسـن الأحـوال عنـدكم مـذموم مـدحور محاصـر بـأجهزتكم الـتي تطلـق عليـه الشـائعات أحيانـا والكلاب أحيانـا أخرى .

ماذا يفيدك يا سـيدي أن تفقـأ عيـون كـان المـأمول أن تكـون عيونك .

ترى حين أفقأ عينيك وأثبت جوهرتين مكانهما ...

ترى هل ترى ..

هي أشياء لا تشترى ...

أجل يا سيادة الرئيس فلنحاسـب أنفسـنا ولنحاسـب بعضـنا .. قبـل أن يحاسـبنا اللـه . وإن كـان يسـوءك اشـتدادي عليـك في الحساب اليوم فيوم القيامة أمام الله سـيكون الحسـاب أشـد ... لكن الحساب يوم الحساب ..

فهل تشك يا سيادة الرئيس أن هذا اليوم آت ...

لا أظن أنك تشك. .

لكن هل أعددت لذلك اليوم العظيم نفسك ؟..

يوم يقضى الله للجلحاء من القرناء، ويوم يسأل الجمـاد فيم نكب إصبع الرجل، هل أعـددت نفسـك يـوم يسـألك ونحن شـهود لك أو عليك فماذا تفعل حينذاك ؟..

ماذا تفعل في هذا اليوم ؟.

ماذا تفعل في هذا اليـوم ؟ يـوم التكـوير، يـوم الانكـدار، يـوم التسـيير، ، يـوم التسـعير، يـوم التعطيـل، يـوم التسـجيل، يـوم السـؤال، يـوم الكشـط والطى ، يـوم السـاعة، يـوم البعث، يـوم النفخة، يوم الناقور، يوم القارعة، يوم الغاشية، يوم النشور، يـوم الحشر، يوم العرض، يوم الجمع، يوم التفرق، يوم البعـثرة، يـوم التناد، يوم الدعاء يوم الواقعة، يوم الحساب، يوم السـؤال، يـوم الشهادة، يوم التبديل، يوم التلاق، يـوم الآزفـة، يـوم المـآب، يـوم المصير، يوم القضاء، يوم الوزن، يوم الجدال، يوم القصاص، يوم الحاقة، يوم الطامة، يوم الصاخة، يـوم الوعيـد، يـوم الـدين، يـوم الجزاء، يوم الندامة، يوم التغابن، يوم الشـخوص، يـوم الشـفاعة، يوم العرق، يوم القلق، يوم الجزع، يـوم الفـزع، يـوم فـرار، يـوم الازدحام، يوم الحر، يوم العطش، يوم الانفطـار، يـوم الانشـقاق، يوم الذل، يوم الخوف، يوم لا تملك نفس لنفس شـيئا، يـوم تبض

وجوه وتسود وجوه......... فهل تشك يـا سـيادة الـرئيس أن هـذا اليوم آت ؟..

أنا واثق أنك لا تشك..

لكن إن كنت لا تشك في ذلك الهول كله ..

أفليس جديرا بك أن تدعو بالرحمة لمن يهدى إليـك عيوبـك . وأليس جديرا أن أهتف بك : أتق يوما كان عذابه مستطيرا ..

كان ...

فعل الديمومة والكينونة ..

هي الفتنـة يـا سـيادة الـرئيس فـابتغ الخلاص . أم حسـبت أن تقول أمنت ولا تفتن .

ألم تسأل نفسك قط أين الملـوك والحكـام قبلـك وقـد بعـدوا ونســى ذكــرهم وصــاروا كلا شــئ، لقــد بقيت عليهم التبعــات وانقطعت عنهم الشهوات، مضوا والبنيان بنيانهم يملكه غيرهم .

فإذا لم نجرؤ نحن أن نسألك عن كل هذا..

أو إذا جرؤنا لكنك لم تعرنـا اهتمامـا، فكيـف سـتواجه حسـاب الله سبحانه وتعالى لك يوم القيامة ؟..

إنني واثق أنك أيها المواطن مثلى بالله تؤمن .

لكن ..

لا إيمان بلا يقين ..

واليقين يهزم الزمن حتى يكاد يلغيه ..

وإنى لأكاد أراك رأى العين .. يحاسبك اللـه ويسـألك الملائكـة وأصابع مئات الملايين من وطننا ومن العـالم العـربي والإسـلامي تشير إليك هاتفة :

- كان يستطيع يا رب .. لكنه لم يفعل ..

وأخالك يومها .. وحدك .. لا جيش ولا حـرس ولا أمن مركـزي ولا وزير داخلية يقلب الحقائق..

وكل نقطة قوة كانت لـك في الـدنيا هي عليـك في الآخـرة .. فهل أعددت عدتك للسفر يا سيادة الرئيس ... للقاء ربك ..

أدمعت عيناك من خشية الله منذ أصـبحت رئيسـا للجمهوريـة أم غرتك القوة ؟ أنكصت عن فعل كنت تزمعه خوفا من الله . أو

أقدمت على فعل لصالح رعيتك مبتغيا وجه الواحد القهار لا مبتغيا استمرار النظام ..

أقدرك الله علينا اليوم، فاتقيت قدرتنا عليك غدا أمامه ..

وكيف تجيبه حين يسألك عن جائع لم يجد طعامه .. وعـار لم يجد كساءه، وقـاطن بالمقـابر لم يجـد سـكنا .. وعن مظلـوم لم تنصفه وعن ظالم لم تنصره برده عن ظلمه .. وعن آمال ضيعتها وعن آلام سببتها وعن كذب لم تصححه وعن تزييـف لعقـل الأمـة لم توقفـه .. وعن أشـرار وليتهم وعن لصـوص ائتمنتهم، وعن أتقياء استبعدتهم، وعن حق هجرتـه، وعن باطـل احتضـنته، وعن أخ لك في الله جفوته حـتى العـداوة وعن عـدو للـه اصـطفيته .. وكيف تجيبه حينما يسألك عن لصوص ومرتشـين اسـتنزفوا البلاد سكتّ عنهم .. وكيف تجيبه عندما يواجهك من عُذّب في عهدك .. وما بالك إذا أخذوا يقتصون منك بكل ما فعل بهم واحدا واحدا يـا ابن الأكـرمين .. وكيـف تجيبـه حين يواجهـك الآلاف الـذين استشـهدوا في حـروب الـوطن .. أدافعت عن القضـية الـتي استشـهدوا في سـبيلها، أم أن موقفـك منهـا تلخص في حكمين فـاجعين : حبس بطـل مصـر العظيم سـعد الشـاذلي وفى نفس اليوم الإفراج عن آل مصراتى ..أتشاذلي

أي عار ينكس القامات ويجلل الهامات.....

وليس حزننـا من أجـل الفريـق الشـاذلي كشـخص فمثلـه لا يحزن عليه، بل به وله نفرح..

ولا حزننا من أجلك فما يزال باب التوبة مفتوحا أمامك .

وإنما نذكر نصر أكتوبر، نصرنا اليـتيم الـذي ليس لـدينا سـواه نفخر به ونعتز بذكره فنرى بطله الثالث – أنت يا سـيادة الـرئيس – يحبس بطله الثاني: سعد الدين الشاذلي .

ولعلك تتساءل الآن عن البطل الأول لحرب أكتوبر ..

سأجيبك :

أنا يا سيادة الرئيس ..

أنا..

أنا بطلها، أنا المواطن المصري العادى البسيط الـذي لا حـول له ولا قوة، أنا من لا رأى له يسمع ولا قهرا يمنـع، آبـائى وإخـوتى وأبنـائى هم فعلوهـا في رمضـان وانتصـروا، نحن الـذين كافحنـا ودفعنا دماءنا من أجل أن نكلل هامة الأمة والتاريخ بالانتصار .

فكيف لا يلبى بطل رمضان الثالث أمـر بطلهـا الأول بـالإفراج عن بطلها الثاني كيف ؟..

وكيف تقف أمام الله لتدافع عن نفسك ولماذا تجعل مهمتـك كل يوم أكثر صعوبة؟

لكن الأمــر لا يقتصــر على ذلــك فقــط، إذ يبــدو أن أعــداءنا وأعداءك يـدفعون الأمـور في سـبل محـددة وطـرق ممهـدة كي يحرجوك ولا يبالون بمشاعرك ووضعك أمام شـعبك وأمـام أمتـك وأمام العالم..

نفس ما فعلوه بالسادات في أعوامـه الأخـيرة بعـد أن وثـق بهم .

وهنا أيضا يبدو إصرارك على عـدم تعـيين نـائب لـك مخـاطرة بمستقبل الوطن إذا ما شاء الله أن يسترد وديعته فيك .

يا سيدي ... يا سيدي ... قد يقول لك سـدنتك أنـني انفعـالي متخلف أحدثك بالقلب في عالم لم يعد فيه للقلب صوت، بيد أنى أحدثك حديث العقل أيضا.

والعقــل قيمــة كـبرى أعلى الــدين من شـانها حـتى لتسـقط فروض الدين عن غير العاقل، وهو قيمة عليا أخذ أعداؤنا بأسبابها فــــامتلكوا الــــدنيا، وهــــا نحن أولاء نوشــــك أن نكــــون لهم عبيدا، أهملناها رغم أن دينهم لم يعل شأن العقل كديننا، و ذلــك يعــنى أن لا نتبــع نمطهم العقلي الفاســد. فعنــدهم الغايــة تــبرر الوسيلة , وعندنا الغاية وجهه والنتيجة أمره وقـدره وقضـاؤه أمـا الوسيلة فهي أمرنا , وقدرنا وقضاؤنا الذي سيحاسبنا اللـه عليـه . والعقل قيمة عليا في كل ذلك لكنه يكاد يكون عندهم هو القيمــة العليا الوحيدة بينما هو لدينا قيمة عليا من قيم عليا ليس لها نهاية , علينا أن نأخذ بأسبابه فنحن أولى بها منهم ولكن علينـا في ذات الـوقت ألا نسـقط من خلالـه في بـراثن اليـأس وحمـأة الـرعب وسلاسل العبيد..

العقـل قيمـة عليـا ... علينـا ألا نفلت سـببا من أسـبابه، لا لأن ذلك سبيل انتصـارنا عليهم، وإنمـا لأن ذلـك أمـر اللـه لنـا .. فـإن اتبعنا أمره سـيأتينا نصـره، سـيأتينا من حيث لا نحتسـب، سـتنهار كتلتهم كما انهارت الكتلة الشرقية، وسوف تصدع الأرض والجبال والبحار لأمر اللـه فيغـرقهم طوفـان ويحـرقهم بركـان وتميـد بهم رواس، سيرسل عليهم طيرا أبابيـل تـرميهم بحجـارة من سـجيل تجعلهم كعصـف مـأكول، وسننتصـر، سينتصـر الإسـلام بطريقـة جديدة فريدة تحفظ له عظمته، ولعله سيغزوهم داخل ديــارهم لا

بالسـيف ولا بالقنابـل، ولكن بمبادئـه السـماوية إزاء إجـرام حضارتهم الوحشي وخوائها الروحي .

سيدي الرئيس :

لسـت مزايـدا ولا مقـامرا ولن أطلب منـك حـرب أمريكـا ولا حتى إسرائيل فقـد انقطـع أملنـا في الحاضـر، حـتى الحلم مـات، ذوى، ذرتة رياح صرصر عاتيـة، لم نعـد نفكـر في حـرب أعـدائنا ولم نعد – حتى – نحلم بنصر، ذلك بأمر الله وبوعده الحق قـادم، لكن في زمن آخـر لن نـدرك بشـائره ولن نـذوق رحيقـه ، مـا نريده، ما نرجوه ونتوسل وندعو الله من أجله أن نبقى لأبنائنا مـا يبدءون منه، أن نترك لهم حتى رايات ممزقـة وصـواري محطمـة تذكرهم بأن آباءهم كان لهم شرف المحاولـة قبـل عـار الهزيمـة، كيلا ينظروا إلى أجيالنا باشمئزاز واحتقـار هـاتفين: ألم يكن فيهم رجل؟ ألم يكن فيهم رشيد؟ ما نرجوه منك يا سـيادة الـرئيس أن نوقف الانهيار لنبدأ .. لنضع اللبنة الأولى في مصر، فمنها سيفيض النور والخير بإذن الله على العالم العربي والإسلامي .

وما أطلبـه منـك يـا سـيدي – واللـه – ليس عسـيرا وإنمـا هـو الحق والعدل والدين والمنطق والسياسة والحضارة .

ما أطلبه منك:

ليكن عيد ميلادك القادم أخر عيد ميلاد في السلطة [4]

إن كانت السلطة شرا فكفاك وإن كانت خـيرا فقـد نلت منـه ما يفيض..

أنت نفسك الذي قلت لنا ذلك في بدايـة حكمـك فلا يصـدنك شياطين الجن والإنس عن عزمك القديم..

السلطة مغتصبة من الأمة فأعدها إليها..

لا ترشح نفسك مرة أخرى..

والذي نفسي ونفسـك بيـده لن يـدفعك إليهـا إلا منـافق ولن يكذبني إلا كاذب ولن يستبقيك إلا عاص يريد الخـير لنفسـه، وقـد اطمأن لموقعه في وجودك، فكن القدوة ...

كن أول حاكم يتخلى عن السلطان اختيارا..

اخلع أرديتها فإنها لظى نزاعة للشوي .. وعد إلينا حبيبا قريبا، بطلا عظيما لنصر وحيد، وقد بنا من صفوفنا محاولتك لرأب صدع الأمة..

خض بنا البحر – في سبيل الله - نخضه معك .

ليكن عيد ميلادك القادم أخر عيد ميلاد لك في السلطة .

انقل الحكم من العسكريين إلى المدنيين، وهو انتقال لابد آت فافعله أنت اختيارا تحقن دماء أهلك من سطوة العسس . اجعـل من مصر منارة أمام العالم الإسلامي حيث نظام الحكم وشخص الحاكم لا يتغير إلا بالموت، افعلها تكن لك يد بيضاء عند الأمة أبـد الدهر .

افعل ما تود أن تقابل الرحمن به غدا، بـل اليـوم بـل الآن، أم أن لديك ميثاقا أن تعيش أكثر . وهل تنتظـر إلا السـاعة أن تأتينـا بغتة فقد جاء أشـراطها يـوم لا ينفـع الظـالمين معـذرتهم لأنهم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون .

إن الشيطان قد يئس أن يعبد لكنه رضـى أن يطـاع فلا تـرض أنت .

فليكن عيد ميلادك القادم آخر عيد ميلاد لك في السلطة .

وحين يحين ذلك حاول أن تحصى ذنوبك كي تتوب إلى الله .

أن ترجع عنها قبل أن يرجع عليك بها .

صارح الأمة وواجهها بحقيقة أمرها .

ذلك أن أول درجات سلم التوبة الصعب أن تقر بذنبك ..

اكشف لنا ما قد علمت من تعذيب وتزوير وتستر..

اكشف للأمة أن ما شاركت فيه لم يكن " عاصفة الصـحراء " فقط وإنما كان " المجد للعذراء" أيضا وهـو أسـم أخفـاه إعلامـك عن الأمة لغرض في نفس شامير وبوش .

ألغ قانون الطوارئ .

وافق على تغيير الدستور .

ألغ الاستفتاء على رئاسة الجمهورية وحوله إلى انتخاب حر .

لا ترشح نفسك مرة أخرى ..

أوقف التعذيب..

أوقف تزوير الانتخابات ..

أطلق حرية الصحافة والأحزاب حقا وصدقا ..

طارد الفساد والمفسدين ..

ضع الأسس لبناء مصر الحديثة. .

خطط لإعداد دولة الإسلام كما خطط بنو إسرائيل لإقامة دولتهم..

ضع مع أقرانك خطة تحقق ولو بعد مائة عام..

إن بقاء أي أسرة من الأسر الحاكمة الآن في العالم العربي والإسلامي لمدة عام واحد أمر غريب، عشرة أعوام معجزة عشرين عاما مستحيل، فأعرض علهم إذن مشروعا لوحدة العرب المسلمين لا يكتمل إلا بعد مائة عام، مشروعا لا ينتقض من سلطة، مشروعا يداوى جروح الأمة ويجمع شراذمها ويعيدها خير أمة أخرجت للناس .

افعل ذلك، تمح حسناتك سيئاتك..

تب إلى الله..

وإن لك من مجد أكتوبر ما يجعلنا ندعو الله أن يغفر لك .

افعل ذلك ... فوالله لو جئت الله بملء الأرض ذنوبا لجاءك بمثلها حسنات .

ولو تقربت منه ذراعا تقرب منك باعا وإن أتيته تمشى أتاك هرولة .

وليكن عيد ميلادك القادم أخر عيد ميلاد في السلطة .

***

قد يكون هذا آخر حديثي لك ولعله آخر الاجتماع

فالسلام عليكم يا سيادة الرئيس ..

السلام عليك يا أيها الأجير ...

فلعلنا لا نلتقي أبدا بعد عامنا هذا في موقفنا هذا .

ومن أجل هذا كتبت لك ما كتبت، ولم أكن ألقى بنفسي في التهلكة بل والله أنقذها.. فلو أن عبدا خير بين ما عند الله وما عندك فاختار ما عند الله أيهلك، أم ينقذ من الهلاك نفسه ؟..

أبارت تجارته أم ربح البيع. .

السلام عليك أيها الرئيس ..

السلام عليك، وعلى موعدنا للقاء أمام الله في يوم قد يكون مقداره خمسون ألف سنة .

خمسون ألف سنة فتخيل معي يا سيادة الرئيس واعتبر، لأننا -إذا كان ذلك- في الحساب على ذنوبنـا – لا في العـذاب عليهـا – سوف نحاسب عن كل يوم عشناه في هذه الدنيا ثلاثة أعوام ..

فكيف لا أقول، وما أنا إلا عابر غريب، دنياي آخرتى، والطريق وعر، والمخاطر جمة، حـتى أنـني أتهلـل لم يختصـر لي المسـافة ويقصر على الشقة ويخفف الابتلاء ويلطف القضاء ويعجّل بالأوبة .

لست مقيما، وإنما أتزود من قفـرى لروضـتي، أنتظـر الطلب بالذهاب والإذن بالمثول، غير آبه لأي حـال تكـون عليـه عظـامي وإهابي حين مغادرتي .

وكيف لا أقول وما أنا إلا عبـد أرسـله سـيده وأمـره أن يقـول فكيف لا أصدع أنا ولم لا تصدع أنت ؟ ..

السلام عليك أيها الرئيس .

سلا م الله لا سلام أعداء الله .

السلام عليك ورحمة الله وبركاته .

الجزء الثاني

يا ولاد الكلب[5]

أعتذر للقارئ الذى قد يقرأ هذا المقال بعد

اختفاء البوسنة والهرسك من خريطة العالم .

لم يبق إلاها

كأنما اندغمت حروف اللغة فيها فلم يبق لنا سواها .

أغلـق الصـحيفة أو المـذياع أو التليفزيـون والنـار في قلـبي نزيف..

أعض علي شفتي , ينهشـنى الغيـظ وتنطلـق الكلمـة قبـل أن تمر مرورها الطبيعي علي العقل ليهـذبها فأجـدنى أنفجـر: يـاولاد الـ.......

أراجع نفسي، أكبح مقودها لأروض جموحها متوسلا بتراث أمه لا نهاية له من الدين والحكمة والثقافـة والفلسـفة والأدب، عليـك أن تجد كلمـة أخـرى , فـذلك لا يليـق، إن لم يكن من أجلـك أنت ككاتب فمن أجل الصحيفة التي تكتب فيها , أكثر الصحف دسامة والتزاما وأكثرهـا احترامـا , وأن يكـون عنـوان مقالـك فيهـا هكـذا فذلك لا يليق .

لكن المسيح عيسي ابن مريم علية السلام لم يجد وهو يصف أعداء الله سوى أبناء الأفاعي , بل وما هو أشد .

ونجيب محفـوظ في ثلاثيتـه الشـهيرة لم يجـد سـوى "ابن كلب" ليصف بها عهودا" كعهود محمد وإسماعيل صدقي .

وثمة أفلام سينمائية شهيرة وعظيمة لم ينل من قيمتها إن كانت نفس الجملة ذروة الأحداث فيها .

فلِمَ أبخع نفسي إذن وأدينها كل هذه الإدانة عندما لا أجد سوى هذا العنوان إذ أشرع في الكتابة عما تجنبت الخوض فيه طويلا، ليس اختيارا ، وإنما حرون هو القلم، كلما حاولت الكتابة عن أحداث تجرى ودماء تسيل وأرواح تزهق , وبطون تبقر، وأشلاء تنثر , ودين لله يستباح، وليس ذلك فقط هو كل ما يحدث في البوسنة والهرسك .

لو أنصف القلم لسال منه الدم لا الحبر . ولا نطلق كل حرف قذيفة، وكل كلمة قنبلة وكل جملة دبابة تسارع لنجدة، وكل صفحة طائرة، وكل مقالة جيشا وكل جيش دولة، وكل دولة تدعى الإسلام تنشل فيها الإرادة ليست حتى شيطانا أخرس، بل إبليس ذرب اللسان يتربع على العرش .

كلما حاولت الكتابة تدافعت المشاعر والكلمات والدموع حتى تفيض مشاعري، ويغص حلقي، وتغرورق عيناي، فلا أجد متنفسا عن الغيظ والغضب سوى أن أنحى عمرا من الكلمات لأهتف في همس كظيم :

يا ولاد الكلب

لو أنصفت يا قلم لانكسرت.

ولو أحسست يا ورق لاحترقت.

وإلا فكيف أكتب عن الأحداث المروعة التي نعيشها، فيسيل المداد من القلم كلما يسيل في كل مرة، وتسود الصفحات بنمنمات السن المعدني كأن دماء في ذات اللحظة لا تسيل، ورؤوسا بشرية يتراهن أبناء الكلاب أبناء الأفاعي كلاب جهنم عليها، فيكسب الرهان من يقتل اثنين في أقل من دقيقة بشومته الخشبية، ويكسب الرهان من يجعل مخ الضحية يتناثر على كل أنحاء الغرفة لضربه واحدة.

لطالما حاولت الهروب من مواجهة القلم لأكتب، فالكتابة أحيانا عهر .

لأن الكلمة إن لم تقترن بالفعل فقد ولدت سفاحا .

وأنا – الجبان المقيد بقانون الإرهاب – عاجز عن الفعل .

أنـا – الجبـان المحاصـر بنصـف مليـون من أهلي، وعشـيرتي، وأبناء جلدتي تدعمهم ترسانة هائلـة من القـوانين ووزيـر يهـددني بأن يجعل جسدي مصفاة بالرصاص – عاجز عن الفعل .

لطالما هتفت بنفسي : أيها العاجز الجبان: اصمت، احترامـا لجلال المأساة التي لا تستطيع أن تسـاهم في إيقافهـا: اصـمت . انصــداعا للقلب، وانســحاقا للــروح وذهــولا أمــام الأشــلاء المسحوقة والدماء المسفوكة: اصمت .

دوجلاس هيرد يصر على تدخل للأمم المتحدة لجمـع الأسـلحة الثقيلة، وبطرس غـالي يـرفض لأن الأمـر يحتـاج لعـدة مئـات من الجنـود لا تسـتطيع الأمم المتحـدة توفـيرهم، وهى الـتي حشـدت للعراق ما يقارب المليون .. فاصمت .

الأمم المتحدة تهدد العراق – إن لم يمتثل للمهانـة والـذل في خلال 24 ساعة – بإعادة ضربه، وحـاملات الطـائرات والصـواريخ تتحرك، ونحن لم نواجه أنفسنا بعد بأن العراق أضحى مسـتعمرة أمريكية وصحفنا القومية – وما هي صحفنا ولا هي بقومية – تكـاد تلــوم أمريكــا على تخاذلهــا وتكاســلها في مواجهــة العــراق ... فاصمت .

الأهــالي وروز اليوســف تتنافســان امتهانــا للعقــل مــؤازرة للحكومــة في مواجهــة أبنــاء ديــروط . وصــنبو، لا في مواجهــة الصرب فدعهما يسقطان باليسار سقطته الأخيرة .. واصمت .

ثروت أباظة يتبتـل بـرجم الناصـرين والتسـبيح بحمـد سـوزان مبــــارك، ويتهم يحــــيى الرفــــاعى بالخيانــــة العظمى ... فاصـمت.. وعبـد العظيم رمضـان مشـغول بهـدم جبـل للحقيقـة أماط اللثام عنه محمد حسنين هيكل فاصمت .

تدق الطبول كلاب جهنم مرددة أهـازيج الفرنجـة أن القـذافى بعد أن – شفى – قد كفر بالعروبة ... فاصمت .

العجز الذي منع الأمم المتحـدة من نجـدة البوسـنة والهرسـك لم يمنعنا من سحق ليبيا .. فاصمت .

والعجـز الـذي منـع الأمم المتحـدة من التـدخل، لإنقـاذ مئـات الآلاف في معسـكرات الاعتقـال لم يمنـع الأسـاطيل والطـائرات والصواريخ والجيوش من إجراء المناورات بالكويت .. فاصمت .

النظام الجديد وضـعه السـادة كي نكـون العبيـد ومن يرفضـه إرهابيون .. فاصمت..

لم يك زكى بدر نسيجا وحده ولا استثناء شاذا، بل القاعدة .. فاصمت .

نؤنا بكبارهم .. فرجونا أن يريحنـا المـوت من شـرهم، فمـاتوا غير مأسوف عليهم، فبؤنا بغلمانهم أكثر شرا وبذاءة .. فاصمت .

حتى الطيب المهذب الوديع الذي انخدعنا فيـه لم يتـورع على ارتكاب الفاحشة بهدم حزب واغتصاب صحيفة .. فاصمت..[6]

وحول السودان تنبح كلاب جهنم على عـادل حسـين فيـدعون عليه ما لم يقل ليردوا على ما ادعوا بعد أن عجزوا عن الرد على ما قال ... فاصمت .

يحيى حسـن، وآل مصـراطي أبريـاء وسـعد الـدين الشـاذلي حبيس، وعرفات هباش بكـاش، أمـا الـترابى والغنوشـى، وعمـر عبـد الـرحمن فشـواذ ومجرمـون فلكهـا في فمـك وابلعهـا .. واصمت..

مجلس الشـعب الغـائب المغيب يزايـد السـلطة على قـانون الإرهاب، أما في أحداث البوسنة والهرسك فقد شجب واسـتنكر، ثم انتقـل إلى جـدول الأعمـال ليصـدر قـوانين طـالب شـيخ المستشارين يحيى الرفاعى بمحاكمة من أصدرها بتهمـة الخيانـة العظمى، وقد يمثل هو أمام المحكمة بتهمة تشـجيع الإرهـاب، أو حتى الخيانة العظمى فاصمت.

يلعبون الكرة بـرءوس الأطفـال هنـاك، والأمـة عنـدنا مبتسـر رأيها في مبايعة للرئيس لفترة ثالثة فاصمت.

حكامنا معهم، ولهم، وبهم فاصمت ..

أتى الزمان الذي أنبأنا به الرسول صلى الله عليه وسـلم حين يكذب الصادق .. ويصدق الكذاب .. فاصمت .

***

لكنني عجزت حتى عن الصمت حين انفجرت مجهشـا بالبكـاء هاتفا يا ولاد الكلب .

***

رئيسنا لا يقرأ " الشعب"، هكـذا قـرر رب الـبيت، فـأولى إذن بحكام المسلمين ألا يقرءوها .

من المؤكد أنهم يقرءون الواشنطن بوست، والصنداى تايمز، ويديعوت أحرونوت، وهى صحف لا نقرأها نحن وإن كنا نشك أن تهتم بأحداث البوسنة والهرسك .

لكن السؤال الذي يعذب مهجتى هو هل يقرأ حكامنا صحيفة الأهرام العجوز الوقور، التي لم ينسب إليها قط خطيئة معارضة حاكم، ولا معصية نقض مبايعة، ولا كبيرة طلب تغيير، ولا ذنب شهوة حرام في أن يترك الفرعون عرشه لسبب غير الموت، الأهرام.. الطيبة الوديعة المسالمة التي لم تستنكف – حرصا على مشاعر حكام أشقائنا – أن تحذف من القليل الذي نشرته من كتاب هيكل عن حرب الخليج كل ما يشتم منه جرح لشعور أو كشف لعورة، الأهرام المؤدبة الهادئة، لسان أهل الحكم ن فهل يقرأ الحكام لسانهم .

***

تواجهني الصورة في الأهرام والأطفال والعجائز من أبناء البوسنة والهرسك في العراء تنطق ملامحهم بما يخزى أي قلم مجرد محاولة التعبير عنه أو التعليق عليه ... فاصمت .

***

أقلب الصفحات ...

رسالة سراييفو من سامح عبد الله والعنوان هو : تكسير العظام وتحطيم الرءوس بمضارب خشبية لعبة المصريين المفضلة في البوسنة والهرسك .

***

دعنا من كتيبات نشرتها نقابة الأطباء عن المجزرة .

الرئيس لا يحب نقابة الأطباء وقد استنكر ما تفعل.

دعنا أيضا من كتيبات نشرتها نقابات أخرى، فليست على هوى سيادته .

ودعنا بالطبع من الشعب، فالرئيس لا يقرؤها، ولا يسمع صوتها، ولا صوته .

لنقتصر على الأهرام العجوز الوقور المؤدبة إذن . فنحن والله نريد أن يقرأ الرئيس ما نقرأ كي يحس بما نحس . ليدرك رغم المبايعة بالإجماع، كم أن رعاياه تعساء في عهده .

لنقتصر على الأهرام إذن ولنقرأ:

الصربيون البرابرة لم يتركوا مسلما واحدا من شعب البوسنة والهرسك بدون معاناة .. لا فرق في ذلك بين اللاجئين أو المقيمين تحت الاحتلال ...

المتمسكون بأراضيهم الرافضون الخروج منها – رغم الاحتلال – جزاؤهم القتل والتشويه وهتك الأعراض فإذا قبلوا بالرحيل لدول مجاورة قام الصربيبون بتفجير بيوتهم ومحوها من على الأرض تماما، ضمانا لعدم عودتهم إليها في المستقبل مرة أخرى .

***

لقد عاب الرئيس علينا تناول مشكلة البوسنة والهرسك كمشكلة مسلمين ونحن على استعداد لأن نغمض عيوننا لكن بعد أن يرفعوا الخناجر عن رقابنا ..

***

والأهرام رغم ما عاب الرئيس تقول " المسلمون في البوسنة والهرسك هم الضحايا الرئيسيون للقتال الدائر هناك الآن وستثبت الأيام أنهم الخاسرون الوحيدون" ..

***

سامحني يا سامح عبد الله، فسوف يوقفونك عن الكتابة بعد رسالتك هذه إلى ما شاء الحاكم . ألم يحدث مثل هذا مع الكاتب الكبير فهمي هويدى – رغم ارتباط الملايين من الشعب الغائب المغيب به – بعد مقالته الفذة: " تقرير عربي عن الفتنة الأمريكية " والتي خلع بها ورقة الشجر عن السلطة فبانت سوأتها، وكتبت في هذا المكان من " الشعب" أشيد بالمقال، لكن من بانت سوآتهم ممن لا يستحون من الباطل منعوه من الكتابة .

سامحنى إذن يا سامح، فأنا أشيد برسالتك رغم علمي بما سيحيق بك، وإن كانوا قد جرءوا على من في حجم فهمي هويدى، تراهم ماذا سيفعلون بك أنت ؟

لن يكون لرسالتك أي تأثير مما ظننت، لن يصحو ضمير، ولن تعلو همة، ولن تشتعل حمية، ولن يقدم منهم أحد على نجدة مستغيث ولا على إغاثة ملهوف . فقط ستصدر تعليمات شفهية صارمة بوقفك عن الكتابة، كما ستصدر تعليمات أخرى بستر أخبار البوسنة والهرسك خلف تفاصيل برشلونة، وصورة عارية

وفضيحة مدوية، وحادث مثير، فإن لم يكف كل هـذا سيكتشـفون تنظيما لإشعال الفتنة الطائفية، فإن لم يكف سيكتشفون مؤامرة لقلب نظام الحكم ، فإن لم يكـف سـيجرون اسـتفتاء على شـئ، أي شئ .

لنعد إلى رسالتك التي تجاهلت فيها أوامر الرئيس ألا تتنـاول مجزرة البوسنة والهرسك كمجزرة ضد المسلمين .

لنعد إلى قولك

" المسلمون في البوسـنة والهرسـك هم الضـحايا الرئيسـيون للقتـال الـدائر هنـاك الآن، وسـتثبت الأيـام أنهم هم الخاسـرون الوحيدون"

ولنواصل :

" مـا يلقونـه يصـل لدرجـة القتـل، والتمثيـل بجثثهم في بعض الأحيان" .

"عدد المعتقلين يقـارب مائـة ألـف، تشـمل عمليـات تعـذيبهم قطــع بعض الأعضــاء بالســكين، ورســم رمــوز الصــربيين على الصــدور باســتخدام المــدافع الرشاشــة، أمــا الأطفــال فيلقى الصربيون بهم في خلاطات الأسمنت العملاقة" .

" فيما يتعلق بالنساء فـإن الصـربيين يتلـذذون بإرغـامهم على خدمتهم في المعسكرات وهن عاريات بشكل كامل، أمـا روايـات الاغتصاب وهتك الأعراض فلا حصر لها" .

في مدينـة أسـمها " دوبـوى" عقـدت معاهـدة مـع الصـربين ككامب ديفيد وكمدريد ونقض الصربيون المعاهدة - كما سينقضها بنــو إســرائيل- ليطــردوا المســلمين من المدينــة، ومن رفض الرحيل اعتقلوه في سجن المدينـة حـتي امتلأ، فحشـروا البـاقين في استاد، وملهي ليلي ومصنع. وبدءوا في إيذاء الناس.

ويواصل سامح عبد الله رسالته من سرايفو قائلا:

" كنت استمع إلى روايـة شـاهد العيـان حيث تقـوم بترجمتهـا إلي الإنجليزيـة مترجمـة بوسـنية مسـلمة, وقـال الرجـل : فـرض الصربيون حظر التجول علي باقي سكان المدينـة، ورغم أننـا كنـا نسمع صراخا مـدويا كـل ليلـة لأنـاس تطلب المسـاعدة والرأفـة والرحمة، إلا أننا كنا غير قادرين على مسـاعدتهم، لأن من يخـرج من منزلـه في سـاعات الحظـر كـان يقتـل علي الفـور . ويكمـل الرجل روايته لكن المترجمة تتوقف عن الترجمة، والرجل يواصل الحديث، ويطول صمتها بينما الرجـل يتكلم، وهي تحملـق فيـه ثم

تنظر نحوي ثم تنفجر باكية، ويلحق بها الرجـل، وكـل الموجـودين في بكـــاء جمـــاعي، ووقفت مـــذهولا أمـــام مـــا يحـــدث، ليأتيني التفسير بعد دقيقتين، فقد كان يـروى قصـة جارتـه الـتي قتلها الصربيون أمام طفليها، بينما هي تصرخ مستغيثة، ويسـمعها الرجـل ولا يسـتطيع أن يقـدم لهـا العـون، ولقـد خـرج إليهـا بعـد انصـرافهم ليجـد الأطفـال في حالـة هلـع شـديد، والـدماء تلطخ المكان كله حتى درجات المسلم."

" في مدينــة أخـرى اعتقـل الصـربيون المسـلمين في فنـاء مدرسة بعد أن جردوهم من كل ما يملكون، ثم دعوا إمام مسجد المدينة ليتقدم الصفوف، وأمروه بأن يشير بأصابع ثلاثـة من يـده بإشارة معينة هي الرمز الصربي، كما طلبوا منه أن يغنى أغنيـات تمجد الصـرب، ورفض الإمـام مصـطفي مويكـانوفيتش الانصـياع لأوامـرهم، وأشـار بإصـبعين فقـط رفعهم لأعلي ليرسـم علامـة النصر، فاستشاطوا غضبا، وانهالوا عليه بظهور البنـادق، ثم رفعـه أحدهم إلي الحائط ليضع آخر سكينا طويلا في رقبته ليمـر خلالهـا وينغـــرس فى الحائـــط، ويتركونـــه هكـــذا والـــدم يـــنزف منـــه بغزارة حتى يموت، عقب ذلك بدأ الصربيون إقامـة مبـاراة بينهم لقتل المعتقلين مستخدمين عصيا خشبية غليظة، وكان الفائز هـو من يستطيع أن يقتل اثنين خلال دقيقة واحدة، أو من يستطيع أن ينثر محتويات جمجمة مسلم علي أرضـية المكـان بضـربة واحـدة من شومته. بعد ذلك طلب الصربيون من أهالي الضـحايا تنظيـف أرجاء المكان الفسيح من الأشلاء. "

***

لم تنته رواية الرجل فهي حتى الآن تحدث .

أيها القارئ : أتبكى ؟؟!!!

أترشو نفسك بدموعك.

أم يـوزن دمعـك بالـدم، أو برطـل من لحم مسـلم، أو بـرأس طفل .

من منـا يجـرؤ علي الادعـاء بـأن الـدموع تجـزي عن الجهـاد والاستشـهاد. وأي خـداع للنفس أن نلتمس الـبراءة بالتـأثر. أين فضيلة المفتي، وقد كثرت فتاواه؟ بم يفتينا الآن ودورة برشـلونة تحظى من صـحفنا وإعلامنـا بأضـعاف مـا تحظى بـه المجـزرة. ولســت أدرى إن كـانت علامـة التعريـف تغـني مـا بين مجـازر فلسـطين والعـراق والبوسـنة والهرسـك , والصـومال، وصـنبو

وديروط، وكل بلد به مسلم.. أين المفتي، وأين شيخ الأزهر، وأين من قلبوا الدنيا كأن القيامة قامت من أجل توافه؟ .

أين كـل ابن كلب بكي علي عـرض كويتيـة منتهـك ثم يصـعر الآن خده،.

أين كل ابن كلب تنادى بالجهاد تحت راية بوش كي يدخل هــو – لا الضحايا – جنة أمريكا .

أين كــل ابن كلب تبــاكى على أرض في الكــويت ســلبية، ثم يغمض الآن عينيه عن أرض البوسنة والهرسك.

أين كل ابن كلب زين لنا النظام الجديد كما يزين القواد الزنــا ليبغي .

أين كـل ابن كلب روج لقتـل الأطفـال الكويتـيين في تفاصـيل انفجرت بها الفضيحة بعد ذلك أنهـا فريـة ثمنهـا كـذا مليـون دولار دفعتهــا حكومــة الكــويت.. أين هــو؟.. هــاهم أطفــال البوســنة والهرسك ينحرون لتتقاذف الأقدام رؤوسهم حقا، وواقعا وصـدقا، لا باطلا، وخيالا، وادعـاء، وأين الـذى اهـتزت مشـاعره الحساسـة لأن حيوانات حديقة لندن جائعة فتبرع لها بكذا مليون أخرى . أين الأمة..أين حكام المسلمين .. أما زالت تحقق لهم الولاية علينا؟.. أم نـبرأ أمــام اللــه منهم، نـبرأ من صـمتهم حين يصـمتون، ومن كلامهم حين ينطقون، هذا هو نظامكم الجديـد وليس جديـدا إنمـا قديم قدم إبليس علي ظهر الأرض .

أين جيوشنا؟؟..

وهــؤلاء الضــباط العظــام ذوى النجــوم اللامعــة والنياشــين الناصـعة، المهيبـون الـذين ترعـد إشـارة إصـبع ليـدهم أوصـال أوطانهم، وملايين الملاين التي نكدس بها السلاح أين أين أين ؟!

لمن تجيش الجيــوش إذن . ألتكــون وحــدات تابعــة للأمم المتحدة، ويفخر المتفاخرون لأنه من كـل العـالم الثـالث اختـاروا مصر لتلعب دور المحلل بإرسال بضع مئـات من أبنائهـا لحراسـة مطـار سـراييفو تحت علم الأمم المتحـدة، والأمم المتحـدة علي رأسها محلل آخر لعله يعمل تحت إشراف مساعد وزير أمريكي .

أين جيوشنا؟؟.

البوسنة والهرسك تحتاج للطائرات، فأين طائراتنا؟ ..

أم أنها مشغولة في التدريب علي الألعاب البهلوانيــة، وإطلاق الأدخنة الملونة من الأجنحة وتحت الذيل كي تسعد قلوب السادة ذوي النجـوم اللامعـة، والنياشـين الناصـعة، والكـروش الضـخمة، والدشداشات الفارهة، والعباءات الموشاة بالذهب ..

أم نحتاج إلي إذن من واشنطن.

لكن واشنطن لن تعطينا إذنا إلا بضرب العراق، أو أي مكان يكون فيه الدم المسفوح دم مسلم .

الحقيقة واضحة والأمر جلى . لا خفاء فيه ولا خدعة ولا حيلـة، أمرنا تحت رايات حكامنا أهون من أن يحتاج أيا من ذلـك. لكنـني كلمــا تــذكرت الحشــد والقــوة والجــبروت على العــراق إزاء المناورات الوضيعة الوحشية لإهلاك أهلنا في البوسنة والهرسك، وتذكرت دعاة النظام الجديد ورشاواهم أيامها بأنهم سـيحلون لنـا كـل مشـاكلنا، لكن بعـد سـحق العـراق . أذكـر ذلـك فتتـداخل الكلمات والمعاني ... تتزاحم كأنما كل منهـا تريـد أن تظفـر بـأن تكون هي البداية، ويبهظ الألم قلبى، ويثقل العى لساني فلا أملك إلا الهتاف الكظيم يا ولاد الكلب .

يا ولاد الكاالب...

وأواجه نفسي المرة تلو المرة : ذلك لا يليق، أبحث عن كلمة أخرى . لكنني لا أجد سواها .

من المعروف جيدا في علم النفس أن تعرض الإنسان لما هو فـوق طاقتـه واحتمالـه من الضـغوط غـير المنطقيـة تدفعـه إلى التفوه بما لا يتناسب مع وضعه الثقافي والاجتماعي .

***

ليقل لنا أحد القتلة المأجورين كم بلغ الآن في بورصة أمريكـا ثمن دم المسلم؟.. كم بلغ ثمن المشاركة فيه..؟

وكم بلغ ثمن السكوت عليه.. ؟

فـإن نكص القتلـة المـأجورون عن الاعـتراف فليفش السـر كاتب سلطان من عبيده وأغواتـه، من الجواسـيس الخونـة الـذين يطعنون الأمة .

وأتذكر العقاد . كأنه يصفهم بل هو يصفهم حين يقول :

" يحزننـا أن نقـول إن الكتابـة أو جملتهـا لم تكن عنـدنا قـط قامعة للطغيان في عهد من العهـود، وأنهـا كثـيرا مـا كـانت عونـا للطغيان، وسترا له من يقظات العيون والآذان"

ثم يضيف قائلا:

" على القراء أن يميزوا قليلا ليطهـروا الكتابـة من كـل قلم لا يعرف غير الثناء على السلطان، ولا يعرف النقـد والمذمـة، إلا إذا تكلم عن السلطان الزائل "

" أقلام تسـخرها الـدول الأجنبيـة جواسـيس على أوطـانهم لتفسد سياسة أوطانهم، وتخدم سياسة تلك الـدول . هي الحملـة على كل دولة ما عدا الدولة التي تشترى الأقلام لخدمـة مأربهـا . وتسخير الوطنية المصرية لغاياتها"

ويثور التساؤل داخلي : لقد أحاط أنيس منصور بكـل مـا كتب العقاد فهل أحاط بهذا ؟ ولو أن العقاد حي فمـاذا كـان يكتب عن أنيس ؟ ..

***

عنـدما قـال المسـيح عيسـى بن مـريم عليـه السـلام : أحبـوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، لم يكن يقصد بالتأكيد شـيئا ممـا يفعلـه كتابنا وسياسـيونا، الـذين أحبـوا أعـداءنا فكرهونـا مثلهم، وبـاركوا لاعنينا ثم لعنونا معهم .

وعندما قال من ضرب خدك الأيمن فأدر خدك الأيسر لم يكن يقصد أبدا موقف حكامنا أمام أمريكا، ولا موقف العسـكريين منـا أمام أعدائنا . لم يكن يقصد أبدا أن ننهزم، أن يعشـعش الخـراب في كينونتنا الجوفاء بعد أن نسينا الله فأنسانا أنفسنا . إنما قصــد عليه السلام أن ننتصر بأرواحنا ..

وعندما حبب إلينا الإسلام الصبر وحثنا على العفـو والـرد على الإساءة بالإحسـان، لم يقصـد أبـدا موقـف أولى الأمـر وتـابعيهم، وتابعي تابعيهم من أمريكا وإسرائيل والصرب .

أتساءل أحيانا هل آيات عبادة الأوثان في القرآن منسوخة .

فما أتعسنا إن حسبنا ذلـك، فالأوثـان مـا تـزال . الحـاكم وثن، والعسكر حـراس الـوثن، والشـيخ كـاهن، والنـاس مـا زالت على عبادة الأوثان قائمة .

ولست أدري كيف ينظـر المنـافقون إلى الـوثن، لكن الـذهول يصيبني كما ادلهمت الأمور لأفاجأ بالكتبـة كـأنهم على قلب رجـل واحد، ورغم مظهـرهم الخـادع الـذي يـدفعنا لأن نحسـبهم جميعـا فقلوبهم شتى، نفس الكلمات ونفس الأحاسيس، ونفس الأفكار، ونفس الانفعال الذي يدفع الجميع ليكتبـوا أو نفس الموضـوع في

نفس اليوم، ولو صدق هذا التوحد الوجـداني لكـان معجـزة وجب أن تحتفـل بهـا موسـوعات المعجـزات ولكـان دليلا على ربوبيـة الوثن، ونفاذ وحيه، بيد أن الأمـر ليس توحـدا وجـدانيا ولا انـدماجا روحيـا ولا انصـهارا فكريـا بـل سـلكا تليفونيـا يربـط مـا بين أقلام الكتاب ولسان الحاكم .

الآخرون، الذين لم يصلوا بعد إلى شرف أن تكـون جمـاجمهم أحذيـة للفرعـون، وعقـولهم مطايـا لـه، الـذين لا يـربطهم بوتـد السـلطة حبـل مباشـر، لا يبـدءون الكتابـة إلا بعـد ذبح الحقيقـة لتقديمها كقربان للحاكم الفرعون . الولاء أولا والـولاء آخـرا وبين الولاء والولاء صبر على اللأواء لا إله سواه .

يخيل إلى أحيانا أنهم يتعاملون مع نظـام الحكم كمـا لـو كـان غـولا أسـطوريا هـائلا لا قبـل لأحـد قـط بـه، إنهم يسـمعون منـه هسيس ما لا نسمع، وإنهم في كل مقـال يكتبونـه يجـيئهم صـوت الغول مرعبا كما لم يك من قبل رعب يتخلل عوالمهم ودناهم فلا يسمعون صوتا سواه، هو الصوت الباقى من أشلاء ذاكرة تستعيد حكايات الجدة العجوز والغول يهمس : لولا مقالـك سـبق كلامـك لأكلت لحمك قبل عظامك .

***

ثمة مواقف أو كلمات أو التاريخ تحملهـا الأحـداث بشـحنة من الشـجن، والحكمـة والعقـل والـدموع والنبـوءة بالكارثـة حـتى لتتجاوز حدود الزمان والمكان لتنتصب فوق رؤوسنا جرمـا، ثقبـا أسود في صفحة الكون، لا شكل له يرى، ولا حجما يقاس ولا ظلا يوصف، ولا حتى شعاعا يرتد إلينـا بقبس من نـور الحكمـة حـتى نتعلم من أخطائنا وتجاربنـا، ونظـل نـدور الـدوار المسـعور حـول الوثن .

كيف لم تنبئنا الأندلس بما سيحدث لفلسطين.

وكيف لم يحذرنا ما حـدث لفلسـطين من أن ننـدفع بالحماقـة وقصر النظـر إلى كـامب ديفيـد، ثم بالعمـاء، والغبـاء إلى غاشـية الخليج.

وكيف لم تنبئنا غاشية الخليج أنها النطفة الحـرام الـتي جعلت الأمم تتداعى علينا كمـا تتـداعى الأكلـة على قصـعتها، لا عن قلـة فنحن كثر لكننا غثاء كغثاء السيل .

وكيف لم ينبئنا ذلك كله بأن ما يحدث في البوسـنة والهرسـك نتيجـة طبيعيـة لكـل هـذا . وأن البطش والقمـع في الـداخل همـا الوجه الآخر للتفريط في الخارج.

كمـا أن الاستئسـاد الـداخلي ليس إلا محاولـة لإخفـاء وجـه النعامة التي يواجهون به أعداءنا .

في اختبـارات نفسـية لقيـاس معـدل الـذكاء جـاء القـادة في الصـف الأخـير، كـانوا هم الأقـل ذكـاء أو على الأحـرى كـانوا هم الأغبى..

يا إلهي ..

دراسات كهذه تعاملت مع مثل روميـل ومونتجـومرى، أو على الأقل شوارتيسكوف .

ماذا كان يمكن أن تكون النتيجة لو ضممنا إلى الدراسة أحمد الربيعيان، والأمير سلمان، وجل قادتنا .

ومـاذا يمكن أن تكـون النتيجـة لـو ضـممنا إلى عيّنـه الفحص أناسا كالشيخ – بلا فضيلة – إبراهيم سـعدة، الـذي تـرك الصـرب واليهـود، والأمريكـان ليعيـد تقـييم إسـلام إيـران وإثبـات أنهـا هي العدو الأول.

لكن .. إذا شكوت الشيخ بلا فضيلة إلي فضـيلة شـيخ الأزهـر، فلمن أشكو فضيلة شيخ الأزهر حين يشارك في مهرجان المبايعة ؟ أأشكوه لمن بايعه . أم إلى الله الواحد القهار أشكو الكل .

يـا إلهي، إنـه تـاريخ موغـل في الظلم، والظلام حـتى ليقـول الفارابى ساخرا : "سواء قلت الملك، أو الـرئيس، أو اللـه فـإننى أقول شيئا واحدا ".

يا إلهي، إنهم يعبثون بنا عبثا لم يعرف له التاريخ مثلا .

الاستدراج إلى غاشية الخليج والمؤلف الشيطان يجعل موقف كل ممثل موازيا لمصيره، فإن قبل الدور المنوط به اسـتمر على ساحة الأحداث، وإن رفض أطيح به، ثم التهديد بليبيا حـتى ننسـى مـا سـفك من دمائنـا، ونتشـغل بمـا لم يسـفك بعـد، وفي نفس الـوقت تـدور المجـزرة في البوسـنة والهرسـك، لكن المبتـورة ذراعه، والمهدد ببتر الأخرى لن ينتبه لبتر يد يبترونها في البوسـنة والهرسـك، تهديـد ليبيـا غـير كـاف فيضـيفون إليـه إعـادة تهديـد العراق، ذلك كله غير كاف فيشـعلون الجبهـات الداخليـة في كـل وطن مسلم .

كيـف لم أفطن إلى الجـدل الصـاخب حـول قـوانين الإرهـاب والمبايعة إنما يهدف فيما يهدف إلى أن تحول عيوننا عن البوسنة والهرســـك، حـــتى إذا انتهـــوا منهـــا عـــادوا إلى ليبيـــا فشاغلونا بالسودان عنها .

يعبثون بنا عبثا لم يعرف له التاريخ مثلا .

ونعاني وطأة خيبة وتمزق لم نشهدها رغم كل عصـور الخيبـة والتمزق .

ورغم هذا كله لا حاكم لم يحظ بالإجماع .

يـــا إلهي، إن الإجمـــاع الـــذي يحظى بـــه أمراؤنـــا، وولاتنـــا، ورؤساؤنا، وملوكنا وسلاطيننا، إجماع لم يحظ بـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم، ولا أحـد من الخلفـاء الراشـدين . أمـا النمـط المتخلف من الفكر الرديء والأرواح المدنسـة فتتلقى كـل رفض للمبايعـة على أنـه مسـألة ليس لهـا إلا وجهـان، أحـدهما الجنـون والآخر الخيانة.

وكل حاكم يعبدونه من دون الله يؤلهونه ..

بخ لكم ومــرحى بكم، سنصــدقكم، أو على الأخــرى ســندعى ذلك، فلو أفلتت منكم كلمة صدق فليست إلا طُعم صياد يوقع بـه فريسته في حبائله كي يهلكها، لكن لنقبل شَرَكَكُمْ كي نصـطادكم نحن به، لقد قلتم لنا إن الملك فاروق كان لصا، وعبـدا لشـهواته، وأسيرا لملذاته، ولم يخرج في ذلك عن نمط آبائه وأجداده الذين لم يخرجوا عن نمط أسلافهم من المماليك، حسن جدا، أنتم قلتم أيضـا أن جمـال عبـد الناصـر كـان أيضـا لصـا، وعبـدا للـروس الملاحدة، بعد أن تـربى أو أحضـان الصـهاينة، أمـا السـادات وآلـه فقد كانوا لصوص الانفتاح وعبيد الأمريكان .

هذا الكلام لم نكتبه نحن فى صحف المعارضة..

أليس هذا ما كتبه الكتبة الرسميون فى الصحف الرسمية..

ومهما قيل فى حكام مصر فإنه قليـل جـدا بالنسـبة لمـا قيـل في حكام غيرها ..

حكامهم الحاليون ليس كمثلهم أحد؟..

حسنا سنصدقكم، لكن بالله عليكم إن كـانت خبراتنـا مـع كـل حكامنا السابقين أنهم لصوص، كما تقولون أنتم، أليس جديرا بنا أن نضع لحاضرنا ولمستقبلنا آليات القانون والمؤسسات الإرهاب

تحمينا من نهب حكامنا، لتمنعهم من استنزاف الأمة حتى الخراب وحتى الضياع .

حسنا أنتم تقولون أنه لم يكن في حكام مصر قاطبة من هو أنظف من حسنى مبارك، ولا أشجع منه، ولا أعقل منه، ولا أنزه منه، ولا أشرف منه، ولا أعظم منه، ولا أحرص على الديمقراطية منه، حسن جدا، لماذا لا تنتهزون الفرصة إذن يا ولاد الكـــ... كي تسنوا فى عهده من القوانين والتشريعات واللوائح والنظم ما يكفل لنا ألا تتكرر نماذج فاروق، وعبد الناصر، والسادات، وكل الحكام الآخرين الذين اتهمتموهم بالحق حينا وبالباطل أحيانا، لماذا لا تنتهزون الفرصة إن كنتم صادقين، كي لا يحكمنا لص آخر، لماذا ؟

لماذا – يا عبيد أمريكا يا كلاب جهنم – لا تجعلون في آليات قوانيننا ما يكفل عزل الحاكم إن أساء كما عزل الأمريكيون نيكسون .

تتنادى العشائر للقضاء على الإرهاب وعلى التطرف.

لكن محمد السيد سعيد يلقمهم عبر الأهرام حجرا حين تنطق سطوره بما قضت المواءمة أن يكتفي بالإشارة إليه، ليقرر أن الحكومة في مواجهة من تسميمهم بالإرهابيين، لا تمثل الصراع بين الشرعية، وعدم الشرعية بل هو صراع بين عصابتين لا شرعية لأيهما، وبرغم تحفظاتنا فإننا نورد القول .

ويشعل المنافقون النار التي لن تحرق فئة من المجتمع دون أخرى .

ويستمع الحكام لهم ..

ليس الحاكم – أي حاكم – هو المسئول وحده، بل إن هذه الجماعات المجرمة لن تتورع أن تغتال الرئيس – أي رئيس – إشعالا للنيران، وإذكاء للفتنة ولكي تبرر للناس سلوكها الإجرامي .

أجل ... ليس الرئيس – أي رئيس – بمنأى عن الخطر، ولتكن لنا في بوضياف عبرة .

لقد خيل لي إزاء الحملة المسعورة على الإرهاب الحقيقي المجرم أنها نهايات مؤامرة لإعادة ما حدث للسادات .

لم يستح من المجرمين المنافقين أحد وهو يتحدث – حتى في الجزائر – عن رفض الجماعات الدينية للحوار وعن الديمقراطية المسكينة التي يمثلها وزير الدفاع ووزير الداخلية، وأجهزة

المخابرات الأجنبية، مسخ ديمقراطية النظام الجديد التي رفضت رأى الشعب عبر صناديق الانتخابات ولم يحتج ابن كلب منهم على إهدار الشرعية بعزل الشاذلي بن جديد – رئيس الجمهورية – حين أبدى نواياه في الرضوخ لاختيار الشعب

كيف لم نتأمل وكيف لم نتعلم ..

لا إله إلا الله

بأطراف الألسنة نقولها

كيف لم نفكر ولو مرة أن نعطيها حقا .

جزءا من حقها .

بعض جزء.

ولست أنادى بحق يجعل الاستشهاد غاية والحياة وسيلة ..

لست أنادى به رغم أنه حق وأن أسلافنا فعلوه

لست أنادى به، ولو فعلت لبلغ بي الشطط كل مبلغ.

فأنا العطشان، لا أنادى بنهر بل بجرعة ماء .

أنا الجريح لا أطالب النزال بل ما يوقف النزيف .

أنا التائه الضائع لا أطلب الوصول بل بداية الطريق..

ويتردد التساؤل أو أرجاء الكون : ليه؟

وثمة ثقب أسود في سديم الكون، وسيد شهداء أهل الجنة يقول والردى به محدق والمنية في انتظاره : عند الله نحتسب فساد أئمتنا وولاه أمورنا

ثقب أسود التقط الكلمة والمعنى ليحتفظ لنا بها لتنطبق علينا فى كل زمان وفى كل مكان .

صبرا على قضائك لا إله سواك .

لا تبك كالنساء ملكا، لم تحافظ عليه كالرجال .

جّمدت الكلمة الزمن، وصارت علامة ورمزا .

وما ينفك ملكنا يضيع ونحن كالنساء نبكى .

ليه .. ليه، ليه .

قالها أحمد بهاء الدين حين أخبره عائده بما ألم بوطننا العربي من غاشية الخليج ولعله لا يقول سواها لو أخبره أحد بما يحدث فى البوسنة والهرسك .

ليه، ليه، ليه ...

العين بالعبرات تختنق والقلب من فرط الأسى يحترق .

وثمة نزيف في حشايا مخه أولد شللا وعجزا عن النطق سوى أن تنطلق الصرخة كالسنة من لهب الجحيم ليه، ليه فيتجاوز الموقف والحدث ليصبح تساؤلا معلقا على رؤوسنا أو كل ما يعن لنا وما يحدث، ليه، الكلمة الوحيدة التي يستطيع بها اللسان العاجز أو الجسد المشلول أن يعبر عن ألمه، ليه، يصبح الجسد المشلول جسدنا والنزيف في مخنا والعجز في نطقنا والكلمة البائسة واليائسة الوحيدة، التي تستطيع إطلاقها نفثة نار من روح تحترق : ليه.

ثم نروح نبكى كالنساء ملكا لم نحافظ كالرجال عليه، ليه، ثم لا نملك إلا أن نحتسب عند خالقنا وولاة أمورنا .

صبرا على لأوائه لا إله سواه .

***

ذات يوم حاصر لواء أمن مركزي أو حرس وطني آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا بالنسبة لأهل الحكم إرهابيين . وانطلقت الجحافل الظالمة تطفئ نورا سنيا، وتسفك دماء زكية .

وينادي سيد شباب أهل الجنة للصلاة فيأتيه هتاف ضابط بمباحث أمن الخلافة :

- يا حسين صل أولا تصل فصلاتك لا تقبل .

ويشعلون النار حول نساء آل البيت وهم في خيمة جد الحسين صلى الله عليه وسلم، ويعرض عليهم – من لبس تاريخنا الإسلامي سرباله الدامي عليه – أن يخلوا بينه وبين آل البيت ليعودوا من حيث أتوا، لكن تعليمات الرئاسة تأتى بالرفض . فيعرض عليهم أن يخلوا بينه وبين آل البيت ليذهبوا إلى أي مصر لكن الشيخ الأكبر ومفتى الديار يرفعان أمامه لافتة يدينانه بها، وكان المكتوب آية من القرآن الذي أنزل على جده.

" إنما جزاء الدين يحابون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم " "المائدة33"

وخيروه بين الأسر، أو القتل .

وافق على النفي لكنهم رفضوا .

أليس إرهابيا يحارب الله ورسوله ويسعى في الأرض فسادا ؟.

ويظل الإرهابي يقاتل حتى يستشهد ويؤسر آل البيت .

ويصطحب نساء آل البيت وأطفاله لواء تتصدر جبهته علامة صلاة ضخمة، ويتعمد اللواء الوزير أن يسلك طريقا يمر بمصارع الشهداء في كربلاء، وترى السيدة زينب أطهر أشلاء لأعظم شهداء فتهتف.

يا محمداه يا محمداه ..

صلى الله عليك وملك السماه

هذا حسين بالعراه ...

مزمل بالدماه

مقطع الأعضاء ...

يا محمداه .

وبناتك سبايا ...

وذريتك مقتلة

فصبر آل سراييفو فإن مودعكم الجنة .

فصبرا فلستم وحدكم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم سبايا وتقتلون.

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الدكتور/ محمد عباس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد

فلقد تشرفت بعد أن قرأت مقالات سيادتكم أو جريدة " الشعب" على مدار 4 أسابيع وإني قد زال عن قلبي غم وحزن كثير لأني وجدت بعد قراءة مقالاتكم أن الحاكم أصبح (عاري) أمامي من كل الهالات التى تضعها عليه أجهزة الإعلام ممثلة فى (التليفزيون – الكتب- الصحافة ... الخ)

ولكن أسأل سيادتكم سؤالا : ما الذى جعله هكذا (فى العشرين من عمره بالتأكيد كان يحلم بخروج الإسرائيليين فماذا يجعل الحاكم تتغير نفسه بعد توليه الحكم .

وأكتب لك هذه الرسالة بعد أن قرأت الأربع مقالات من كلام سيادتكم .

واقترح على سيادتكم فلماذا لا تقوم هيئة أمانة الحزب بوضع هذه الرسالة فى كتيب صغير ويباع أو يهدى حتى يعرف كل الناس أوجه الحاكم – وذلك لأني أقول لسيادتكم إن بعض الناس حينما يشترون الصحف وينظرون إلى جريدة " الشعب" يستولي الخوف عليهم لماذا ؟ خوفا من السلطات لماذا ؟ لا أعرف .

أما حينما يكون كتيبا صغيرا يستطيع الناس قراءة هذا الكتاب والله ولى التوفيق.

- لمــاذا ؟ مــع أن جيش العــرب أكــبر من جيش إســرائيل بمراحل لا يحارب العرب إسـرائيل بـدلا من الجـري وراء السـلام المزعوم؟
- أود أن أعـرف إن كـان لسـيادتكم كتب مؤلفـة ومـا هي ؟ حتى أستطيع تزويد نفسي بثقافة سيادتكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

أحمد مصطفى أحم سليمان

الشرقية – منيا القمح- حارة شرف

22/5/1992 م

وكأنهم يقولون:

قل هو الرئيس أحد ... الرئيس الصمد ..

لشـد مـا أود، ويـود غـيري أن يجـدوا مسـئولا محـددا مختصـا نسائله فيما يعن لنـا من أمـور وهمـوم، لكن مأسـاتنا الموروثـة – في العالم الثالث – الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، منذ عصر الحاكم الإله، أن الحاكم له الأمر من قبـل ومن بعـد، وأن الحكـام الصغار ما هم إلا تماثيل أصغر حجما للحاكم الكبـير الإلـه . فليس ذلك وزيرا إنما هو يده الـتى يبطش بهـا، وليسـت تلـك صـحافة، إنما هي لسانه الذي يصوغ به وجـدان شـعبه بمـا يصـبه فيهـا من حائق أو أكاذيب .

وجـو كهـذا، يجعـل معارضـة الحـاكم كفـرا ومعارضـة تماثيلـه الصغيرة نفاقا يؤدى إلى الكفر . تصبح الطريقة الوحيدة المقبولة للتعامل مـع الحـاكم هي التسـبيح بحمـده والرضـا بقضـائه . وقـد يحاول الواقع أن يتجمل بأدوات الزينـة، تجملا قـد يخفى الحقيقـة بيـد أنـه لا يلغيهـا، فيظـل البعض مـدركا لهـا متـذوقا مرارتهـا العلقمية .

وفى نظام حكم كهـذا لا يوجـد وزراء ولا محـافظون ولا قـادة وإنما كيانات فقدت ذواتها وأفرغت من محتواهـا كي تحـل محلهـا ذات الحاكم الإلـه يحـرك القلم في أناملهـا.. ولا تقـدم على فعـل لأنها تظنه خطـأ أو صـوابا وإنمـا لأن من بيـده الأمـر شـاء ولا راد لمشيئته.

ومن ثم تكون مواجهـة هـذه الكيانـات الفارغـة عبثـا لا طائـل خلفه، وتتبـدى عبقريـة النص القـرآني حين أرسـل موسـى عليـه السلام لا إلى الشعب المغلوب على أمره ولا إلى عبيد الفرعـون وكهانه بل إلى فرعون ذاته .

ولقــد انقرضــت عبــادة آمــون – رب الشــمس- لكن بقايــا الطقوس ما زالت سائدة في بعض مظاهر حياتنا، ومـا زال كعـك

العيد ينقش على هيئة قرص الشمس عبادة للحاكم الإلـه، يفعلهـا البسطاء دون وعى ويفعلهـا المثقفـون بـوعي أو دون وعى ربمـا لـذلك يلجـأ الكتـاب إلى توجيـه حـديثهم إلى الحـاكم، وحـتى لـو وجهوه لغيره فهم لا يفعلون ذلك إلا توقيا لمخـاطر لا يعلم مـداها إلا الله والحاكم .

من هنـا كـان على المثقفين في العـالم الثـالث على وجـه الخصوص دور أساسي في تذكير الحاكم أنه بشر، في المساهمة في ترقية الحكام والمحكومين لنقلهم من طور البداوة والتخلـف وعبادة الفرد إلى طور الحضارة .

***

لقاء معرض الكتاب

من هنـا كـان انزعـاجي عظيمـا، عنـدما تـابعت أحـداث لقـاء الرئيس بالمثقفين حين وقـف أحـدهم يتـوب إلى الـرئيس ويـنيب إليه، رغم أن الناس يتوبون عن آثامهم لا عن أفكارهم .. وتمـنيت من أعماقي أن يرده الرئيس قائلا : هون عليك يـا أخي فإنمـا أنـا ابن امرأة كانت تأكل القديد بكفر المصيلحة لكن الرئيس لم يقل والمثقفون تابوا.

في خيالى الساذج أن الرئيس حين يحضر مثـل هـذا المـؤتمر إنما يحضر ليتعلم لا ليعلم .

الرئيس يحضر لا لتلمس نبض الأمة فقـط، وإنمـا لاستشـراف آفاق المستقبل من صفوة عقـول الأمـة، أن يعـرف من المثقفين ابتكارات خلاقـة للعقـل المصـري الـذي دمـر خـط بـارليف وبـنى الهــرم. لكن بعض المثقفين أثبت أنـه ابن لبنـاة شـارع الهـرم لا الهرم .

وكان يجب على المحيطين بالرئيس أن يرتبوا اللقاء جيدا وأن توضع أمام سيادته صورة صادقة لتوجهات الرأي العـام ومشـاعر النـاس والأمم ومـا يتكلمـون فيـه ومـا يبكـون من أجلـه – وعلى سبيل المثال لا الحصر – كان يجب أن يكون أمام الـرئيس تقريـر واف مسـتفيض صـادق عن فجيعـة الشـعب المصـري في حادثـة غرق السفينة سالم إكسبريس، حيث كان الشعور القومي مبهظا بحزن ثقيل تحت وطأة الكارثة، واشتعل هذا الحزن غضـبا عنـدما قرأ الناس عن أوجه القصور التى صاحبت الكارثـة، إذ إنهـا كـانت نفس الأوجــه الــتى صــاحبت كـل كوارثنـا، التخلــف والإهمــال الضاربان بجذورهما السرطانية في أعماق نخاعنـا كأمـة وهيئـات

ومؤسسـات وأنظمـة حكم، وقـدره هـؤلاء جميعـا على التـبرير واستصـدار شـهادات بـالبراءة من وهنـا وهنـاك، الكـل غـير مسـئول ولم يكن في الإمكـان أبـدع ممـا كـان، وذلـك العميـد البحري الذي لم ينقذ، ولم يسمح لغيرة أن ينقذ، أعطوه هو الآخر صك براءة. كان قد قـال أنـه لا يمكن الإنقـاذ في الجـو العاصـف، في الليلة التالية في نفس الجو العاصف كانت طـائرة هليكوبـتر إسـرائيلية تنقـذ راكب قـارب مصـريا غـرق أمـام سـواحلها ، فكيف ؟!. منذ ربع قرن أيضـا كـانت إسـرائيل تنقـذ غـرقي إيلات في الليل أمام سواحلنا. ماذا يفعل هذا العميد البحري لو هاجمتنا إسرائيل في ليلة كتلك؟..إسرائيل الآن صديقة ولن تهاجم؟ . إذن يهاجمنا العراق . العراق كسيح بعد مـا شـاركنا من فعـل بـه. إذن ماذا يفعل إن هاجمتنا السعودية، إذا شـاءت أمريكـا ذات يـوم أن تؤدب مصر .

لم يقتصر الحزن القومي علي غرق الباخرة سالم اكسـبريس فقط، فلأن جعبتنا مليئة بالأحزان والآلام استدعي الحـادث الأليم من الذكريات هزيمة يونيو 67 وقصور أدائنا فيهـا حـتى الكارثـة، قصور أدائنا جميعا وعلي رأسـنا الجيش وعلي رأسـه قـواده، أمـا زلنا كما نحن ؟، أكانت صحوة رمضـان صـحوة مـوت واسـتثناء لا يتكرر؟..

كـانت الأسـئلة حـائرة، وكـانت إجابـات السـر عكس إجابـات العلن، فـدفنا الحـزن في أعماقنـا حيـا علي انتظـار حـزن آخـر يستدعيه، وسرعان ما جاء هـذا الحـزن في لقـاء السـيد الـرئيس بالمثقفين في معرض الكتاب حين وقف المؤلف المسـرحي علي سالم فإذا بالرئيس يسأله ساخرا:

- هل أنت قريب سالم اكسبريس؟ .

يا خنجرا ينغرس وئيدا في سويداء القلب.

يا دموعا حصرها القهر.

مـاذا كنـا نفعـل لـو أن المشـير عبـد الحكيم عـامر سـخر من الهزيمة . أكنا نحس نفس نوع الألم ؟ نفس حرقته وعلقمه؟.

آخر ما يمكن أن نتخيل أن نسمع!!.

كـــ: "انتظرنا هم في الشرق فجاءونا من الغرب "!!.

لقد علت أصوات تطالب بإعلان الحداد القومي .

وحين لم تعلنـه الحكومـة أقمنـاه في قلوبنـا .. لكن السـيد الرئيس يجعل من أحزاننا ميدانا للمداعبة كأنه ليس مسـئولا عمـا حدث .

وحـتي لـو لم يكن سـيادة الـرئيس مسـئولا، حـتى لـو لم يكن مسئولا عن سفينة غرقت بالمئـات من أبنـاء وطنـه، من رعايـاه، حتى لو لم يسأله الله – لا عن شاة عثرت بـالعراق بـل عن فلـك غرق في سفاجة – لِمَ لَمْ يمهد له الطريق ويجهز وسائل الإنقـاذ، حتى لو لم يكن ذلك كله فلماذا لم يذكره أحد كبـار صـحفييه بـأن رئيس جمهورية إيطاليا لم يكن مسئولا عن الحفرة التي وقع فيها طفل، طفل واحد، لكنه ترك كل أعباء الرئاسـة – ولسـت أظنهـا هناك أقل من هنا أو أهون – ليقيم في خيمة بجوار الحفـرة يتـابع بنفسه عمليات الإنقاذ..

لماذا لم يقل له الجهابـذة أن علي سـالم فعلا قـريب سـالم إكسبريس، وأننا نحن أقرباؤها كـذلك، وفيهـا دفن لنـا أبنـاء وآبـاء وأخوه ضـاق بهم العيش في بلادهم تحت رعايـة فخامتـه فـذهبوا إلى بلاد ظنوها بلاد إخوانهم فلفظتهم، فركبوا السفينة دون قائمة بأسمائهم، أي بؤس !! لكن سيادته يسأل علي سالم إذا مـا كـان قريب سالم إكسبريس .. فأي بؤس !!

بيد أن ذلك لا يمكن أن يكون خطـأ الـرئيس وحـدة إنمـا هـو يعني بالدرجة الأولي أن من حوله لم ينقلوا لـه الشـعور القـومي بعد الكارثة.

ولا ريب أنهم أخبروه أن ليس في الإمكان إبـداع ممـا كـان، وأن الناس راضون سعداء وأن ما حدث قضاء وقدر .

ونحن لا نواجه القدر ولا نطالب بمنعه، وإنما نطالب بتنزيهـه عن جراء ما تتسم به أعمال بعضنا.

***

علاء حامد اليوم والشيخ الغزالي غدا

وعنـدما وقـف بعضـهم ليثـير قضـية السـفيه لا الكـاتب علاء حامـد، كـان في رد الـرئيس القـول الفصـل، محـاكم أمن الدولـة محاكم عادية رغم ما ينادي به القضاة أنفسـهم من إلغائهـا، حكم الطـوارئ يسـري رغم تعهـد الـرئيس نفسـه ألا يسـتعمل إلا ضـد الإرهاب المسلح .

لم يقف أحد أمام الرئيس ليقول أن ما حدث كلمة حق يراد بها باطل، وإنه كان يجب علي الدولة لكي تثبت مصداقيتها أن تحيل وزير الثقافة إلى نفس المحكمة لمجاهرته بالفحشاء، وأن يحال أيضا وزير الداخلية السابق بتهمة القذف، كان يجب أن يحدث هذا وإلا تحول القانون إلى سكين في يد مجنون، إذ أنه يمكن للحاكم أن يصدر قانونا بإعدام من يمشى في الشارع، لكنه لن ينفذ هذا القانون إلا على معارضيه، لكن أحدا من المثقفين الذين انتقوا للقاء الرئيس لم يقل له ذلك، لم يطرحوا القضية كما كان يجب أن تطرح، ولقد قرأت كتاب علاء حامد كي ألم بأطراف الحقيقة، وهو كتاب اصطلاحا لا حقيقة، كتاب لأنه رزمة من الورق المطبوع، ليس رواية وليس فنا على الإطلاق، لا يخلو سطر منه من خطأ إملائي أو نحوي، ولا تكاد توجد فيه جملة سليمة أو خيال غير مريض، كل ذلك صحيح أجل، ولو حكم عليه الإعدام لما أسفت عليه، وإن كنت أفضل إحالته لمستشفى الأمراض العقلية بدلا من أن يحصل على شهرة لا يستحقها ولعله سعى إليها . كل هذا صحيح أعترف . لكن السلطة استغلته أسوأ استغلال لا لمواجهة الباطل بل لتكريسه، ولم يقل أحد للرئيس ذلك، لم يقولوا أن الأهرام نفسها نشرت أنها أول من وزع الكتاب، ولم يسأل الرئيس أحد لماذا لم تحول الأهرام أيضا للمحكمة، ولم يقل أحد للرئيس أن مدبولى ليس ناشر الكتاب بل موزعا له، تولى بعد الأهرام توزيعه، لم يقل أحد للرئيس أن هذه الملابسات تجعلنا نشك أن الأمر لا يعدو بكثير تصفية حسابات مع ناشر دأب في مختلف العهود على نشر الرأي المعارض، وإن إدارة الأمر بهذه الطريقة قد أعطى للدولة فرصة ذهبية تحقق بها أغراضها، فالحكم لن ينفذ إلا بعد اعتماد الحاكم العسكري الذي قد يتأخر سنوات وسنوات كما يحدث في قضية 18 و 19 يناير، وفى هذه السنوات يظل السيف مصلتا على عنق ناشر واحد كي يسير على الصراط المستقيم للحاكم لا لله، فإذا انحرف عنه اعتمد الحاكم العسكري الحكم، وهذا الجو كله لا يقصد به الناشر وإنما أراد الكهنة أن يكون هذا الناشر عبرة، من سيجرؤ بعد الآن على نشر كتاب قد تفوح من ثناياه شبهة معارضة للنظام؟ .

ومحكمة أمن الدولة محكمة عادية ولم يجرؤ المثقف على مناقشة الرئيس في ذلك . والأزهر يصادر كتبا ليس من حقه أن يصادرها لكن الرئيس يعلم فيلغى قرار الأزهر وليس من حق الرئيس أيضا ذلك . لكن المقصود من ذلك كله أن يكرس الأمر في أذهان الكل أنه لا هو إلا هو، هو الخصم والحكم والقاضي

والمشروع والمانع والمانح والجبار لا نسـأله رد حكم القضـاء بـل اللطف فيه .

ولقـد بـدأت الحكايـة بعلاء حامـد حـتى تحظى من الـدهماء بإجماع، لكن هل نسيتم حكم الفقهـاء ذات يـوم على سـيد قطب بالخروج على الإسلام هل نسيتم ..؟ هـل نسـيتم سـعيد بن جبـير وقبلهم آلاف وبعدهم آلاف . إنه علاء حامد بالأمس ومحمد عباس اليـوم، أمـا غـدا فعـادل حسـين وفهمي هويـدى والشـيخ محمـد الغزالى . فعوا الدرس أن السلاطين : لا يرفعـون سـيف الحـدود إلا لباطل وأن الملوك ما دخلوا قرية إلا جعلوا أعزة أهلها أذلة .

ولست أظن الرئيس مبارك أو أيا من زملائه يغضـب مـنى إذا ما سميت نظام حكمه بمـا سـماه بـه الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلم حيث يقول : " تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكــون ثم يرفعهـا إذا شـاء أن يرفعهـا ثم تكـون خلافـة على منـاهج النبـوة فتكون ما شـاء اللـه أن تكـون ثم يرفعهـا إذا شـاء أن يرفعهـا ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعهـا إذا شـاء أن يرفعها ثم يكون ملكا جبرية ما شاء الله أن تكـون، ثم يرفعهـا إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على مناهج النبوة "

لا أظن الرئيس مبارك يغضب إذا سميت نظام حكمه بالنظـام الجبري، وعليه أن يساعدنا وعلينا أن نساعده كي ينفذ أمـر اللـه، لتعود خلافة على مناهج النبوة فهل يساعدنا المحيطون بـالرئيس أو يسـاعدونا على ذلـك، أم أنهم سـيحملون يـوم القيامـة عنـه ذنوبه .

الحق أنى أتساءل بقلق عنهم، عما ينقلونه له من نبض الناس . إن الـرئيس بشـر يخطئ ويصـيب، لكن لأنـه رئيس فهـو يحمـل أوزاره وأوزار تابعيـة، لـذلك قـال عمـر بن الخطـاب: إن من ولى أمر المسلمين فاجرا فهو فاجر مثله عليه وزر ما فعل.

الـرئيس يحتـاج إلينـا أكـثر من حاجتنـا إليـه لأن عبئـه أكـبر ومسئوليته أمام الله أفدح، وإنه مسئول عمن قربهم واصـطفاهم فخانوا الأمانة ونكثوا بالعهد وكذبوا .

***

قمع الفعل وقمع الفكر

لقد كان دور لواءات وعمداء جهاز الأمن دائما هو قمع الفعل، أمـا الـدور المنـوط ببعض لـواءات وعمـداء الصـحفيين فهـو قمـع الفكرة . أن تسبق أجهزة الأمن في دورهـا، وحـتى في أهميتهـا، ألا تجـرم الفعـل فقـط بـل تحرمـه أيضـا، أن تستأصـل شـأفة المشكلة من جذورها، أن يصبح كل ما يشتم منه رائحـة معارضـة السلطان إثما يستحق العقاب الشديد، وأن توصم كل بطولة بمـا يجلب الخزي والعار والفضيحة، وأن يتهم كل من يدافع عن قضية عامة بالسعي لمصلحته الخاصة، أنه يخفى خلف أغراضه المعلنـة أهـدافا دنيئـة وخططـا أشـد دنـاءة، و يجب ألا يكـل اللـواءات والعمداء من الهجوم عليهم أمام الناس كي يكرهوهم ويحتقروهم .

في كل قضايانا، لا في كارثة الخليج وغـرق سـالم إكسـبريس وطوفان النوباريـة فقـط، في كـل قضـايانا أقـرأ صـحفنا القوميـة فيعتصر الأسى قلـبي متسـائلا : قوميـة ؟ قـد تكـون، لكن قوميـة من؟ ..

قومية العرب أم قوميـة أمريكـا أم قوميـة إسـرائيل ؟ عنـدما أتابع الإذاعات والصحافة الأجنبية أجد أن صحافتنا القومية أشد لنا عـداء وأعلى نكـيرا، وعنـدما تعـرض هـذه الصـحف على الأجيـال القادمة فسوف تجد عناء كبيرا في الاقتناع بأنها كـانت تصـدر من القاهرة لا من تل أبيب .

إزاء تناقضـات بعض صـحافتنا القوميـة فكـرت ذات يـوم في إعداد كتاب كاد أن يمثل للطبع، وفيه تابعت على مدى شهر واحد جهــد الصــحافة الهائــل في تزييــف وعي الأمــة، و في حجب المعلومـات عنهـا وفى طمس الحـق ونشـر الباطـل، وهـالنى مـا وجدت لكنـني اكتشـفت أن جهـدي قاصـر عن الإحاطـة بطوفـان الكذب والتدليس والنفاق، وهـو على أي حـال جهـد لم يحـظ بمـا يستحق من متابعة وتمحيص وتحليل، قد لا يستطيع غير متخصص الإحاطـة بـه، وربمـا لهـذا السـبب بالإضـافة إلى حالـة الإحبـاط القومي الذي نعيشه لم أتابع ما بـدأت، بيـد أنـني أرجـو أن تكـون هذه الكلمة دافعا لمتخصصين لبحث هـذا الأمـر، لدراسـة التطـور الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي لكبار الصــحفيين في مختلــف العهــود، أن يكشــف البحث تنــاقض الآراء والمواقــف، تناقض ما ينشر في نفس الصحيفة .. في نفس اليـوم وفى نفس الأسبوع وفى نفس العام وفى نفس العهد، مقارنـا بمـا نشـر في صـحف أخـرى، وأن يمتـد البحث كي يشـمل مختلـف العهـود ... وباعتبار أن الصهيونية مذهب سياسـي آمن بـه يهـود ومسـيحيون

ومسلمون وملحدون فيجب على الباحث أن يبحث لنا عن كتابنا الصهاينة.

ربما يحدث في عصر غير موبوء كعصرنا، أن تمارس أجهزة الأمن دورها الحقيقي في صيانة أمن عقل الأمة ووجدانها بأن تبحث عن الدوافع الجنائية خلف المواقف الفكرية للصحفيين والصحف، الدوافع الجنائية وليست السياسية أو الفكرية، الدوافع الجنائية والتي تشمل – فيما تشمل الرشوة الصريحة البواحة والعمولة والاختلاس وإهدار المال العام والتربح والتستر والتزوير والكذب، ولا تنتهى إلا ببحث علاقة ذلك كله بالتجسس الصريح المباشر لمصلحة الأعداء، بالخيانة العظمى.

وفى هذا الصدد سأكتفي بنماذج أربعة تعبر خير تعبير عن مشاعرنا كمواطنين عندما تطعننا بعض الصحف وبعض الصحفيين .

***

نور الشريف ... الشريف حقا وفنا ..

عندما قرأت الهجوم[7] على نور الشريف لتمثيله فيلم ناجى العلي حسدت نور الشريف على أعظم وسام ناله في حياته، وكون موضوع الفيلم ضد توجهات المهاجم والكورس الذي ينشد خلفه، فهذا يعنى بالضرورة أنه مع الدين والمنطق والأخلاق والضمير والتاريخ .

أن تنطلق الرصاصة على الفيلم من هناك، يا لعظمته إذن حتى قبل أن أراه..

اللواء إكس يهاجم نور الشريف، يا لسعادة المؤمن بغضب الشيطان عليه وغيظه منه .

الفريق إكس يتهم أحدا بالعمالة والخيانة، يالها من شهادة أمام التاريخ بالبراءة .

المشير إكس يشك في مصادر تمويل الفيلم .

ثقوا إذا إنها نظيفة، وإلا لما شك فيها .

إنه أول فيلم يهاجمه المشير، ولأنني لا أعرف نور شخصيا، ولم يسبق لي رؤيته قط فقد تملكتني الهواجس برهة أن الهجوم على الفيلم بهذه الطريقة بالذات من مستر إكس بالذات، ما هو

إلا نتيجة اتفاق ذكى – حتى الخبث – مع نور الشـريف في صـورة مبتكـرة وجذابـة للإعلان عن فيلم تقاضـى فيهـا المعلن عشـرة أضعاف قيمة الإعلان العادي ..

لو كنت مكان نور الشريف لمـا تمـنيت للفيلم تكريمـا أعظم من هذا .

ولما بخلت على من قام به بما يشاء .

ذهبت لرؤية الفيلم مع صديق، ولست ناقدا كي أقدم نقدا له، كما لا أستطيع اختصار أحداثه أو سرد حكايتـه، فـذلك لا يجـوز إلا إذا جاز اختصار النار واختزال الألم ومقايضة الدم بالحبر .

لن أتحدث عن قصة الفيلم لكنني أكتفي بتعبـير وزيـر الثقافـة نفسـه عن تمـيزه وتقـدم تقنياتـه وارتفـاع مسـتواه الفـني رغم اعتراضه على توجهاته ".

من بدايـة الفيلم حـتى نهايتـه لم أسـمع إلا همهمـات خافتـة لنشيج مكتوم .

بجواري كان صديقي يكاد أحيانا أن يفقد السيطرة على نفسه كيلا يبكى وينوح .

بعد نهاية الفيلم اشتعلت الصالة بالتصفيق ثم انصـرف النـاس صامتين دامعين، ولم تكن دموعهم على بطـل لا يعـرف معظمهم عنه شيئا بل كانت بسبب ذكـرى مـاض لم يمح وذاكـرة لم تنس، كـانت الـدموع على الـوطن، على الخيبـة الـتى نعيشـها، وهـذا بالتحديد ما يهاجم وليس ناجى العلي ولا نور الشريف .. وقال لي صـديقي : إن السـقطة الوحيـدة في الفيلم هي معـاقرة بعض أبطاله للخمر، وقلت له إنه حتى هذه لا أعترض عليها لأن وظيفة الفن الصـادق أن يوقـظ فينـا الـوعي كي نتجنب أخطاءنـا، وهـذه تحسب للفيلم لا عليه، إنه لا يحاول أن يقدم لنا البطـل في إطـار مثالي يجافى الحقيقة، ثم سألت صاحبي بأسى : مـاذا عن حكـام العرب والمسلمين، ومعاقرة الخمر أهون كبائرهم ؟ ولقد كشـف محمد حسنين هيكل في خريف الغضب أن السـادات كـان خبـيرا في الخمور، ونشر كتاب آخر أنه كان يدخن الحشيش .. لكن ماذا عن الباقين؟.. على أي حال فالفيلم ليس قصة ناجى العلي ..[8]

لو لم يذكر ناجى العلي فيه لمـا قلـل ذلـك من قيمتـه مثقـال حبة خردل .

الفيلم يتحدث عن جرحنا الفاغر المفغور، عن فلسطين الــتى ضيعناها، عن عام 48 وهزيمة 67 وحصار بيروت وغزوها وانتظار أهليها لجيوش العرب التى لم تجئ.

الفيلم يتحدث عن العجز العربي والخيبة العربية، يعرض علينـا جروحنا المتقيحة لعلنا نرى، لعلنا نحس ونتحرك ونعالج، أما ناجى العلي فلو استعمل المخرج والمؤلف بدلا منـه شخصـية خياليـة لا وجـود لهـا لمـا اختلـف هجـوم المهـاجمين ولا نبـاح النـابحين .. وليسألهم سائل إن كانوا صادقين مَنْ مِنَ الفلسطينيين يرشحونه ليكون البطل في مثل هذا الفيلم، مَنْ مِنَ الفلسطينيين يرضــيهم أداؤه مَنْ مِنَ الفلسطينيين عنـدهم لا يسـتحق المـوت، من منهم لم يبع أرضـه ويخن وطنـه ويشـتم أمهم مصـر، ولـو كـانت مصـر أمهم حقا فلا أم لهم، لكن مصر منهم براء.

مَنْ مِنَ الفلسطينيين يختارون غير شارون وشامير ؟ .

عندما رأيت الفيلم دهشت لسماح السلطات المصرية بعرضه وتــوقعت أن تحتج إســرائيل عليــه، ولكن لمــاذا تحتج إســرائيل وسـفراؤها بيننـا، منـا، يتقلـدون أرفـع المناصـب، يتبـاكون على البريئة منهم مصر بدلا من إدانة أمهم إسرائيل ؟

الحق إنني بعد مشـاهدة الفيلم وددت أن أرسـل برقيـة تهنئـة لفاروق حسني على موقف صـائب لـه رغم أنـنى أصـدق كـل مـا تقوله نعمات أحمد فؤاد عنه، لكننا قـوم لا تمحـو عنـدنا السـيئات حسنة.

وددت أيضـا أن أشـكر الـرئيس لأن نظامـه سـمح بمثـل هـذا الفيلم، رغم أننى لا أوافقه على شئ من سياسته تقريبا .

عجبت لعرض الفيلم، لكن عجبي قد خـف قليلا عنـدما علمت أن الفيلم لم يصرح به إلا بعد أن رآه أسامة الباز ... وأسامة الباز ليس شيوعيا سافلا، ولا مارقا آبقا مهدر الدم مستباح العرض من الجماعـات الدينيـة المتطرفـة ولا شـيعيا ولا أمريكيـا ولا صـهيونيا كالبعض منا، وأسامة الباز أيضا لا يهاجم أمه مصـر – تلـك الفريـة التى ابتـدعوها والإفـك الـذي أدعـوه أن من يهـاجم خونـة مصـر وبائعى تراثها وماضيها وحاضرها ومسـتقبلها إنمـا يهـاجم مصـر لا يهاجم من يخونوها، أسامة الباز لا يهاجم أمه مصر، وبـالرغم من ذلك فقد صرخ ذات يوم في كـامب ديفيـد والسـادات يشـق قلب الأمة : " هذا الرجل مجنون ولا بـد من وقفـه بأيـة طريقـة " فلم يتجاوز بهذا صرخة قلب مصر الدامي مع محمود رياض حين علق على عار الممارسة السياسية بعد مجد حرب أكتوبر : كان العالم

كله مع مصر لكن السادات كان مع أمريكا : ثم واصل تحليله لمـا حدث من انهيار لمشروع الأمن القومي العربي عن طريق خيانــة الـوطن ... والآن من يجيب عن التسـاؤل : هـل هـاجم محمـود رياض وأسامه الباز أمهما مصر ؟ ... أنا أخمن إجـابتهم : محمـود رياض نعم، لسبب وحيد، هو أنه مات؟؟ أما أسـامة البـاز فطالمـا بقى في السلطة فلا، أما بعد أن يموت فنعم .

نـــور الشـــريف كنـــاجي العلي ليس لـــه ســـلطة، فحلال إذن مهاجمته .

نـــور الشـــريف لا يرشـــو وليس قـــوادا للســـلطة فحلال إذن مهاجمته .

نور الشريف واحد من انضج فناني السينما المصرية وأكثرهم ارتباطـا بقضـايا الـوطن لا يرشـو بمـال ولا يقيم سـهرات حمـراء كعيونهم سوداء كقلوبهم، فلماذا لا يهاجمونه إذن .. هجوما لم ينل معشاره عندما مثل بعض الأفلام التى نختلف معـه في مضـمونها أو قيمتها الفنية .

على أن الصورة تتضح عندما نمزق أستار الباطل عنها، تشـي بجـزء من الحقيقـة فنـور الشـريف لا يهم، ونـاجى العلي لا يهم، وفن السينما لا يهم الـ... شريف الذي يهاجم نور الشريف، ليس مهما أيضا التاريخ ولا الصـدق ولا الـوطن ولا أي شـئ المهم هـو القيام بالدور الذي رسم لهم، الـذي أصـبحوا مهمين – من الهم لا الأهمية- كي يقوموا به، وهذا الدور هو امتداد لـدور جهـاز الأمن، حـــتى إنـــه أصـــبح من الـــواجب أن تحـــدد رتب معروفـــة لبعض الصـحفيين حـتى نعـرف حجم مـا يمثلـون من السـلطة لا من الشعب

والحقيقة أنـني أسـتطيع أن أتخيـل جـزءا من مشـاعر هـؤلاء الـذين يهـاجمون كـل قيمـة نبيلـة في مجتمعنـا، الـذين هـاجموا سـليمان خـاطر وسـعد إدريس حلاوة وإبـراهيم شـكري وجبهـة الإنقاذ وكل حركة في الاتجاه الصحيح، فأولئك قـوم – كفاوسـت – باعوا أنفسهم للشيطان الذي حدد لهم ما يدفعونـه، أن يقومـوا بـتزييف وعى أمتهم وتخـريب وجـدانها ومحـو ذاكرتهـا وتشـويه رموزها وإفقادها الأمل في احتمال الخلاص، في تفتيت الوجـدان الجماعي للأمة حتى تصبح شراذم متناثرة يسهل اغتصابها، وكلما وجد أحد هـؤلاء الفاوسـتيون بـوادر تـوحي أن الأمـة لم تنس وأن الـذاكرة لم تمح، وأنـه مـا زال هنـاك رجـال وأبطـال وشـهداء ومناضلون وتاريخ وفن كلما وجدوا ذلك امتلئوا فزعا ورعبا ، لأن

معنى وجود هذه النماذج أنهم لم يقوموا بواجبهم تجـاه الشـيطان كما يجب، وأنه قد يغضب عليهم فيذهب بهم ليأتي بغيرهم يكــون كم الشر فيهم أكبر ونوعه أعتى .. لـذلك فـإنهم عنـدما يواجهـون النماذج النبيلة بكل هذه الحدة وكل هذا الحماس لا يفعلـون ذلـك كراهة في الأمة فقط، بـل دفاعـا عن وجـودهم ذاتـه، وجـودهم مرتبط بتدمير الأمة فـإن بقيت فيهـا علامـة حيـاة بـادوا، والحـق أننى لا أعتب على من باع نفسه للشيطان فالعتاب أسـمى، ولـو كانا مجـرد خـدم للسـلطان مـا حملنـا عليهم لكنهم خـدم أعـدائنا وأعدائه .. وكل منهم لا يقل بذاءة وسفاهة عن علاء حامد، وكـل منهم أولى أن يكون مكانه، لكن ليبيعوا أنفسهم كيفما شـاءوا ولا عتبى عليهم، العتبى على من يسمح لهم أن يبقوا في مناصبهم .

وثمة عتاب آخر على المثقفين والكتاب والنقاد، فأقـل القليـل منهم من يواجه أما الباقون فيتصرفون كرجال محترمين يتجنبون الخوض في مياه المجـارى القـذرة أو مواجهـة بلطجيـا في ملهى ليلى، لكن مصـر ليسـت ملهى، وهم أنفسـهم مـاذا يفعلـون إذا طفحت مياه المجارى في بيوتهم حتى لتوشك أن تغرقهم ؟ ليس أمامهم إلا أن ينزحوا، عليهم أن يواجهوا، حـتى لـو طـالهم الـرذاذ القذر فذلك أفضل من الغرق.

***

مصطفى محمود .. والنظام الجديد

أخيرا جدا يـا مصـطفى محمـود تكتشـف أن النظـام العـالمى الجديد مجرد طوق جديـد أكـثر إحكامـا يلتـف حـول أعناقنـا، وأن حرب الخليج كانت إحدى حلقات هذا الطوق وفيها كسب أعـداؤنا على طول الخط وخسرنا نحن على طول الخط ؟..

أخـيرا .. أين كنت ؟ أم كنت أحـد الـذين شـاركوا في إحكـام حلقات الطوق؟.. خدعوك فانخـدعت بـأن القضـية قضـية صـدام حسين لا اغتيال الأمة ؟ ..

لا عذر لك ... لا عذر لك ... لا عذر لك ..

***

سعيد سنبل وحرب الخليج

يقول سعيد سنبل، المحرر الكبير في أكبر الصحف المصرية انتشارا – لا احتراما – إنه قابل رئيس القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية الذي سأله عن رأيه في أداء إذاعته أثناء حرب الخليج فأجابه سعيد بأنه أحس أن الإذاعة البريطانية كانت منحازة للعراق .

أخذ الرجل يدافع عن نفسه وعن إذاعته أمام السيد الأستاذ المحرر الكبير بأكثر الصحف المصرية انتشارا – لا احتراما - قائلا : إن هذا انطباع خاطئ سببه أن المستمع لإذاعته قد يتابع بعض الوقت فيستمع إلى رأى وزير أردني أو عراقي مثلا فيتخيل أن هيئة الإذاعة البريطانية منحازة للعراق، بينما لو واصل الاستماع، لو لم يغلق المذياع لاستمع في الدقائق التالية على الفور إلى رأى وزير مصرى أو مغربي وسيكون رأيه بالتأكيد ضد العراق، وهكذا سيدرك المستمع لو واصل الاستماع توازن هيئة الإذاعة البريطانية ..

يا إلهى .

منذ عشرات القرون صرخ اسبارتاكوس أمام جد هذا الرجل : لست حيوانا .

وبعد مرور آلاف الأعوام أحس أننا نحتاج لترديد نفس الحاجة .

كيف لم يدرك المحرر الكبير بأكثر صحفنا انتشارا -لا احتراما - ما في قول العلج الإنجليزى من سخرية ، من استهانة واحتقار ؟

إلا أننى – إنصافا – أعتذر للرجل، ولو كنت مكانه، ووجه إلى سعيد سنبل سؤاله لما انفجرت في الضحك فقط بل لمت من الضحك، وساعتها قد تقع حكومتنا في مأزق فالحكومة البريطانية قد تطالبنا بتسليم سنبل إليها لمحاكمته بتهمة الإرهاب وقتل رجلها ضحكا..

الإذاعة البريطانية منحازة للعراق .

أنا غير مسئول عمن يموت من القهر .

ألم يدرك سعيد سنبل ما في إجابة الرجل من سخرية به وبنا ؟

إجابته قـد تكـون معقولـة لعامـل باليوميـة يجلس على مقهى لاظوغلى أو العتبة، سمع الراديو صدفة ثم جاءه من يطلبه لعمل، فترك المذياع ومضى فلم يسمع الباقي.

وإجابته قد تكون معقولة لو أن من سأله كان معتقلا يجــرون له غسيلا في المخ ...

وإجابتــه قــد تكــون معقولــة لــو أن الســائل نزيــل بإحــدى مستشفيات الأمراض العقلية.

وإجابته قد تكون معقولة لـو أنـه لم يكن من أولئـك الـبرابرة الهمج الذين يسحقون شعبنا في العراق ويستعدون لسحق شعبنا في ليبيا بعد أن أحدثوا ما أحدثوا في الجزائر ليـذكرونا بمـا نسـيه البعض منا من همجيتهم ووحشيتهم إبان احتلالهم لبلادنا.. إن وجه كرومر الصفيق هو نفس وجه تاتشر البشع، وما فعلوه بنا عــادوا ليكرروه مرة أخرى لكن سعيد سنبل يتهمهم بالانحياز للعراق ... فيا للألم .

إجابته كانت قد تقبل لو كان أيا من ذلك .

أمــا أن يكــون هــذا التفســير للمحــرر الكبــير بــأكثر الصـحف المصرية انتشارا – لا احترامـا - المحـرر الكبـير لصـحيفة تملـك – بــالقطع - أكــبر أجهــزة الرصــد والمتابعــة والتحليــل لا للإذاعــة البريطانيـة فقـط، بـل لكـل صـحف ومجلات وإذاعـات ودوريـات ومؤتمرات وهيئات العـالم، وأنـه بحكم منصـبه على الأقـل يقـرأ ملخصا لاتجاهاتها، أن يكون السـائل ذلـك ثم تكـون الإجابـة تلـك، فليس ذلك إلا عنصـرية قبيحـة جعلت الرجـل ينظـر إلينـا جميعـا، حكاما ومحكومين كتابا ومكتومين على أساس أننا نحن الحيوانات التى رفض العبيـد أن يكونوهـا آلاف الأعـوام، على أننـا متخلفـون حمقى بلا عقل وبلا ضمير .

هل قلت إنني أتهم الرجـل بالعنصـرية ؟ لكن أممهم المتحـدة قــد رفعت الاتهــام حــتى عن إســرائيل .. ولا أملــك إلا أن أدمــدم والغيظ ينهشنى : قلة أدب ..

إنني أقول هذا لأنني لا أحمل لسـعيد سـنبل شـعورا معينـا، أو قد يكون بقية احترام قديم، ومشروع اتهام جديد، لذلك أشعر أن من حقه على ومن حق الـوطن علينـا معـا أن أنصـره بـرده حين يخطئ.

لــو أن القائــل آخــر، ولــو أن القائــل الآخــر لمــا اهتممت، أو لكظمت غيظي وبلعت غضــبى وأمســكت . ذلــك أن الآخــر بقيــة

حثالة فرضها علينا زمن رديء تسلط فيه السفهاء وساد السفلة .. وثمة سفيه لم يتورع عن أن يلغ بلسانه القذر في عرض سيده السابق نفاقا لسيدة اللاحق .

ومجادلة مثل هذا الآخر السفيه أو الرد عليه إهانة للعقل والكبرياء والمنطق والشرف .

***

سيدي عبد القادر ..

غرقت زاوية سيدي عبد القادر بعد انهيار جسر النوبارية، وهرع المسئولون وذهب المسئولون ورجع المسئولون وكتب الصحفيون وتم شفط الغضب الشعبي العام قبل شفط مياه الطوفان ثم لاشيء .. ثم نسى كل شئ.

على أي حال يبقى مجال لدور لفنان مبدع كنور الشريف ليقدم الواقعة في عمل هائل يحمله بكل ما في الدنيا من عجز واستهتار وفشل، فقد ظلت القرية والمصانع الضخمة التى تحيط بها تغرق رويدا طيلة سنوات ثلاث، والناس يجأرون بالصراخ للمسئولين دون جدوى، حتى إن مواطنا واحدا كتب مائة برقية لكل المسئولين، مائة برقية بعضها بالطبع للرئيس، وصبيحة الطوفان، عندما بدأت المياه تتسرب إلي أحد المصانع الضخمة جاء من يقوى الجسر إزاء المصنع فقط منكرا آية جاء بها القرآن من ألف وأربعمائة عام أن الخرق يغرق السفينة كلها، وحاول الأهالي – الرعاع السفهاء الجهلاء – أن يشرحوا للمسئولين الجهابذة العلماء أن تقوية الجسر في جزء سيؤدى لانهيار الأجزاء الأخرى، وعندما واصل المسئولون عملهم حاول الأهالي منعهم بالقوة، لكنهم إزاء القوة والبطش والجبروت والثقة الكاملة، تراجعوا، ربما لو لم يتهدم الجسر في ذات اليوم، لأتى الأمن المركزي ليحاصر القرية التى قاومت السلطات، ليستبيحها، لكن الطوفان سبق، وتشرد في العراء خمسون ألفا .. ضاع كل ما يملكون وكانت الخسائر – كما قالت الصحف – نصف مليار جنيه ..

يرتفع الشجن بما يحدث في زاوية سيدي عبد القادر إلى مستوى الرمز، النبوءة، تحذير القدر، لأنهم يا سيدي الرئيس

يقوون الجسر فقط أمـام بيتكم، لكن المبالغـة في ذلـك سـتؤدى إلى انهياره علينا وعندئذ نغرق وتغرقون.

من رحمـة ربنـا أنـه جعـل لنـا من السـم النـاقع دواء، ومن الكوارث عبرة، ومن الخطايا عظة لعلنا نتذكر أو نخشى .

لكننا والطوفان لم يجف في زاوية سيدي عبد القـادر والنـاس في العراء ما زالت دموعهم طوفانا آخر نفاجـأ بصـحيفة محترمـة تقـول : " كـان الـرئيس مبـارك على علم كامـل بكـل تفاصـيل الحادث منذ وقوعـه لحظـة بلحظـة، وبـأدق التفاصـيل حيث فاجـأ المسـئولين في الموقـع بمعلومـات عن أسـباب الكارثـة لم تكن واضحة أمامهم "

يـا إلهى، إن كـان يعلم كـل شـئ هكـذا، إن كـان يعلم السـر وأخفى، فلِمَ لَمْ يسمع جئير الناس هناك طيلة سنوات ثلاث .

إنهم يؤلهون الرئيس – كل رئيس – طالما وجد، فـإن مـات أو قتل انقلبوا على أعقابهم فأخذوا ينبشـون قـبره ويسـلخون أهلـه ويرجمون ذكراه .

وهم بـذلك يـا سـيادة الـرئيس لن يضـروا اللـه شـيئا، لكنهم يضرونك أنت ويضرونا معـك، ديـدان مقـززة تتغـذى على الجسـد طالما هو حي، فإذا مات نهشته ثم انتقلت إلى غيره .

أجل .. كم تسئ إليـك هـذه الأقلام وتيـك الصـحف يـا سـيادة الرئيس، تسئ إليك حتى لتصبح أخطر عليـك من أعـدي أعـدائك، تسئ إليك حين لا تهـدى إليـك عيوبـك، وتسـئ إليـك حين تسـعى لتأليهك.

متى يبرح الخفـاء فنسـمع الـترانيم الكـافرة الـتى تـتردد في صدورهم تنم عنها أقوالهم :

قل هو الرئيس أحد ..

الرئيس الصمد ..

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ / عـادل حسـين رئيس تحريـر جريـدة "الشعب"

تحية طيبة

أرجو نشر هذا التعليق في جريدة " الشعب"

إلى الدكتور / محمد عباس

تعليقا على مقال سيادتكم وكأنهم يقولون (قـل هـو الـرئيس أحد .. الـرئيس الصـمد) خصوصـا على مـا ذكرتـه تحت العنـوان الفرعي " نور الشريف .. الشريف حقا وفنـا " أقـول بـأن الـذين يهاجمون فيلم ناجى العلي ونور الشـريف والـذين سـاهموا بجهـد لإمرار هذا العمل هؤلاء المهاجمين إنما يخشون بأن أعمالا رفيعة المسـتوى قـد تتـوالى يومـا بعـد يـوم فيتحـول الصـمت والـدموع والتصفيق إلى وقفة حادة تؤدى إلى إلغـاء اتفاقيـة الجبـال باسـم المجد العربي فيرحل العدو الإسرائيلي بعيـدا عن الأرض العربيـة المقدسـة وبـذلك يخـر الـذين يهـاجمون الفيلم وأبطالـه أصـدقاء الفكر والمصالح.

يوسف يوسف أبو رية

أمين حزب التجمع

مركز ههيا – الشرقية

ت 565458 ههيا

10/3/1992

إنني وحق جلال الله الواحد القهار ... الله الـذي لا إلـه إلا هو، أشعر أنه لا حـق لي في طعـام أزدرده، ولا في شراب أرتشفه، ولا في سرير أفترشـه، ولا في لحظـة راحة من الهم والكد طالما كان أولئك الذين لا أعرفهم يعانون هذا الذي أسمعه.

" من رسالة إلى خالد محمد خالد"

الجلد بالسياط ... والجلد بالكلمات

كان لا بد – بكل مقاييس الحياة والموت – أن يفقد الحياة ويغادرها متأبطا ذراع الموت إلى يومه الأخير .. ولقد فعل ... بيد أنه ما كاد يقف على حافة المنية حتى قرر أن يعود .. لكن كيف، واحتمالات الموت تحاصره وتدثره ؟؟ سيعود ولو من ثقب إبرة .. سيعود لأن لله عبادا إذا أرادوا .. أراد .. وهو بما وقع عليه يومئذ من ظلم مبين .. وبما ألح به على الله في ضراعة المؤمنين، تبوأ مكانا بين أولئك العباد..

مَـــنْ مـــِنَ القـراء يجـرؤ ألا يقسـم أن هـذا الأسـلوب الفـذ والروح المتدفقة درا خالصا ليس إلا لكاتب كان نسيجا وحـده هـو خالد محمد خالد، حتى من ينعى عليه اقتصـار علومـه على علـوم اللغة والبيـان، الـتى لم يتجاوزهـا إلى علـوم الـروح والمعـاني أن يمارى في أن هذا الأسلوب الفذ أسلوبه .

فلخالد محمد خالد أسلوب فريد ولسان أحلى من العسل يتميز بنكهة لا يكاد يملكها سواه، ولطالما سفح جيلنا دموعا غزارا تحت وطأة معانية وجزالة مبانيه وانسيابه كطوفان هائل من المشاعر يكتسح أدران النفس ويصهر الحديد حتى يتخلص من خبثه .

ولطالما وقفنا معه في خضوع في مجيء أبى بكر وفى فرق بين يدي الفاروق عمر وفى جزع دامع في " وداعا عثمان " وفى انبهار حزين في "رحاب على" وفى مهرجان هائل لأعظم ما حفلت به النفس البشرية في " رجال حول الرسول ".

فترى مَنْ مِنَ الصحابة الأجلاء قال فيه خالد محمد خالد ما صدرنا به مقالنا هذا ؟؟؟..

أبو بكر أم عمر أم عثمان أم على ؟؟؟..

فإذا قلت لك يا قارئي إنه ليس أيا من هؤلاء لابد أن تقفز مخيلتك إلى صحابي عظيم من رجال حول الرسول، وسوف تجهد نفسك في التذكر .. فهل هو مصعب بن عمير أم سلمان الفارسي أم أبو ذر الغفارى أم معاذ بن جبل أم خباب بن الأرت أم أبو عبيدة بن الجراح أم جعفر بن أبى طالب أم سعد بن أبى وقاص أم خالد بن الوليد أم أبو الدرداء أم الزبير بن العوام أم أبو هريرة أم البراء أم سعد بن معاذ أم حتى أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص..

لكنني سأصارحك أنه ليس منهم جميعا ..

ساعتها قد تمس السعادة شغاف قلبك لأن تاريخنا ما زال فيه غير هؤلاء وأولئك من يمكن أن يقال مثل هذا الكلام فيهم..

وقد يطوف بمخيلتك مثلا أحد الأئمة الأربعة..

فإن واصلت اللعبة معك قائلا : ولا هذا..

فلا ريب أنك ستدخل في ميدان رحيب أخر يقف على مفتتحه الحلاج والنفرى.

لكنني سأستبقك قائلا :

ولا هذا..

فلعلك تقول الآن في ملل ونفاد صبر لعله خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز..

لكن كلمة لا سوف تقطع إجابتك فتستدرك لعله صلاح الدين الأيوبي ثم تردف قبل أن تواجه بالإنكار منى :

مَــنْ مـــِنَ اللاحقين يستحق أن يقال فيـه مثـل ذلـك، لكنـني سأظل مصرا على لائى، وعندئذ ستتملك الحـيرة فـأقول لـك كي أسهل الأمر عليك:

إن من قيل فيه ذاك لا يزال بين ظهرانينا حيا..

فإذا ما أردته يسرا ينقلب إلى عسر.. فلعلك تسـائل نفسـك الآن :

وهل بين ظهرانينا في مثل هـذا الـزمن من يسـتحق أن يقـال فيه ذلك، ولعلك تذكر الشيخ محمد الغزالى فيرطب ذلـك نفسـك – برغم كدر شفيف قد يخـامر النفس من موقـف الشـيخ العظيم الجليـل إزاء كارثـة الخليج – لكن القـارئ قـد يؤكـد لنفسـه أن الشيخ محمد الغزالى هو الذي إذا أراد أراد الله، لكنني سأواصـل النفي مستعيذا بالله من نفاذ الصبر قبل أن أبوح بمن قيل فيه ما قيل..

أليس القائل خالد محمد خالد .

ألا يستحق صبرك بل نشوتك أن يصطحبك كما أصطحبك إلى رياض يفوح منها عبير الجنة .

لكنني يا قارئنا لن أشق عليك أكـثر من ذلـك، رغم أن مـرارة طافحة تدفعني لإعادة سؤالك بشرط أن تكـون إجابتـك كنهايـات قصص أجاثا كريستى حيث يكـون المجـرم الحقيقي أبعـد النـاس عن الظنون .

سأقول لك الحقيقـة مهمـا كـانت مريـرة فقـد تجـرعت قبلـك علقمها . فهل تعلم من هو الذي إذا أراد أراد الله؟

إنه ...

أنه...

إنه حسن أبو باشا وزير الداخلية الأسبق ..

والقائل - فقد تكون الصدمة قد أنستك - هو الكاتب الإسلامي الكبير الهائل خالد محمد خالد .

لعلـك يـا قـارئي تتمالـك نفسـك وتحسـن الظن بي، فلا تبـادر باتهامي بالكذب والتشـهير بالرجـل لغـرض في نفسـي أخلـط بـه عملا صالحا بآخر غير صالح . لكنني دفاعا عن نفسي – وقـد كـان أحب إلى نفسي أن أكذب فأتوب – أبـادر فـأقول لـك إن هـذا مـا جاء في تقديم خالد محمد خالـد لكتـاب : في الأمن والسياسـة – مذكرات حسن أبو باشا – من منشورات دار الهلال.

لعلك ترتجف الآن

ولعل دمعا حاضرا يغالب دمعا مضى فتبكى لأنك بكيت، لكنك لم ترشف بعد من كأسك إلا قطرة، فلا تدعني إذن مع حنظل وحدي واقرأ .

" لو كان لي من الأمر شئ لأخذته من سرير المستشفى – بعد أن أبل وعوفي – إلى كرسى الوزارة، ليلقى القدر العظيم به درسه البليغ .."

الحمد لله أن ليس لك من الأمر شئ وإلا لرفعته كما رفع شيخ من شيوخنا من لا يقل سوءا عنه إلى مصاف من لا يسأل عما يفعل .. [9]

فلنواصل قراءة خالد محمد خالد :

" ومن قبل محاولة اغتياله، جاءوا بغلام مراهق في السابعة عشرة من عمره ليشهد بما لقنوه إياه وهو أن اللواء حسن أبو باشا، قام أثناء تحقيقه معه بتمزيق المصحف الشريف، وألقاه على الأرض ثم داسه بقدميه ... أهذا إسلام ؟؟ أهؤلاء مسلمون ؟؟

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان "

لقنوه ؟؟ كيف تجرؤ .. وكيف تستهين بالحقيقة إلى هذا الحد .. دعني يا خالد - وما ناديتك باسمك المجرد قبل ذلك حتى في خيالي – استشهد ببيت شعر ركيك كما استشهدت

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة .. وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم .

كيف لم تذكر أولئك الرهط الذين اضطروا تحت وطأة قسوة تعذيب دونه الموت أن يفضلوا حكما بالإعدام باعترافهم كذبا أنهم هم الذين شرعوا في قتل اللواء حسن أبو باشا .

ولأنك يا سيدي لم تذكرهم – لا أعفيك من ظن السوء – عمدا فدعني أذكرك بهم فإن كنت قد أنسيت فاذكر وإن كنت قد تناسيت فاتق، حفظك الله ووقاك، واعلم أن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فاتق الله يا سيدي واذكر مجدي غريب ومحمد البحيري وفاروق عاشور فهم الذين ألقى القبض عليهم بعد محاولة اغتيال أبو باشا، واعترفوا تحت وطأة التعذيب اعترافات تفصيلية بالجريمة، وأعلن وزير الداخلية عندئذ نجاح أجهزته في القبض على الجناة، وذكر أسماء الثلاثة أمام

مجلس الشعب، لكنه عاد بعد ذلك بنفس اللسان الذي أذاع تفاصيل الاعترافات وتطابق البصمات وتقارير الطلقات وشهادة الشهود وفوق كل ذلك إقرار المجرمين أمام البوليس والنيابة، عاد ليقول بنفس اللسان، الذي لم يتلعثم أن ذلك كله لم يحدث وأن القتلة آخرون .

فهل يمكن لك يا خالد أن تتوقع ماذا يحدث هناك ؟؟ أم أن وقتك مشغول بمجالسة سادة تتوسم فيهم أنهم إذا أرادوا أراد الله ؟؟؟ وما خفت عليك يا سيدي ولا على بقية كتابنا من مجالسة السادة خشية أن يهينوكم لكنني والله خشيت من إكرامهم لكم فتميل قلوبكم إليهم، وأنتم تعرفون أن الشيطان يجرى من ابن أدم مجرى الدم حتى لأخشى أن يكون قد قذف في قلوبكم شرا، وأخشى عليكم أن تنسوا الله فينسيكم أنفسكم، وإلا فكيف استطعت يا سيدي أن تتجاهل ما يحدث هناك حتى لأجدنى مضطرا لأن آتيك منه بطرف، عسى الله يضع فيه هداه.

فما يحدث هناك أيها السيد المرهف الإحساس يفوق أعتى الجرائم ويزرى بأبشعها، إن المجرمين العاديين في المجتمع بالنسبة للمجرمين هناك أطفال أبرياء شئ رهيب ومفزع، فحتى الحيوانات الضارية في الغابة لا تفعل مثلهم، هل تعلم يا سيدي ماذا فعلوا بأولئك الرهط الذي نسيته وبمئات وآلاف غيرهم:

يدخل السجين فيخلعون ملابسه تماما، يضربونه بالسياط والعصي والشوم حتى يدمى جسده ثم يرشون الملح على جسمه ويضربونه من جديد حتى يغمى عليه ثم يلقونه في زنزانة كومة من العظام واللحم، وفى الليل يستدعونه للتحقيق . في معظم الأحوال يكون لا يعرف شيئا وليس عضوا في أي تنظيم ولا مشتركا في أية جناية ويكون . فضلا عن ذلك مستعدا للتوقيع على أي أقوال واعترافات يريدون نسبتها إليه لكنهم يواصلون تعذيبه..

يقول محمد البحيري : منذ الساعات الأولى طلبت منهم أن يكتبوا ما يريدونه لأوقع عليه إلا أنهم اعتبروها إهانة .

وقالوا ... إحنا بنلفق يابن الـ ... ولا إيه ... وبالفعل لم تمر إلا أيام قليلة وتأكدت من الخطأ الذي وقعت فيه، فالتلفيق يقف قزما بجوار ما يفعلونه وأساتذة التعذيب يقفون تلاميذ أبرياء أمام ما يتفننون فيه ويبدعونه.

سوف ندع خصوصية حالة البحيري يا أستاذ خالد لنعود إلى ما يحدث للغالبية العظمى ... ما حدث وما يحدث وما سيحدث .. ما شارك فيه ولو بالصمت رجلك الذي جعلته عبدا للـه إذا أراد اللـه ... فلتكمل معي إذن:

لا يتم التعـذيب بقصـد الحصـول على الاعترافـات .. بـل لأن حيوانـات بشـرية مجرمـة شـيطانية لم تعـد من البشـر وأصـبحت متعتها في التعذيب ... يربطون يد الضحية بقضبان نافذة حديديـة ويربطون اليد الأخرى بمقبض باب يفتحونه تدريجيا بحيث تتمـزق معـه عضـلات اليـدين والكتفين ويصـرخ الضـحية ويصـرخ حـتى يصـاب بالإغمـاء .. مـرة أخـرى يتركونـه حـتى يفيـق ... يأمرونـه بالانصراف فيقوم منهكا يتساند على المقاعد والجـدران وبمجـرد أن يضع يده على إطار الباب يغلقون البـاب على أصـابعه بعنـف مدرب حتى تتحطم عظام يده، يسقط مغشيا عليـه مـرة أخـرى، يحملونه إلى الزنزانة كومـة من العظـام واللحم، ويـأتون بـه في ليلـة أخـرى، ثم يطلقـون الكلاب عليـه، الكلاب مجـازا لأنهـا في الواقـع في حجم الأسـد المتوسـط، تهجم الكلاب عليـه تمـزق جسده، كل هذا والجنود يمسـكون بالسـياط ويضـربونه بهـا كلمـا أسقطته الكلاب أرضا كي ينهض من جديد .

ماذا تفعل الآن في مقعدك الوثير يا أسـتاذ خالـد محمـد خالـد ...؟؟

هـل تتخيـل كم سـوطا يمكن أن تكـون قـد هـوت على جسـد الضحية ريثما تعدل وضعك لإكمال المقال ؟..

أي شعور رهيب يكتنفك لحظة قراءتك هذه الكلمات ..

أأدركتك رحمة الله فاعترفت بخطيئتك وتبت عنهـا ونـويت ألا تعود إليها أبـدا .. أم سـادر فيمـا أنت فيـه تفكـر كيـف سـتجلدني بلسانك وأنـا أعـترف أن اللـه لا يقـل عن السـياط قسـوة .. لكن فلتؤجل ذلك قليلا لأن ضروب التعذيب لم تنته بعـد ... ولنعـد إلى ما كنا فيه .

في يـوم آخـر يـأتون بالضـحية، يتفننـون في طـرق تعليقهـا كالذبائح في متجر القصاب، فمرة يعلقونه من يديـه والقيـود في قدميه ومرة أخرى يعلقونه من قدميه والقيود في يديه، وفى كـل مرة يضعون أثقالا في الطرف المنخفض، بحيث تتمزق عضـلات الجسد .. وعندما ينزلونه بعد أن يفقد الوعي لا يلقونه حـتى على الأرض، وإنمـا على نـوع من السـجاجيد المطاطيـة المحشـوة بالمسـامير، وعنـدما يفيـق يطفئـون سـجائرهم في جروحـه

المتقيحة، ويوصلون أسلاك الكهرباء إلى أذنيه وأنفه وصدره وقضيبه وخصيتيه وشرجه ... يطلقون الكهرباء فيتشنج المعذب وهو يطلق صرخات ألم لا يوصف، ثم يذهبون به إلى زنزانته كومة من العظام واللحم، لكنهم يأتون به في يوم آخر، يقيدون يديه وقدميه وهو منبطح على بطنه يدخلون قطعة من الخشب في شرجه ثم يقلبونه على ظهره ويأتون بأنبوبة من البلاستيك تكون في العادة أنبوبة لقلم حبر بلاستيكي جاف، فيضعونها في الجزء الأمامي من مجرى البول، ثم يشعلون النار في طرفها البعيد ويتركون النار تسرى في الأنبوبة والضحية المسكينة تحاول أن تطفئ النار بالفخذين العاريين فتلسعهما النار فيبعدهما ثم يحاول من جديد وتظل النار تسرى ببطيء حتى تحرق مجرى بوله .

يا أستاذ خالد ... أكاد أسمع رنين صرختك في أذني كفى .

كفى.. كفى.. كفى..

وأنا والله مستعد أن أكف حتى لا أوذي مشاعرك لكنهم لا يكفون ..

فلتواصل معي إذن، ولنقبض بأيدينا على جمر لن نثاب عليه، لأننا لم نقل بكل ما نملك: لا، لم نقلها عالية واضحة مستعدين أن نبذل أرواحنا في سبيل موقفنا ومبدئنا:

عندما يتحول المعتقل إلى حطام بشرى يأتون إليه بأقاربه، بزوجته وأمه وأبيه، يهددونه بأنهم سيفعلون بهم مثلما فعلوا به..

هل تتخيل يا أستاذ خالد منظرهم حينئذ : بم يشعرون وبم يشعر .

على أن الأمر لا يقتصر على التهديد، بل إنه أحيانا يحدث فعلا .

لعلك يا أستاذ جيلنا تنفض يدك من الأمر كله فتخدع نفسك بأن ذلك لا يحدث فعلا، لكنك باليقين إن خدعت نفسك لن تخدعنا، لقد كتبت في جمال عبد الناصر أعظم رثاء ثم كتبت على لسانه رسالة من أعماق الجحيم . أنت اكتشفت إذن أنه حدث في عهده مثل ذلك . ويعلم الله أننا أدنّاه في حياته عندما كنت أنت تكيل له المديح : فما هو الضمان يا سيدي مد الله في عمرك ألا تفاجئنا بعد أعوام برسالة من نفس المكان – أعماق الجحيم – على لسان السادات ومبارك وأبو باشا، فإن كنت ستقولها، إن كنت ستقولها، إن كنت ستدين ما يحدث فأدنه اليوم

تتشفع لك بها أمه محمد صلى الله عليه وسلم عند الله يوم القيامة .

إن الكلمات يا سيدي تتساقط صرعى إزاء ما يحدث ..

ويحك وويحى ... ما قيمة أن نقول :

"أطفئوا في جسدهم السجائر" ..

سطر من أربع كلمات.. لكن ماذا يعنى وكيف يصور حال ذلك المسكين .. كيف ينقل إلى الناس صرخاته وألمه وعذابه ..

" انهم يعتدون عليهم جنسيا "..

سطر آخر باهت .. قد يسقط سهوا أثناء الجيع في المطبعة، وقد تتجعد صفحة الصحيفة عليه فتطمسه .. وحتى إذا لم يسقط أو لم ينطمس .. فماذا سينقل هذا السطر لقارئه .. هل سينقل ذلك الانسحاق البشرى، وهل سيصور حيوانية من يفعلون ذلك ..

إنني أستعمل كلمة " حيوانية" لأننا اصطلحنا على أن الحيوانات هي أحط المخلوقات، ولو وجد شئ أحط من ذلك لشبهتهم به .

يا أستاذ خالد ..

أقسم أنني أشفق عليك أيها الشيخ وأشفق على السنين التى ينوء بها عمرك .. لكنني مكلف من ربى ومن رسولي صلى الله عليه وسلم ألا أسكت عن حق..

فاسمع :

بعد كل هذا التعذيب أو أثناءه أو حتى قبله، يوقع لهم المعتقل على أي شئ يريدون التوقيع عليه، بل لا ينسون أن يحصلوا منه على توقيع على أوراق بيضاء يمكن لهم أن يستعملوها في أي وقت بعد ذلك .

هل تدرك يا أستاذ خالد، هل سمعت وهل قرأت ما نشرته الصحف في الخارج وفى مصر كما نشرته تقارير منظمة حقوق الإنسان عن سبب التمرد في سجن مصري منذ عامين :

" في المساء أغرقت إدارة السجن زنازين المساجين بمياه المجارى، وكان معظم المساجين يعانون من جروح متقيحة بسبب التعذيب، كوت المياه العفنة جروحهم فتصاعدت صرخاتهم طول الليل . في الصباح ثار المعتقلون فأتت كتيبة الأمن بقيادة العميد الشافعي محمد والعميد محمد ربيع . انطلق الجنود بالهراوات والسياط على المساجين واختاروا عددا منهم لإرهاب

الباقين فسحلوهم في السجن وأوقفوا المساجين جميعا طابور ذنب بعد أن قيدت أيديهم وأرجلهم وفتحوا عليهم خراطيم مياه المجارى، مرة أخرى تصاعدت منهم همهمات اعتراض فتصاعد غضب العميد محمد ربيع . واقسم أن يتم اغتصابهم .."

آه يا خالد محمد خالد

آه يا خالد محمد خالد ..

كيف أستطيع أنا أن أواصل وكيف تستطيع أنت أن تقرأ..

لقد بدأت هذه المقالة وأنا في غاية الغضب عليك والحنق منك .. لكنني الآن أحس بأن صرخات هؤلاء المعذبين هي صرخاتي وصرخاتك .. لم يبق الألم في قلبي حتى قدرة على الغيظ منك ... فالألم أعنف من أن يشاركه شريك .. إننا أبناء دين يعلمنا أنه إذا بات في البلدة جوعان فلا مال لأحد .. فما بالك يا خالد محمد خالد إن لم يكن جوعان فقط بل جوعان عريان، السياط تكوي جسده، وأعقاب السجائر المشتعلة تحرق جلده، والكلاب الكلاب تنهش لحمه .. دعك من أنهم يفعلون به ذلك كله لأنه رجل يقول ربى الله .. فحتى لو كان غير ذلك، أيسمح ديني ودينك أن يفعل به هذا؟ إنني وحق جلال الله الواحد القهار، الله الذي لا إله إلا هو، أشعر أنه لا حق لي في طعام أزدرده، ولا في شراب أرتشفه، ولا في سرير افترشه، ولا لحظة راحة من الهم والكد، طالما كان أولئك الذين لا أعرفهم يعانون هذا الذي أعرفه وتعرفه .

هل تسمح لي يا سيدي أن أتوقف عن الكتابة برهة ..

لأنني بسر اسم الله الأعظم أبكى الآن ..

لكنني أرجوك ..

أتوسل إليك ..

أن تبكى أنت أيضا..

فلعل الدموع تذيب من نفسك درنا .. وتنزع من أمام عينيك غشاوة .. ولعلك تعود إلى المصادر الطاهرة التى عببت منها .. وسقيتنا معك شرابا طهورا فتقول كلمتك .. فصوتك عال وقولك مسموع .. فقلها قبل أن تلقى الله ولم تقلها .. قلها .. فإنه ليس ذنب جمال عبد الناصر وأنور السادات وحسنى مبارك وحسن أبو باشا وعبد الحليم موسى فقط إنما هو ذنبنا جميعا .. كلنا ملوث، وكلنا مدان، وكلنا شيطان أخرس ..

إني اقسم أنني أخشى يوم الموقف العظيم يوم يسـألني ربى عما فعلت لأزيل هذا المنكر ..

فبم أجيب ..

أأقول بكيت يا ربى ؟؟ أيعصمني من غضبة الرحمن ذلك ؟

فقلها إذن .. ولا تكتف بذلك بل ادع كل كـاتب ومثقـف ورجـل دين أن يقف معك كي نتكاتف معا ونمحو وصمة عار تطاردنـا أبـد الدهر .. قل لهم إن وصف الكاتب والأديب والمفكر بل الإنسان – وصـف لا نسـتحقه، إذ يحـدث ذلـك ونحن لا نـزال أحيـاء لم نمت دونه .. قل لهم إن لم يقولوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .. قل لهم إنك تخشى أن تكون من أخبر الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم عنهم : دعـاة من جلـدتنا ويتكلمـون بألسـنتنا يقفـون على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها " وقل لهم أنــك تخشــى أن نكون نحن من قصدهم اللـه بقولـه في حـديث قدسـي " لقـد خلقت خلقا ألسـنتهم أحلى من العسـل وقلـوبهم أمـر من الصـبر فبى حلفت لأتبعنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران"

قلها .. وادعنا جميعـا كي نقولهـا معـك نعصـم أنفسـنا بهـا من النار، قلها فالقول أضعف الإيمان فلا تقف دونه، وقبـل أن يجـول بخاطرك أن باعث ما يخطه لـك يـراعى عـذاب حـاق بي .. أبـادر لأعلمك أنني لم اعتقـل بعـد .. ولم يعتقـل أبى ولا أخي ولا ابـني ... ولم يغتصبوا زوجتي أمام عيني .. لكنني واللـه أشـعر كمـا لـو كان ذلك جميعا قد حدث لي .. ألسنا جسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ... ها أنذا أتداعى يا سيدي فتداعى معي ... وادع الآخرين كي يتداعوا ..

إنني أشعر بهذا يا سيدي فبم تشعر أنت ...

بم تشعر وكيف تشعر ...

قل لي ... ألم تحس أبـدا بـأن هـذا اللحم المجلـود لحمـك .. وبأن هذا الدم المسفوك دمك .. وأن النار تشـعل جسـدك أنت .. والشوم تنهال على عظام جمجمتك وتهشـم أطرافـك أنت .. ألم تشعر يا سيدي بأن العرض المثلوم هـو عرضـك.. أم أن الكارثـة أفدح من ذلك كله، وما زلت يا سيدي لا تصدق شـيئا ممـا يقـال . فإن كنت لا تصدق .. فهـل لا تصـدق حقـا .. وإلا فـأي درجـة من درجات الخـداع تمارسـها مـع نفسـك ... ألم يتسـن لـك قـط أن تعرف من أي مصدر صدق ما أقوله ... وحتى إن لم يتسن .. أين بصيرتك ..؟ أين النور الذي اغترفت منه لتنقـل لنـا سـيرة خلفـاء

محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه . أم أقتصر دورك على حمل أسفار هذا النور ولم يمسسك منه قبس .

فإن كنت ما زلت في ريب مما أقول لـك فلمـاذا لا تصـطحب خليلك حسـن أبـو باشـا ليريـك مـا يحـدث هنـاك في معهـد أمنـاء الشـرطة، والأمـاكن الأخـرى الـتى يعلمهـا ولا نعلمهـا .. لمـاذا لم تصطحبه حتى ترى بأم عينك لأي شيطان مريد يقدمون قـرابينهم البشرية هناك . ألم تسـأل مثلا مـا أهـداف محـاولى قتلـه ..؟ مـا الذي دفعهم إلي المغامرة بحياة فقدوها بعد ذلك فعلا كي يقتلـوه .. أي شعور رهيب هائل دفعهم إلى ذلك ..؟ ألم تسأل مثلا كيف اعترف مجـدي غـريب ومحمـد البحـيري وفـاروق عاشـور بمـا لم يرتكبوه وتحت أي وطأة اعترفوا ... أم أن ابن الخطاب فقط هو الـذي سيسـأل عن شـاه بـالعرق عـثرت لكن ابن أبـو باشـا لن يحاسب إلا على ما حدث داخل مكتبه الفخيم وما تظهـره الأوراق الرسمية الممهورة بخاتم النسر أو الصقر . ألن يسـأل عن نظـام للسجون والمعتقلات في طول البلاد وعرضها قضـى في إرسـائه طول عمره وعرضه وعمقه..

هو لم يمزق المصحف ولم يدسه يا خالد محمد خالد ...

قد أقرك على ذلك ..

ولكن .. أمزق المصحف وديس أم لا ...؟؟؟

أعذب الناس وأزهقت الأرواح وانتهكت الأعراض أم لا ...

أحـدث ذلـك كلـه في مؤسسـة في جهنم أم المـريخ أم في مؤسسة تدرج فيها خليلك وربيبك وصفيك من أدنى المناصب إلى قمتها ؟.. وكان يعلم دائما – إلا إذا قررنا التخلي التام عن عقولنـا – بكل تفاصيل ما يحدث ..

ليس مهما إذن يا سيدي أن يكـون فعلـه بيديـه .. على الأقـل لقد عرف .. ومنذ عرف سيسأل سؤال الشريك .. وستسـأل أنت أيضا يا خالد محمد خالد سؤال المتستر، ولعلى معك يا سيدي إن لله عبادا إذا أرادوا أراد، لكنني لا أظنـك أنت ولا أنـا ولا هـو منهم فلعلك توافقني أنت أيضا أن للشيطان عبيدا إذا أراد أرادوا ..

فإن كنت تعترف أن هذا التعذيب حدث ويحدث .. فكيف هـان عليـك إذن أن تصـف أحـد شـهوده – إن لم يكن سـدنته – بـذات الألفاظ التى وصـفت بهـا الرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم وأن تمتدحه بذات الكلمات الـتى امتـدحت بهـا صـحابته الـذين شـادوا بقـرآن اللـه وكلماتـه عالمـا جديـدا يفيض نضـرة ويتـألق عظمـة

ويتفوق اقتدارا .. كيف هان عليك .. كيف هانوا عليك .. كيف هُنّـا عليك .. وكيف هانت عليك نفسك.. أم أنك ارتضيت يا سـيدي من الحكمة بـأهون أسـبابها .. كشـعراء السـلاطين وأدبـائهم، مـا بلـغ قصارى جهدك سوى القدرة على مدح وذم دون أن يغير ذلك من دخيلة نفسك شيئا.. لا يزيد ولا ينقص منها شيئا ..

أعوذ بالله من أن تكون كذلك ..

فلكي لا تحرث في البحر عليك من هنا أن تبدأ ..

فتب إلى الله توبة نصوحة .. وأعلن .

أما أنت يا حسن أبـو باشـا فـأنى واللـه لا أعلم إلا طرفـا ممـا فعلت، أقله ما قلته أنت على نفسك وأغلبه مما سـمعت عنـك .. الباقي أنت تعلمه والله يعلمه .. وعنه ستحاسـب .. ستحاسـب .. ستحاسب ... والله لو أنك مت ثم بعثت حيا ثم مت مائة مرة لما بلغت أقصى أماني محبيك لك إلا أن تسبق رحمة الله عليك عدله فيـك .. واعلم أن هنـاك من استشـهد في سـبيل اللـه تحت لـواء الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دخـل النـار لأنـه مـات وللخلـق في عنقه حق ... وإنني لأرجو ألا تكون ممن سيستغيثون برسـول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فيعـرض عنـك وهـو يقـول بعد أن يرى ذنوبك معلقـة على أم رأسـك : لا أملـك لـك شـيئا .. وإني والله لأظن المادح لك واقفا بجانب باب بجهنم يقذفك فيها، وأنه يضيع عليك فرصـة لا يـزال أوانهـا أمامـك بـأن تقضـى بـاقي عمرك تائبا عما اقترفت يداك ومقـرا بـه، بـدلا ن أن تضـيع بـاقي عمرك في تبرير الخطأ والدفاع عنه، ودعني أصـارحك بانطبـاعي بعد قراءة ما خطت يداك، وهو أن ما فعلته – وما كتبه خالد فيـك – لا يمكن أن يكون صحيحا إلا إذا كان جمـال عبـد الناصـر وأنـور السـادات وحسـنى مبـارك آلهـة من دون اللـه وأنـك بكتابـك هـذا تحاول إقناعنا بأنك كنت لهم التواب الأواب وأن مقياس الصواب والخطأ في حياتنا مرهون بطاعتهم لا بطاعة الله الواحد القهـار . فكتابك في مجمله يكاد يكون مسوغات رسمية لطلب تقدير أكبر من السـلطة الحاليـة، لقـد أخلصـت لكم، فاخلصـوا لي، أحببتكم فأحبوني، قدرتكم وخدمتكم قويا فراعوني ضعيفا، والكتاب جـدير بذلك فعلا .. جدير أن يكون مسوغات إعفائك من النار بشرط أن يكـون حمـزة البسـيونى والنبـوي إسـماعيل وإبـراهيم سـعدة هم حراسها وجـدير بـأن يـدخلك الجنـة، على أن يكـون يوسـف والى وكمال الشاذلي وأنيس منصور هم خزنتها.

جريدة الشعب ترفض نشر رد أبو باشا

على مقال هاجمه وتناوله بالتجريح[10]

تلقت الأخبار هـذا البيـان من حسـن أبـو باشـا وزيـر الداخليـة الأسبق ردا على مقال تناوله بالتجريح نشر في جريـدة الشـعب . ونظرا لرفض جريدة الشعب نشـر الـرد رغم أنـه حـق قـانوني .. فقد لجأ أبو باشا إلى " الأخبار" يقول الرد :

نشرت جريدة الشعب بعددها الصادر في 2 إبريل سنة 1991 مقالا بقلم د. محمد عباس بعنوان رسالة إلى خالد محمد خالــد – وقد نشر المقال على صفحة كاملة متضـمنا تعقيبـا على التقـديم الذي قدم به الأستاذ الكبير خالد محمد خالـد لكتـابي الـذي صـدر أخيرا عن دار الهلال بعنـوان " في الأمن والسياسـة" ولقـد رأيت أن يقتصــر ردى على النقــاط التاليــة – لعلهــا تكفى لكي يــدرك القــارئ الكــريم أين الحقيقــة وأين الزيــف – وأين الحــق وأين الباطل .

أولا : عمد كاتب المقال المشار إليه أن يكرر ثانيا ذلك الادعاء الخبيث والكاذب الذي ردده البعض ممن ينتمون إلى تيار إرهــابي بعينه – بعد أن نشرته جريدة الشعب على لسان شاب غرير كـان من بين المتهمين في قضـية تنظيم الجهـاد الـذي قـام بمـؤامرة أكتوبر 1981 – ويلاحظ هنا أن النشر في جريدة الشـعب تم بعـد أحداث المـؤامرة بـأربع سـنوات أو يزيـد خلال عـام 1986 وكـان مضمونه أن هذا الشاب قد استحضر لمكتبي وقت أن كنت وزيرا للداخلية أثنـاء التحقيـق معـه عن دوره في أحـداث 1981 وأنـني انفعلت عليه ثم أمسكت بالمصـحف الشـريف ومـزقت صـفحاته وألقيته علىالأرض " والعيـاذ باللـه " . وبـالرغم من أنـني نشـرت تكذيبا لهذا الإدعاء المجنون بجريدة الشـعب في حينـه، ثم كذبتـه ثانيـا أمـام المحكمـة الـتى حـاكمت المتهمين بمحاولـة اغتيـالي والذين أطلقوا على أنفسهم مسمى " الناجون من النار" بعــد أن تردد أن أحد دوافعهم للإقدام على تلـك المحاولـة هـو مـا نشـرته جريـدة الشـعب على لسـان ذلـك الشـاب الغريـر، هـا هي نفس القصة تتكرر مرة ثانية .. وفى جريدة الشعب أيضا .. " هل أضــع

علامة اسـتفهام أم علامـة تعجب " أم أضـع العلامـتين معـا وهـل صدفة أم أن التكرار ينفى عنها صفة الصدفة ...

الأخ الأستاذ عادل حسين

دعونا نعمل شيئا من العقل والتدبر كما وجهنا ديننا الحـنيف – فيمـا اشـتمل عليـه هـذا الادعـاء المجنـون من افـتراء خـبيث ومقيت - ولعلـه من المناسـب في البدايـة – لمجـرد التـذكرة – والذكرى تنفع المؤمنين – أن نتلو الآية الكريمـة الـتى تقـول " يـا أيها الـذين آمنـوا إن جـاءكم فاسـق بنبـأ فتـبينوا أن تصـيبوا قومـا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " صدق الله العظيم

1- مـاذا كـان شـأن مصـدر هـذا الادعـاء المجنـون في قضـية الجهاد ؟ فقد كان من بين المتهمين الهامشيين الـذين وردوا في ذيل قائمة الاتهام .

أفهم ويفهم معي كل صـاحب منطـق ولـو بسـيط – وكـل من تجرد من الهوى – أن من يستقدم ليقابل قيادة عليا على مستوى وزير الداخلية وتهتم هذه القيادة بمقابلته في مثل تلـك الظـروف – أن يكـون هـذا الشـخص زعيمـا للتنظيم أو على الأقـل قيـادة مـؤثرة في توجيهـه وحركتـه - فـإذا كـانت الحقيقـة كمـا يعرفهـا الجميع تؤكد أنني لم أقابل أي متهم في هـذا القضـية سـواء كـان قياديا أو غير قيادي . ويلاحـظ هنـا أن أي متهم آخـر لم يـذكر أنـه قابل وزير الداخلية في جميع مراحل التحقيق وبعده – فلماذا إذن هذا الشخص بالذات مع تفاهة دوره كمتهم في تلـك القضـية ؟ ألا يقودنـا قليـل من التفكـير والتـدبر كقيم إسـلامية رشـيدة – إلى سذاجة هذا الإدعاء وكذبـه .. بـل ألا يؤكـد أنـه كـان مجـرد ادعـاء خبيث لمجرد التشهير .. وإذا كان نشره قد تم بعد تحقيقـات تلـك القضية بما لا يقل عن أربع سنوات – ألا يمكن أن يقودنا ذلك إلى أن مثل هذا الادعـاء في ذلـك التـوقيت المتـأخر – وقبـل محاولـة اغتيالي بشهور قلائل، له ارتباط وثيق بتحريض أي مجموعـة غـير مسئولة للقيام بمثل تلك المحاولة ؟ ومن هنا فإنني أكـرر ثانيـا " هل نضع علامة استفهام، أم تعجب أم الاثنان معا ".

2- وإذا افترضنا جدلا – وهو ما لم يحـدث - أن هـذا الشـخص والـذي ورد اسـمه في ذيـل قائمـة الاتهـام كمتهم هامشـي – قـد استحضر أمامي كوزير للداخلية – فما هو المبرر أو الـدافع الـذي يدفع وزير الداخلية .. وهـو بكامـل سـلطاته أن ينفعـل من شـاب مراهـق إلى الدرجـة الـتى تدفعـه للإمسـاك بالمصـحف الشـريف

وتمزيقه ولماذا ؟ وما الهدف والنتيجة المطلوبة ؟ ومرة ثانية أين التفكير وأين التدبير كقيم إسلامية رشيدة .

ثانيا ما تضمنه مقال د. محمد عباس عن دوري السياسي من ادعاءات وتشهير.. فإنني أفضل هنا أن أترك المكان ليرد عليه أحد أقطاب المعارضة السياسية وأبرزهم شأنا – وهو المرحوم مصطفى شردي رئيس تجريد جريدة الوفد السابق – وقد نشر رحمه الله في جريدة الوفد يوم 7 مايو 1987 ما نصه الآتي "لقد كنت أحد الذين اختلفوا مع حسن أبو باشا وبلغ الخلاف أقصى درجات الحدة – غير أن الإنصاف يلزمني بذكر حقيقة أعرفها عن الرجل الذي لم يعد صاحب مقعد أو سلطان، وهى أنه كان أول من رفع شعار الحوار مع الجماعات الإسلامية، وأول من قال أن القوة لن تقمع الرأي، وأن العصا لا تصلح أبدا للحوار، وإنما يقارع الرأي بالرأي وتواجه الحجة بالحجة، وهذا هو السبيل الوحيد للإقناع وقد احتضن أبو باشا هذا الشعار الجديد الذي اختفى تماما من حياتنا السياسية منذ قيام ثورة يوليو قبل ثلاثين سنة ".

ثالثا : إذا كان الله سبحانه قد أراد برحمته الواسعة ما أردته لنفسي تضرعا إليه في محنتي الصحية بعد محاولة اغتيالي .. فما وجه التهكم على هذا المعنى الذي صال وجال حوله كاتب المقال المشار إليه منتقدا الأستاذ الفاضل خالد محمد خالد- يكفيك يا سيدي أن تعرف بجانب ما ذكرته أنت بقلمك عن تلك الصفات العظيمة والتاريخ الناصح اللذين يتمتع بهما خالد محمد خالد أنه لم يكن في حياته متخاذلا أو متراجعا عن رأى حر يبديه أو متأثرا بهوى أو مصلحة فيما يقوله ويعلنه – ولعلك تعرف أنه كان في مقدمة من تصدوا علنا في مؤتمر عام لجمال عبد الناصر – وهو في أوج قوته وسلطانه – مدافعا عن الديمقراطية ومنتقدا كل انتقاص منها.

وفى النهاية فإن بيني وبينك يا سيدي من يعلم السر وأخفى وحسبي الله ونعم الوكيل .

حسن أبو باشا وزير الداخلية والحكم المحلى الأسبق[11]

ما بين معسكر دافيد وحظيرة مدريد

إنهم كقطيع من الغنم وإننا الذئاب، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حين تنفذ الذئاب للحظيرة ؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شئ، وإلى هذا المصير سيدفعون ..

من بروتوكولات حكماء صهيون

يلح على التساؤل : لماذا يكتب الكاتب ؟ ..

أتفريج هم وتفريغ غم؟ ..

أم يكتب كما يكتب في كل الدنيا ليؤثر ويتفاعل فتتقدم عشيرته وتعلو أمته.

أم يكتب لحكام لا يقرءون كما وصفهم قاهرى: موشى ديان، فإذا قرءوا لا يفهمون فإذا فهموا لا يفعلون، ولعلى أزيد عليه أنهم إذا فعلوا لا ينجحون، إلا إذا فعلوا عكس المناط بهم تماما تماما .

أم أكتب لأمة حوصرت باليأس الأسود عندما حصروا اختياراتها في إطار وضيع وآمالها في غايات بائسة ووسائل تعيسة ..

عندما يكون الخيار بين شرب المياه مختلطة بمياه المجارى والمياه ملوثة فقط فالأخيرة نعمة، وبين التشرد وسكنى المقابر فالثانية أمل . أما ما بين الهزيمة والخراب أو الاستسلام لأعدائنا فالاستسلام نصر علينا أن نسبح لحكامنا حمدا على إنجازه، كأنهم لو لم يوجدوا لكانت الهزيمة أشد والخراب أشمل..

لكن من قال أن هذه الخيـارات وحـدها كـانت هي المفروضـة علينا، أقدر مقدور، أم خيبة وحماقة وخيانة وتخلف..

ماذا نفعل للمقامر الذي قامر فخسر فأخذ يبيع ما يملك حـتى حل به وبعشيرته الدمار ثم راح يتساءل متبجحا ما هو البديل .

ومـاذا نقـول للمـدمن الـذي أدمن حـتى حـل بـه الخـراب ثم يواجهنا مستنكرا جهلنا بالظروف والأحوال صارخا ماذا أفعل ؟

كان البديل ألا يفعل.

وبات البديل ألا يستمر .

لقد قـُدْتُـــمْ سـفننا وتـوليتم حكمنـا : اربطـوا الأحزمـة على البطون فالوطن في خطر : ورحبنـا، لا يتكلم أحـدكم عن الحريـة فالوطن مستهدف : فما رفضنا، سنلبي لكم كل مـا تريـدون بعـد النصر فما استعجلنا، لا صوت يعلو على صوت المعركـة، فحاذرنـا حـتى من صـوت وجيب قلوبنـا وتـردد أنفاسـنا، إننـا ننشـئ لكم مشـاريع ضـخمة سـتبدو آثارهـا مـع المسـتقبل، سـنبنى المصـانع ونصنع الصـواريخ ونقـوى الاقتصـاد ونقنـع العـالم بعدالـة قضـيتنا، فأخذنا ندعو الله أن يكلل بالنجاح عملكم

ثم فجأة قُـدْتُـمونا كـالخراف إلى كـامب ديفيـد وكالنعـاج إلى مدريد..

أين وعودكم ؟ أين ما اتفقنا عليه ؟ أكنتم تخدعوننا ؟ تكـذبون علينا ؟ ..

أم أنكم أنتم الآخرين خـدعتم، كـذبوا عليكم، فـإن كـان ذلـك، ماذا يضمن لنا أنهم لن يخـدعوكم في مدريـد أو واشـنطن أو تـل أبيب.

فلنقل أننا نثق فيكم، في سلامة نواياكم، في صـدق حـديثكم، لكن النوايا الطيبة وحدها قـد تفـرش الطريـق إلى جهنم، وكلمـة الحق قد يراد بها الباطل، خاصة في مجتمع درج على أن الحكـام ومن في بلاطهم من كـل وسـائل الإعلام والإعلان لا تسـتمع من الشعب إلا للهتاف، ولا تقرأ لـه إلا برقيـات التأييـد، ولا يصـلها من مشاعره إلا الامتنان، أمـا المخـالفين والمعارضـين، فهم أغبيـاء لا يفهمون ومن لا يرون رأى الحاكم ليسوا إلا مارقين خونة، أعـوان لأعداء البلاد، ثم أنهم فوق كل هذا، خـارجون على الـدين، كفـرة، وهم يسـتحقون الـرجم لـولا أن رحمـة جلالـه الملـك – فخامـة الـرئيس – جـل شـأنه لا عدالتـه – هي الـتى تحميهم من فتـك الشعب بهم .

مـــا يـــدريكم أنكم على صـــواب، من أين جئتم بهـــذا اليقين كلـه وهـذه الثقـة كلهـا، وحـال الـوطن يسـوء كـل يـوم، والأمـل يتقلص، والبلوى تعم، أم لعلكم تصدقون استفتاءاتكم وانتخاباتكم وصحفكم.. بالرغم من أن كل ذلك قد ارتبط في أذهـان رعايـاكم بـالتزوير، بالرغبـة في إخفـاء حقيقـة واقعـة لا يرضـى السـلطان عنها، بالرغبة في استبدالها بحقيقـة أخـرى مزيفـة، ولأنهـا مزيفـة فإنهـــا تبحث عن وثيقـــة، كعقـــد زواج زائـــف يقي من الاتهـــام بالـدعارة، أو شـهادة من مصـحة عقليـة بـأن من يحملهـا غـير مجنـون، وهى شـهادة لا يحمـل العقلاء مثلهـا . ورغم ذلـك فـأنتم تعتمدون نتائجها وتتصرفون على أساسها وتبنون حساباتكم عليها فكيف يكون أي من ذلك صحيحا وقد بنى على وهم وكذب.

تسألوننا الآن ما البديل ؟

أنتم الذين تسألون ؟

فيم كان ما مضى إذن ؟

وكل هذا القهر والبطش والجبروت لم احتملناه . والذل أيضـا ونحن نسير خلف ألويتكم مغمضي الأعين موصـدي الآذان مغلقي الأفواه، على أمل أن ترفعوا الرايـة وتحققـوا النصـر، ولكننـا حين فتحنا الأعين وجـدناكم في القـدس وفى مدريـد، لا أسـرى – وإلا صبرنا واحتملنا واحتسبنا وواصلنا الجهاد – وإنما دعاة نظام جديـد يكشف لنا كم كنا من قبل أغبياء وحمقى .

أنتم انهزمتم من داخل أنفسكم، بعد أن انكسـرتم في سـاحة الوغى، فكيف يمكن أن نرجو منكم فلاحا .

ما هو البديل ؟

البديل قلناه ومازلنا وسنظل

البديل أن ننتصر من داخلنا، أن نملك إرادة النصر .

أن نتقدم إلى الإسلام ونقدم عليـه، إسـلام محمـد صـلى اللـه عليه وسلم لا إسلام فقهائكم . كلكم يدعى تطبيق الشريعة لكننـا نتساءل هل هي شريعة فهـد أم مبـارك أم النمـيرى أم صـدام أم الصــباح أم ... أم ...... أيهــا المقصــود إذن ؟ كـل منكم ســوف يقسم أن الإسلام شريعته وسوف يفتى مفتيـه أنـه على صـواب، فأي شريعة ؟ الشريعة الـتى أرسـل بهـا محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم أم الشريعة التى يرسل بها بوش وبيكر ؟؟

ما هو البديل ؟

البديل هو تحقيق الأمن العـربي والإسـلامي، لكن : هـل يمكن تحقيق الأمن العربي دون قـوة ؟ وهـل يمكن تحقيـق القـوة دون وحدة ؟ هل تعتقـدون أن الشعوب العربيـة والإسـلامية هي الـتى تعرقل الوحدة فيما بينها ؟ أم أن حكامها هم الذين يعرقلون هـذه الوحـدة .والبـديل كـان ألا نهـدر مـا أهـدرناه من مشـاريع الأمن العـربي، وإهـدارها كـان خيانـة، والحكم ليس لي وإنمـا لمحمـود رياض في مذكراته الفاجعة .

وتسألون ما البديل

البديل كان الوحدة، فإن لم نسـتطع فتقويـة الجامعـة العربيـة حـتى تـؤول إلى دولـة عربيـة واحـدة تسـعى للم شـتات الـدول الإسـلامية في دولـة إسـلامية تتقـدم العـالم وتقـوده بحضـارتها وسماحتها، فهل سـعيتم لهـذا أم عجـز الحكـام بسـبب الجامعـة، وهل اسـتعملت لتجنب الفرقـة والانقسـام اقترابـا من يـوم نتحـد فيـه، أو حـتى لتجنب الكبـائر ... أم اسـتعملت لتحليـل المحـارم، وطالما وافقت الهوى فأمرها مطاع، وإلا فـإن أغـواتكم يطـالبون بإلقائهـا في النيـل أو في الفـرات من أجـل إسـرائيل وأمريكـا وكامب ديفيـد .. وإلى من فعلـوا ذلـك، نريـد أن نصـدقكم، لكن : أنصـــدق كلامكم اليـــوم أم كلامكم بـــالأمس ؟ أم نلعنكم اليـــوم وأمس ؟؟

وتأتون اليوم تسألون ما البديل ؟

ماذا أقول ؟

البديل ما نادى به حكماء العرب وحكامهم العـرب منـذ أعـوام قليلـــة، مـــا انبنت شـــرعية اســـتمرار حكمكم على الســـعي في سبيله .البديل هو ما أوصيتم به واستؤمنتم عليه واستخلفتم فيـه، وعندما تواجهوننا الآن بالصلف كله، والاحتقار كلـه، والإدانـة كلهـا لأننا حمقى متخلفـون لا نفهم النظـام الجديـد ولا نسـعى للتخلص من وحشيتنا كي نتحضر، عندما تلعنونا وتسـفهوننا من أجـل ذلـك فإنكم في ذات الوقت تلعنون آباءكم وتسفهون أسلافكم .

البديل كان ألا نهدر ما أُهدر .

البديل كان الالتزام العربي الإسلامي فالعروبة والإسـلام يجب أن يترادفا لا أن يتعارضا، ليس اختيارا بشـريا من حقنـا أن نختـار غيره أو ننصرف عنه، لأنـه تكليـف إلهي . البـديل كـان ألا تهـدروا طاقتنـــا في صـــراع مصـــطنع بين العروبـــة والإســـلام وبين فـــرق الإسلام المختلفة رغم أنهـا كـانت علاقـة الجسـد بـالقلب والقلب

بالجسد، لكنكم أغرقتمونا في صراعات هدت قوانـا والأعـداء من حولنا يضحكون منا يتلمظون وينتظرون في مدريد .

البـديل كـان أن تتغـير وسـائلنا لتحقيـق نفس الغايـات لا أن نمارس نفس الوسائل لضد ما كنـا نصـبو إليـه، وبالنسـبة لمحـور قضايا العالم العربي والإسلامي قضية فلسطين فثمة اختيار قديم كنتم تطرحونه علينـا فنقبلـه على مضض، وهـو أنـه لا مكـان في فلسطين إلا للفلسطينيين مسـيحيين كـانوا أو يهـودا أو مسـلمين فهل اسقط هذا الاختيـار عمـدا أم نحن سـقطنا سـهوا وحماقـة . ولماذا لم يطرح اختيار آخر يقـول أن فلسـطين أمانـة أعطاناهـا سيدنا عمر بن الخطاب ولن يقر لنا قرار حتى نـودع الأمانـة حيث أودعت. أم أن دماء مئات الآلاف وذل الأحياء وهوان السنين وثـأر الله سيذهب سدي .

هـذا الـذي أقولـه الآن : أنحن ابتـدعناه أم أنتم القـائلون، كـل أحمق يدعى اليوم أننا كنـا بـالأمس حمقى : ألم يشـارك فيـه بـل ويزايد عليه.

وبعد هذا كله تسألون ما البديل ؟

البـديل أن نـدرك أن النظـام العـالمي الجديـد ليس إلا قناعـا جديدا لوجه قديم، ألا وهو وجه أكثر الحضارات إجراما واسـتكبارا في التـاريخ البشـرى، وجـه الحضـارة الغربيـة، وأن نظامنـا الإسلامي هو الذي عليه التصدي لهـذا الإجـرام وعليـه أن يوقفـه، إن كتاب الغرب أنفسهم يشهدون بـأن هـذا النظـام الجديـد ليس سـوى أكـثر أوجـه التميـيز العنصـري بشـاعة، وليس إلا تشـريفنا بالسماح لنـا أن نمسـح أحـذيتهم . بيـد أن مفهـوم النظـام واسـع متشعب ـ والحضارة الغربية في عمومها حضارة غـير دينيـة ومـع هذا فهي تضـم مسـيحيين ويهـودا وملحـدين وحكامـا مسـلمين . الحضارة الإسلامية أيضا ستتسـع للمسـيحيين واليهـود إلى جـانب المسلمين إذ أنها حضارة قوم يعبدون الله ويخشونه إزاء حضـارة طـواغيت متجـبرين لا يؤمنـون إلا بأنفسـهم وليس إلههم سـوى صورة أنفسهم في المرآة.

هل استمعتم لرأينا مرة حتى تسألون الآن ؟

هل حرص أي نظام حكم أن يكـون لشـعبه رأى عـام مسـتنير كي يشارك في حل مشاكله وقضاياه . هل حاول أحد من الحكام قـط أن يـوفر لأمتـه الشـروط الـتى لا يتكـون بـدونها رأى عـام حقيقي أم أنهم فعلوا العكس تماما، انهزموا في الحرب النفسـية الـتى يشـنها أعـداؤنا علينـا، ويحـاولون أن ينقلـوا هـزيمتهم إلينـا،

كمريض الإيـدز الـذي يشـعر بالحقـد على مجتمعـه فيحـاول نقـل عدواه إليه .

إن الفقيه (ماركو) يعرف الحرب النفسية بأنها حملة شـاملة تستخدم فيهـا كـل الأجهـزة والأدوات المتاحـة للتـأثير في عقـول وأفئـدة الجماعـة المحـددة، بقصـد تـدمير مواقـف معينـة وإحلال مواقف أخرى تؤدى إلى سلوك يتفـق مـع مصـالح الطـرف الـذي يشن هذه الحرب .

فهل يختلف ما يحدث لنا عما قال به ماركو .

والفقيـه (يـونج) يعـرف الـرأي العـام بأنـه الحكم الاجتمـاعي لجماعــة ذات وعى ذاتي على موضــوع ذي أهميــة عامــة بعــد مناقشـة مقبولـة . فهـل لـدينا وعى ذاتي وهـل عنـدنا مناقشـات مقبولة ؟ وهـل في بلادنـا إعلام صـادق نبـني على أساسـه آراءنـا ونقيم وجهات نظرنا . وهل يتبع ذلك انتخابـات نزيهـة تـترجم هـذا الرأي إلى عمل . هل يوجد أي من ذلك في أي من الدول العربية كلها ؟ هل جرت مناقشة مقبولة حـول أيـة قضـية عامـة أو حـول بــدائل الــذهاب إلى مدريــد ونحن نحمــل الكفن ذلا ومهانــة واستسـلاما وافتئاتـا على الـدين والتـاريخ والمسـتقبل والـدنيا والآخرة، هل حاولت نظم الحكم أن تثير مناقشات حقيقية تكـوّن للمجتمـع وعيـا يسـتطيع أن يكـون رأيـا ؟؟ أم كـانت وظيفتهـا – كإخوتها – أن تشن حربا نفسـية على المجتمـع، أصـبح بعـدها من المستحيل لا على المجتمع فقط بل على صفوة مثقفيه أن يكون لهم رأى عام حقيقي .

ثم بعد هذا كله يسألون عن البديل ؟؟

يا رب السموات والأرض ...

أيجهلون البديل حقا ..

أم أن الأمر كله لا يعدو تجنبا لإراقة الوجه لأولئك الذين راهنوا على الحـل الأمـريكي في كارثـة الخليج ليصـفعهم تصـريح حكـام إسرائيل بأنها لم تقم بقـرار من الأمم المتحـدة بـل بجهـد شـعبها وأنها لا تنوى أبدا الخضـوع لشـرعيتها، لسـبب بسـيط هـو أنـه لـو كانت قد خضعت لقرارات الأمم المتحدة لانتهت من الوجود قبـل أعوام..

مرحى لكم إذن .

بل تبت الأيدي

لقد رشوتم مشاعرنا بأن النظـام الجديـد سـيكرس الشـرعية في الكـويت ثم في فلسـطين، هـا قـد دمـرتم العـراق وحـررتم الكـويت، ألسـتم بهـذا تتشـدقون، دعكم من رأينـا أنكم دمـرتم الاثنين وخربتم البـاقي في أكـبر عمليـة نصـب علينـا في التـاريخ، تقاضى فيها أعداؤنا منا ثمن قتلنا، حين تحولت أموالنـا هنـاك من الاستثمار إلى الاستحمار حيث يعترف الأمريكيون أنفسـهم بـأنهم المرة الثانية في التـاريخ – الأولى هي الغـزو الأسـباني لأمريكـا – الذي يحقق فيها غزو أرباحا بهـذه الضـخامة دعكم من ذلـك كلـه، فهو رأينا نحن، ورأينا كان عندكم دائما بلا قيمة، لكن ها أنتم أولاء قد قاتلتم الفئة التى بغت فقتلتموهـا، إذن .. مـاذا يحـدث لشـعب العـراق الآن، أتحـدث عن الجـوع والمـرض والعطش والمـوت والحصـار، وأتحـدث أيضـا عن تـدمير إمكانياتـه – إمكانياتنـا – الحضارية والعملية والعسكرية، أفحقا قاتلتم حتى يفيئوا إلى أمـر الله أم أمر مولانا بوش وسيدنا شـامير وأمنـا الغولـة تاتشـر، ألم يخصم كله من قوتنا .

لو لم يحدث ما حـدث، لـو لم يـدمر العـراق، أكنـا نسـاق إلى مدريـد كـالخراف هكـذا، لا أقـول ذلـك انتصـارا لصـدام، فوالـذى نفسي بيده إنما مثلكم مثلـة، وقـد أوشـكتم أن ترفعـوه إلى ذرى السماء حتى آتـاكم الـوحي الأمـريكي بضـربه . وليتكم ضـربتموه وأبقيتم على قوة العراق، لكنكم ذبحتم العراق وأبقيتم عليه.

ثم تسألون ما البديل ؟؟

لقد حذرنا فما حذرتم، الدور آت على الجميع، وستضرب ليبيـا أثناء مفاوضات واشنطن عندما تظنون أنكم من " الجـزرة" قـاب قوسين أو أدنى وسيضرب الثور الأبيض الثور الذي تقرر ذبحه يوم ذبح الثور الأسود.

حذرناكم فما سـمعتم ؟، وكرسـتم أجهـزة إعلامكم كي تـزين الباطل كما يزين القواد الزنى لبغى.

لقد كان توماس جيفرسون يقول : لو خيرت بين أن تكون لنـا حكومة بلا صحف أو أن تكون لنـا صـحف بلا حكومـة لمـا تـرددت لحظة في اختيار الأخيرة، لكن جيفرسـون كـان يتكلم عن أجهـزة إعلام حـرة تسـقط الحكومـات وتقيمهـا لا عن أبـواق لمن يملـك الذهب والسيف . ومع عظيم احـترامي لصـحفنا ووسـائل إعلامنـا في العـالم العـربي فـإن المطـروح في السـاحة الآن وأن حفـل بتبـاين ضـخم، إلا أنـه التبـاين بين مهـرج الملـك، وكبـير حراسـه

وحامل أختامـه، تختلـف الـدرجات والمقـالات أيضـا لكن الغالبيـة خدم .

ثم تسألون ما البديل ؟؟

أن أحدا منكم لم يـقـرّ أبدا بخطئه في تقديراتـه لأبعـاد أزمـة، أو فشله في حل مشكلة، لا نطالب سوى مجـرد اعـتراف بخطـأ، بسوء تقدير بصحة رأى الآخرين .

ومن رحمة الله بنا أن كل نبي من الأنبياء قد أخطـأ فاسـتغفر حتى خاتم الرسل حين عبس وتولى أن جاءه الأعمى، بيد أن ذلك لم يشجع حاكما من حكامنا عبر التاريخ أن يقـر بخطئـه، رغم مـا حاق بالأمة على أيديهم من هزائم وبلايـا ورزايـا، لم يفعلهـا أحـد، رغم أن الأمـة تتحـرق شـوقا منـذ عشـرات القـرون أن يفعلوهـا، ولعل خروج الشعب المصري والعربي والإسلامي يــومي 9 و 10 يونيــو 1967 بعـد الكارثـة لم يكن كمـا قـال المحللـون تأييـدا لشخص ولا فـورة عاطفيـة ولا عمـاء بصـيرة ولا جنونـا مؤقتـا ولا تخطيطا مسبقا، لم يكن كل ذلك وإنما رد فعـل شـوق ألـف عـام إلى حاكم يقول أنه أخطأ .

يا جرح القلب الذي لم يئن أوان اندماله.

إنهم يسألون عن البديل.

والبديل، وجد دائما وجد، وما زال، وسيظل . كان فيمـا مضـى ألا يكون ما كان.

وهو الآن ألا نَـكِـينَ ونستكين

وهو غدا أن ننفذ وعد الله.

تقول بروتوكولات حكماء صهيون :

" يجب أن يعرفوا أننا بلغنا من عظم القوة والصـلابة والامتلاء بالعنف أفقا لن ننظر فيه إلى مصـالحهم نظـرة احـترام . سـنريد منهم أن يفهمـوا أننـا لن نتنكـر لآرائهم ورغبـاتهم فحسـب، بـل سنكون مستعدين في كل زمان ومكان لأن نخنـق بيـد جبـارة أي عبـارة أو إشـارة إلى المعارضـة . سـنريد منهم أن يفهمـوا أننـا استحوذنا على كل شئ أردناه . وأننا لن نسـمح لهم في أي حـال من الأحوال أن يشاركونا في سلطتنا، عندئذ سيغمضـون عيـونهم على أي شئ بدافع الخوف وسينتظرون في صبر تطورات ابعد "

انهم يقولون ذلك وانتم تسألون ما البديل ؟

البديل كلمة الله ووعده .

البديل محمد لا أبو جهل ولا أبو لهب ولا الوليد

البديل علي لا معاوية والحسين لا يزيد

البديل صلاح الدين لا العاضد احمد عرابي لا الخديوي توفيق

النحاس لا صدقي..

حسن البنا لا الأزهر .

اللواء محمد حسني مبارك وليس الرئيس حسني مبارك .

مهما ادلهمت الدنيا وعم اليأس وأرعبكم بوش وأذل أعنـاقكم الحرص , ومهما كذبتمونا فإننا سنتلو قول الله جل جلالة:

* حتى إذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء و لا يردّ بأسنا عن القوم المجـرمين ** سـورة يوسف 110

تقرير عربي عن الفتنة الأمريكية[12]

بقلم: فهمي هويدى

وقعنا جميعا في شباك كذبة كبرى . فقد قدمت مختلف الصحف ووكالات الأنباء صورة لما حدث في " كاليفورنيا" لم تتسم بالإثارة والمبالغة فقط، ولكنها أيضا كانت مغلوطة تماما، علي الأقل فهذا ما وقفت عليه عندما بذلت جهداُ شخصيا، مباشراُ ومكثفا، لتحري الحقيقة من منابعها الأصلية ومصادرها المسئولة والمطلعة . معتمداُ علي رصيدي كصحفي عربي مخضرم ومدرب علي تغطية أمثال تلك الفتن والمؤامرات التي تمر بها الأوطان . حتى صار بوسعي – ولا فخر – أن أحدد مرتكبي ومحركي أية مؤامرة حتى قبل أن تقع .

لقد أسفرت المحاولة التي قمت بها عن مفاجآت كثيرة، غابت عن تقارير مختلف وسائل الإعلام، الأمر الذي يجعلني أزعم بأنني أنفرد هنا بإعلانها لأول مرة.

هاكم الحقيقة التي لم تقل...

لقد أثيرت الجماهير بأكذوبة صغيرة عبأتها بالغلط وحفزتها للغضب بغير مبرر . فقد قام شخص مجهول بتصوير حادث عادي جدا هو مثابة "اشتباك " بين أربعة من رجال الشرطة وبين سائق سيارة زنجي، صحيح أن الشريط سجل علي الشرطة أنهم اعتدوا بالضرب علي سائق سيارة لكن أحدا لم يفكر لحظة في السبب الذي دعا الشرطة إلي ضرب السائق فضلا عن أن أحدا لم يتساءل عن هوية ذلك المجهول الذي قام بتصوير الواقعة وتسريب الشريط إلي وسائل الإعلام بعد ذلك .

لقد أثبتت الاعترافات أن ثمة اتفاقا مسبقا بين السائق الزنجي والمصور المجهول وأن السائق وثيق الصلة بجماعة أصولية نشيطة بين الزنوج وتنسب نفسها اسم جماعة " البلاليين " وهي تستقطب الذين يتحولون إلي الإسلام، وتجندهم لتنفيذ مخططاتها الإرهابية ويمثل السود تربة خصبة لممارسة تلك الأنشطة بحكم تدني ظروفهم الاقتصادية وشعورهم العميق بالاضطهاد الأمر الذي يجعلهم أكثر استجابة للتطرف .

قال لي مصدر أمني أن المباحث الفيدرالية تتتبع تحركات زعماء "البلاليين " وتعرف أن لهم صلة ببعض الجماعات والدول في الشرق الأوسط، أما المصور فهو شخص معروف بتردده في أوقات مختلفة علي أحد معاقل الأصولية في لوس أنجلوس الذي يتخفي تحت أسم " المركز الإسلامي "، ويديره ثلاثة من العرب كانوا من أرباب السوابق السياسية في بلادهم وقد تسللوا إلي الولايات المتحدة واحدا تلو الآخر قبل أكثر من عشر سنوات، وحصلوا علي الجنسية الأمريكية . وبدءوا في بث أنشطتهم بأنحاء ولاية كاليفورنيا .

السائق هو المعتدي

تبين من عمليات مراقبة المركز الإسلامي أن السائق والمصور كانا يحضران إليه في أوقات متقاربة ويدخلان من بابين مختلفين، ومن الثابت أنهما لم يدخلا في الإسلام حتى هذه اللحظة، ومن ثم فلم يصبحا إرهابيين تماما، غير أن الأصوليين اختاروهما بعناية لتنفيذ مخططاتهم الموضوعة لإبعاد الشبهة عنهم . أما تجنيد الاثنين فقد تم بحيلة سهلة وماكرة إذا استغل الأصوليين كونهم من مدمني المخدرات فدأبوا علي توفير ما يحتاجانه منها لفترة من الزمن وعندما نجحوا في السيطرة عليهما تماما انتقلوا بهما إلي طور التوجيه والاستخدام.

لقد ثبت من الاعترافات والتحريات أن السائق الأسود بادر بالتحرش برجال الشرطة عامدا وحاول الاعتداء عليهم وكان طبيعيا أن يمنعوه ويردعوه.

زميله المصور كان يراقب المشهد كله ولم يركز إلا علي لقطة " رد الشرطة لعدوان السائق، التي استغرقت 81 ثانية . الأمر الذي يوحي مباشرة أن الشرطة هي الطرف المعتدي، بينما الحقيقة التي لم تعلن في خضم الإثارة الإعلامية أن الشرطة كانت في حالة دفاع عن النفس في مواجهة رجل مخدر وقوي البنية ثم أنها استخدمت القوة لردعه في الحدود التي يسمح بها القانون.

لم يدرك رجال الشرطة أنهم وقعوا في كمين منصوب لهم، لأن ذلك الشريط الذي صور لهم سلم إلي قيادة المجموعة الأصولية التي سربته بدورها إلي محطات التليفزيون مما آثار الصحافة والرأي العام بصورة مبالغ فيها طيلة الأشهر الماضية .

كان تعميم الشرطة خطوة مهمة حقا في التدبير المرسوم إلا أن نتائج المحاكمة التي نصبت لرجال الشرطة كانت بمثابة

هدية من السماء استثمرها الأصوليون علي نحو عجل بتنفيذ حلقات أخري في مخططهم . فعندما وضعت المعلومات الحقيقية أمام هيئة المحلفين كان من الطبيعي أن يصدر القضاء النزيه حكمه ببراءة رجال الشرطة إحقاقا للحق والعدل .

ما كاد حكم البراءة يعلن حتى بث " البلاليون" رجالهم وسط تجمعات السود لتحريضها وأثارتها.

انطلقت جماهير السود الغاضبة علي النحو الذي تناقلته وعرضته وكالات الأنباء غير أن ما لم تذكره الوكالات والتقارير التي أفاضت في غضب الزنوج وفقرهم وسخطهم أن عناصر البلاليين حركت الموقف كله، وكانت هي التي ترشد الجماهير إلي الأهداف التى تقصدها، وكان بينها بعض البقالات الكبيرة التى تبيع الخمور، وبعض الملاهي الليلية وفي أحد الأشرطة التي تم التقاطها من جانب الشرطة شوهد أحد الملتحين بين المتظاهرين، ورصد رجل يرتدي جلبابا ويرطن بالعربية كان يرقب العملية من نافذة بناية عالية .

مؤامرة علي الغرب

لم يخف علي أجهزة الأمن الهدف البعيد للمخطط، وحيث اكتفي الإعلام برصد الجانب المثير في الحدث فان المخابرات المركزية والمباحث الفيدرالية كانتا على وعى بأن المسألة أكبر من المظاهر والحرائق ومدركة أن الهدف المرحلي هو تشويه إنجازات الرئيس جورج بوش وإسقاطه من انتخابات الرياسة المقبلة مع التشكيك في نزاهة القضاء الأمريكي رمز العدل في المجتمع وتلطيخ سمعة رجال الشرطة الذين هم درع الأمن والأمان في البلاد

"لقد أصبحت الولايات المتحدة مستهدفة منذ أصبحت زعيمة العالم وقائدة نظامه الجديد" هكذا قال مسئول في الحزب الجمهوري طلب عدم ذكر اسمه وأضاف أن المعلومات التى وفرتها المخابرات المركزية ووضعتها أمام الرئيس بوش في الساعات الأولى لوقوع الاضطرابات في لوس أنجلوس تشير بجلاء إلي أن المخطط المرسوم يستهدف في نهاية المطاف تقويض بنيان العالم الغربي . وما زعزعة الاستقرار على ذلك النحو في الولايات المتحدة إلا حلقة في تنفيذ ذلك المخطط الجهنمي .

عدت إلى مصادري في المباحث الفيدارلية للتحقق من حجم المسألة فذكر لي مسئول كنت قد لقيته من قبل : ألم أقل لك

أن الموضوع أخطر مما يتصور الجميع، وأن الإعلام تصرف بــنزق ولا مسئولية، حتى اشترك بصورة غير مباشرة في تشويه سـمعة الولايات المتحدة وخدمة المتآمرين عليها.

سقت كل مـا اسـتطعت من حجج لإقناعـه بالحـديث فصـمت لحظة ثم قال: كل مـا أسـتطيع أن أبـوح بـه أن تقريـرا من ألـف وسبعمائة صفحة قدم إلى الرئيس بوش يشرح تفاصيل المخطط كاملة.

أضاف أن خلاصة التقرير ربما تـوزع قريبـا على أعضـاء لجنـة الأمن القـومي في الكـونجرس وهى تنتهي إلى أنـه بعـد سـقوط الشيوعية فـإن هـدف الأصـولية الـراهن هـو إسـقاط الرأسـمالية الغربية عن طريق هدم قلاعها تدريجيا لتخلـو السـاحة للأصـوليين ويصبح بوسعهم الهيمنة على مقدرات العالم وحكمه .

في خلاصة التقرير أيضا أنه تبين من تبـادل المعلومـات حـول تحركـات قيـادة الأصـوليين والإرهـابيين أن واحـدا من زعمـائهم قدم خصيصا من إحدى العواصم العربيـة إلى الولايـات المتحـدة قبل سنتين ليقوم بالتنسيق بين الجماعات الأصـولية الـتى زرعت في مختلف أنحاء البلاد . في الوقت ذاته فان زعيمـا أصـوليا آخـر استقر في لندن ليقوم بذات المهمة . وقـد تعمـدت قيـادة شـبكة الإرهاب الأصـولية الدوليـة أن يكـون تونسـيا هـذه المـرة . وبهـذا التوزيع تحكم خطة زعزعة الاسـتقرار في العـالم الغـربي تمهيـدا لتقويضــه. الأول يعمــد إلى تحــريض وإثــارة الســود في أمريكــا والثاني يؤدى المهمة ذاتها بين الهنود والباكستانيين في إنجلــترا. وإن اتباعه قادرون على إثارة الإضرابات في فرنسا خلال الوجود الكبير لأبناء المغرب العربي هناك . وإذا انهار النظام في إنجلــترا وفرنسا فسيأتي الدور على ألمانيا، التى نعلم أن تشـكيلا أصـوليا ينظم في داخلها الآن قواعده من الإرهابيين الأتراك .

نظر الرجل إلى ساعته وقال: إنى مضطر للانصـراف لحضـور مـؤتمر صـحفي للمتحـدث باسـم الـبيت الأبيض ثم سـألني : ألن تحضر المؤتمر؟ .

كنت عازما على الحضور بطبيعة الحال، لكن الوقت سرقنى . ركضـت ناحيـة الـبيت الأبيض وأخـذت مكـاني في مقدمـة حشـد الصحفيين الكبير الذين سجلوا كل ما قيـل كمـا لاحظت، لكن مـا نشرته الصحف جاء مغايرا تماما لوقائع ما جرى، ولذا فان الأمانة والدقة تقتضيان ذكر ما حدث بقدر من التفصيل .

ألقى المتحدث باسم البيت الأبيض بيانا قصيرا قـال فيـه : أن الرئيس جورج بوش صدم عندما سمع بالاضطرابات الـتى حـدثت في بعض المدن الأمريكية وأن صدمته كانت أكـبر عنـدما علم أن بعض العناصر المشبوهة اندست بين الجماهير وأرادت أن تشـوه صفحة الإنجازات الرائعة التى تحققت خلال سنوات حكمه والـتي توجت بالانتصار الذي حدث في حرب الخليج.

أضاف المتحدث أن الرئيس تلقى معلومات كافية عن القـوى التى حركت تلك الاضطرابات وأهـدافها الخطـيرة الـتى هي جـزء من مؤامرة كـبرى سـيعلن عنهـا في الـوقت المناسـب. وإذ يعـبر الرئيس عنـه ثقتـه المطلقـة في القضـاء الأمـريكي العـادل وعن شكره وتقـديره للجهـود الـتى يبـذلها رجـال الشـرطة فإنـه يعلن بوضوح أنه لن يسمح بـأي تهديـد للديمقراطيـة من جـانب القـوى الفاشية والعناصر المغامرة .

أخـيرا قـال المتحـدث أن الـرئيس بـوش تلقى عديـدا من الاتصالات الهاتفية من جانب إخوانه رؤساء دول التحالف الغـربي ومن الزعماء العـرب. وقـد طمـأنهم جميعـا إلي ثبـات واسـتقرار الأوضاع في الولايات المتحدة، وشكر لهم مشاعرهم الحميمة.

شكر من السود!

بعد البيان توالت أسئلة الصحفيين علي النحو التالي:

س- لمـاذا لم تتحـدث عن اعتـداء الشـرطة علي السـائق الزنجي ولا عن حكم المحكمة في القضية؟

ج- لا نريد أن نقع في فخ الإثارة، فالحادث عادي وأمثال تلك الاشـتباكات تحـدث في أي مكـان ولا داعي للتشـكيك في الـدور العظيم الذي تقوم به الشرطة في حماية أمن واستقرار المجتمع . أما بالنسبة لحكم المحكمة، فقدسية القضاء ونزاهته المشهودة تمنعنـا من أي تعقيب علي الحكم، وأحب أن أقـرر بوضـوح أنـه مادامت الشـرطة في خدمـة الشـعب ومـادامت سـيادة القـانون قائمة، فليطمئن بال الجميع ولينامـوا قريري الأعين.

س- ماذا تعني الإشـارة إلي دور القـوي الفاشـية والعناصـر المغامرة فيما جرى ؟

ج- لست في حـل من ذكـر التفاصـيل . لكن فقـط أحب أن أنبـه إلي أن أمن الولايـات المتحـدة مسـتهدف ومصـير العـالم الغـربي مهـدد من جـانب قـوي وجماعـات سياسـية نشـيطة في العديد من مختلف أنحاء العالم الآن.

س- هل صحيح أن الرئيس بحث المشكلة مع ممثلي جماعات السود في اجتماعاتهم به مؤخرا؟

ج- هناك حكومة وسلطة هي التي تبحث وتقرر. والمناقشة التي جرت في اجتماع الرئيس بممثلي السود لم تتطرق إلي أية حلول لأية قضية مثارة . لقد طلبوا مقابلة الرئيس والاعتذار له عما بدر من العناصر المتطرفة والمشبوهة التي حرضت السود.

س- رأيكم فيما قاله جيسي جاكسون" الزعيم الأسود من أن بوش لا يصلح رئيسا لأنه لم يحقق السلام للشعب الأمريكي ؟

ج- لم أسمع بهذا الكلام وما أعرفه أن جاكسون أرسل برقية تأييدا للموقف الحازم الذي أتخذه الرئيس من المتطرفين والإرهابيين.

س- ترددت أنباء عن استقالة قائد الشرطة في لوس أنجلوس والقاضي الذي نطق بالحكم .

ج- هي مجرد مصادفة فقد جاء دور كل منهما في الترقية . حيث سيعين قائد الشرطة مساعدا لوزير الداخلية أما القاضي فقد آثر أن يقبل منصب المستشار القانوني لشركة جنرال موتورز.

س- هل هناك قوي أجنبية تدخلت في إثارة الاضطرابات؟

ج- كان هناك شخص ملتح بين المتظاهرين في " اتلانتا" كما أظهرت الصور رجلا ارتدي جلبابا كان يراقب الحرائق في " دالاس" آما في لوس أنجلوس نفسها فقد عثر في أحد الشوارع علي غطاء للرأس مطابق لما يستخدمه المجاهدون الأفغان.

* * *

في اليوم التالي للمؤتمر الصحفي كان العنوان الرئيس لأكبر صحيفة في واشنطن هو : الذين هزموا الإمبراطورية السوفيتية يحاولون زعزعة النظام الغربي .

وكان من أكثر المقالات إثارة للانتباه ما كتبه أستاذ في جامعة هوبكنز وهو أحد أبرز المثقفين المتخصصين في العلوم الاجتماعية ودعا فيه إلي استئصال التطرف من جذوره عن طريق تجفيف منابعه الكامنة وسط تجمعات السود، ودعا إلي توسيع نطاق تحويلهم إلي جنس أبيض بعدما نجحت التجربة مع المغني الشهير مايكل جاكسون الذي غير من لون بشرته بعد علاج طويل، فنجا بنفسه من المصير المحزن الذي وقع فيه البعض ويهدد الآخرين من بني جنسه .

ليست هذه نهاية المطاف بطبيعة الحال، لأن البيـان المنتظـر للرئيس جورج بوش سيكشف الحقيقـة كلهـا أمـام الكافـة لكـني أردت أن أسجل هذا السبق علي وجه السرعة بعـدما لاحظت أن الأمـر التبس علي الجميـع وأن الأمـة العربيـة كـانت ضـحية تلـك الكذبة الكبرى الـتي تـورط فيهـا الإعلام اللاهث وراء الإثـارة بـأي ثمن.

ألا قد بلغت اللهم فاشهد!

قائمة المحتويات

الموضــوع رقم الصفحة

الجزء الأول

رقم الإبداع /7138/93
S.BN:977-5427-01-0.1

التجهيزات الفنية بالشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع
339 شارع بور سعيد – السيدة زينب
ت: 3908978 - 3927371

1- راجع قائمة المحتويات لقراءة المقال كاملا.

[2] - هذا قول مرجوح.

2- على القارئ الذى يقرأ الآن أن يلاحظ أن هذه المقالة نشرت فى الشعب قبل عشرة أعوام، لم تكن كل الحقائق قد اكتشفت، ولا الرؤى تبلورت، وكان هناك مساحة واسعة من المجاملة لائتلاف القلوب، ولبعض المعادلة للاتهامات الخطيرة التى احتوت عليها بقية المقالات.

[4] - اكتمل نشر المقالات فى آخر شهر مايو عام 92، فى المقالة الخامسة والأخيرة ناشدت الرئيس ألا يرشح نفسه مرة أخرى، وكان الاستفتاء على الرئاسة مقررا فى نهاية عام 93، وردا على مناشدتى انفجرت المبايعات فى الصحف الحكومية والعميلة والمنافقة ، انفجرت، وظلت تتابع عاما ونصف عام!!.. رغم أن النتيجة معروفة قبلها بأعوام..

[5] - فى مجلس تحرير صحيفة الشعب اعترض الكثيرون على العنوان على رأسهم المستشار محفوظ عزام، قال أن الإسلام عفيف فى ألفاظه ولا يجوز استخدام مثل هذه الألفاظ فيه رغم أنه يدرك ويقدر حسن نوايا الكاتب، ، وطلب مجلس التحرير منه قراءة المقال واقتراح عنوان له، دخل إلى مكتبه ساعة قرأ فيه المقال ثم خرج وقد غسلت الدموع عينيه، فبادروه بالتساؤل: ما رأيك؟ هل يصلح العنوان، فأجابهم باسما والدموع تملأ عينيه: بالطبع لا يصلح.. فليسوا أولاد كلب واحد.. إنهم أولاد ستين كلب..!!

ونشر العنوان كما هو..

[6] - المقصود مصطفى كمال حلمى.

[7] - كان ابراهيم سعدة قد شن هجوما سا حقا على نور الشريف وعلى الفيلم وجند لذلك المؤسسة الصحافية التى استأمنته الحكومة عليها . هجوما ما زلت محتارا في فهم دوافعه.

[8] - لقد تغيرت وجهة نظرى الآن، ليس في الفكرة النظرية التى ما زالت صحيحة، و إنما في تطبيقاتها العملية ، خاصة بعد اتضاح المؤامرة يوما بعد يوم، والذى تتركز أهم غاياته على الاجتراء على الدين والقيم، وبعد الانهيار الكبير للفكر القومى، الذي هجره أفضل من فيه، وبقى فيه الأفاقون والمنافقون.

[9] - المقصود فضيلة الشيخ الشعراوى عندما قال عن السادات: والذى نفسي بيده، لوكان لي من الأمر شئ لرفعته إلى مصاف من لا يُسأل عما يفعل. وحتى الآن لم يتغير اعتراضى على قول شيخنا الجليل، لكن الذي تغير هو قدرتى على استيعاب أن يكون للشيخ الجليل أخطاء ، و أن هذه الأخطاء لا تقلل من قدره.

[10] - نشرت الشعب رد السيد حسن أبو باشا بالكامل، ولم تختصره كمـا اختصـرته الأخبـار، ثم أن كاتب المقال لم يعمد إلى تكرار الادعاء الخبيث .. على لسان شاب غرير ... إلخ لأن الـذي كـرر الإدعـاء الخبيث هو الأستاذ خالد محمد خالد .. لكن دأب كل المسئولين في بلادنا هو المراهنة على ضعف ذاكـرة القارئ، الذي يقرأ عادة الرد على المقال، دون أن يكون المقال المردود عليه أمامه

1- لعل القارئ قد لاحظ الآن . ما ورد في المقال الذي يعترض عليه السيد حسن أبو باشا، من أننا قد نقرر أنه لم يمزق المصحف ولم يدسه، لكنـه تجاهـل ذلـك، كمـا تجاهـل أيضـا أي حـديث وكـل حديث، من قريب أو من بعيد، بالتصريح أو الرمز أو الإشارة عن دوره في التعذيب، وهو كما لاحظ القارئ موضوع المقال الرئيسي .. وربما الوحيد...

[12]- بعد نشر هذا المقال، أصـيب فهمي هويـدى – كمـا نشـر بعـد ذلـك – بنـوع من الصـدمة، حين فوجئ بالأغلبية الساحقة تأخذ السخرية الفاجعة في مقالـه مأخـذ الجـد، ليس في مصـر فقـط، ولا على مستوى العالم العربي وحده، بل في أوروبا وأمريكا واستراليا، حتى أن إحـدى المجلات الـتى تصـدر من لنـدن بالعربيـة أوقفت عجلات المطـابع، واتصـلت بـه تطلب مزيـدا من التفاصـيل عن الموضوع، الذي قرر مجلس تحرير المجلة أن يكون موضوع الغلاف !!